

الموارد

مجلة تراثية نصف سنوية محكمة
المجلد الثالث والعشرون - العدد الثاني - ١٤٩٥ م - ٢٠٠٤ م



خطأ !

رائحة نصف سنوية محكمة

المورد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الشؤون الثقافية العامة
▪ بغداد - جمهورية العراق

المجلد الثالث والعشرون - العدد الثاني - ١٤١٦ - ١٩٩٥ م



مركز تطوير المعرفة
مكتبة وطنية

رئيس التحرير عبد الجبار العلواني

سكرتير التحرير صادق كامل ديكان

خطأ !

المهيئة الاستشارية

د . ناجية عبدالله

د . محبي هلال السرحان

إسامه ناصر النقبندي

نبيلة عبدالمنعم داود

سليمه عبدالرسول

عنوان المجلة

* دار الشؤون الثقافية العامة - الاعظمية - ص . ب ٣٢٤ - بغداد - جمهورية العراق

لا تعاد المواد لاصحابها سواء نشرت ام لم تنشر *مترجمة كل يوم* مترجمة كل يوم

الاسعار

* العراق (٢٥) ديناراً ، البلدان العربية (٦) دولارات او ما يعادلها ، الدول الاجنبية (٧) دولارات او ما يعادلها .

الاشتراكات

* العراق (٨٠) ديناراً للأفراد و (١٠٠) دينار للمؤسسات
الدول العربية (١٠) دولارات ، الدول الاجنبية (١٢) دولاراً .

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق (١٠٠) لسنة ١٩٩٥ م

خطأ !

«المور»

أقوى من الله راجفة

مع العراقيين وقائهم الصابر المقاتل المعنص بحيل الله المستعان الذين صدّام حسين .. كانت هذه المجلة بمضمونها المترافق تعمل على جديده واحدة .. وترافق طبائع الأعداء .. ونحوهم .. خالل حصارهم الوبيل .. بتبرير تناحرج بين دفتيها ، لتسقط دراهمهم بما تملّكت وتوصلت ، ولتطرحها مع عقولهم الفاسدة في مزينة مهجورة تحطمها بعد تحميلها من العفن والاردى ..

واعتنات مجلتنا المجاهدة ان لا تحتاج لسؤال اولئك الاوصى عن حذارهم .. لكنها تعلم جيداً أن حقدتهم حسنه حتى حيوانها اللبؤن على غيره علّت .. فلا يخواطرون بالكلام .. فلذلك شرطنا ان لا يجدع لها اتف ..

وكان جراوها ، في هذه الأيام ، على هذا المؤذن الباسل ، ان تابن مختارطة الاستدام على سهل .. وادع نظيرهم بموازرة العراقيين وقاربتهم الصابرين .. على ان يغتصوا برؤسهم وهم يتركون فوق حرثه هاربة شاء هؤلاء الاعداء - طيلة أيام الحصار - ان يهلكوا الارادة العراقية سريح هرمهم .. ولقد فعلوا ما ارادوا من « بندقهم » الاسود .. أصبحوا يتعذبون في ليل شاب قدره .. وكثير بهم من يعيشوا ناحيـة ائمه لم يصادفون بين العراقيين أعوناً وعملاء ، ولذلك حاشدوهم وفاصدوهم .. وحرزوا على اطرافهم بحسب النهايـة ، ولهـي فقرائهم الحماية من أوحـم العوائق بالغـداء الذي يخلـون به ، وعلى مردمـاتهم الدوـلة الذي يخـود بالاستـداء وينفذـهم من موـت عاجـل ..

وفي أفيـاء هذا الواقع الذباب .. قدـفت «المور» .. وستـلتـقطـ تـلـدتـ في روسـ كلـ حـصارـ مـعـنـيـ .. ان عـزـهاـ ، بـعـزـ العـراقـ ، ثـابـتـ لاـ يـعـرـفـ هـرـوـبـاـ وـلاـ هـزـمةـ ، وـلـ اـبـاهـاـ ، بـعـ العـراقـ الـاسـرـ سـيـرـهـ خـرـقاـ مـعـنـاـ ، وـالـعـاقـدةـ

لنـ يـمـلـكـ الصـبـرـ الـأـجـمـلـ ، وـيـفـتـحـ نـوـافـدـهـ عـلـ اـيـمـعـ عـدـ فـيـ اـسـعـ مـسـتـكـبـلـ .. فـلـمـ يـلـمـ لـلـهـ اـلـمـصـانـ اـلـوـ ماـ سـعـ

وـالـلـهـ اـلـسـتـعـانـ ، وـمـنـهـ التـوـقـيقـ ..

خطأ !

في حصارات البصرة وصمودها



بقلم : باسم عبد الحميد حمودي

مجلة التراث الشعبي - بغداد

السلجوقي على بيعة حكم المدينة بتمانية اكياس من الذهب على ان يخطب للسلطان العثماني في المتأخر ، فوافق افراسياب وتولى مسلمة البصرة .

ويقول مؤلف زاد المسافر « وكما ان الحامية كانت تركية وسكن البلد من العرب الذين لا يتحملون الاستعباد كان هؤلاء السكان في نزاع وكان النزاع كثيراً ما يؤدي الى الاصطدام مع الترك فيخف اذا ذاك عرب البادية لاسعاف السكان فيحاصرن الباشا في الحصن ومل البasha واسم « ايود »^(٢) من الفروقات والتاديب فعن على بيع حكومته الى احد اغنياء المدينة باريعين الف قرش وتمت الصفقة وجهز ذلك الغني المشتري اجناداً لنهضة الناس وسمى هذا الرجل العظيم افراسياب باشا »^(٣) ويقول لوترك عن افراسياب : « فقد قيل - نقلًا عن زاد المسافر - ان اباه كان من دم سلجوقي قديم وان امه كانت امراة عربية من الدير وكانت قدرته على جمع القوة تدل على موازنة القبائل له »^(٤)

والمهم ان افراسياب قد استطاع الحصول على لقب الباشوية من الباب العالي وان يظل على ارتياط اسمى بالاستانة وان يوطد دعائم الحكم والنظام خارج البصرة وضواحيها حتى شمل ذلك قبان والدورق ، واستتجده به والي الحورية منصور بن طلب للعمل ضد الشاه ، ولكن هذه المرحلة التي تميزت بالاستقرار لم تستمر طويلاً فقد تزايدت مشاكل المشايخ المجاورة وان ظل افراسياب صامداً بوجهها ويعيداً عن منازعات البرتغاليين والهولنديين والانكليز في موانئ الخليج العربي الاخرى . وقد سبب وجود البرتغاليين في بندر عباس علاقة ضعيفة لهم افراسياب ازدادت تدريجياً وقويت تجاريها وسياسيها فاصدر الشاه في ١٦٢٤ اوامرها الى خان شبارز (امام قلی خان) بمعالجة هذا الازعاج الذي

اضعف حركة ميناء بندر عباس التجارية بشكل واضح . وفي تلك السنة (١٦٢٤) التي ضفت فيها حالة افراسياب الصحيبة تولى ولده علي باشا مهمة الدفاع عن البصرة بعد ان ادرك هو والله ان مطالب حاكم شبارز (امام قلی) له لا تحتمل الا الحرب ، فقد طلب اليه هذا باسم الشاه عباس ان يتخل عن تبعيته لتركيا العثمانية وان يتقبل التابعية الإيرانية (وان يذكر اسمه في الصلاة ويتحذف الزياء الفارسية في الملبس ويكون في مقابل ذلك والياً ودائماً لا يقدم شيئاً من الجرایة)^(٥)

وكان من الطبيعي ان يرفض افراسياب ذلك بدعم من البرتغاليين (حلفائه الذين يتاجر معهم) فتقىم جيش امام قلی من شبارز من طريق تشتت فتصدى له البوادر البرتغالية في ميناء قبان (التي تتبع البصرة)

حملت البصرة يوماً قسطاً كبيراً من اعباء الدفاع عن امن العراق وعن شخصية ارض السواد التاريخية ووقفت ابداً عبر زمنها الممتد من تصريحها عام ١٤ للهجرة ضد الفروقات الاجنبية الطامعة في ارض العراق ، ولم تقاوم البصرة هجمات الجنان فقط بل عاشت في صراعات محاولة انفراد قوة كبيرة (في القرن الخامس عشر وما تلاه) اذاك كالبرتغاليين والانكليز بالسيطرة على وجه الخليج العربي والوصول الى وسادة البر الحيوى الاكبر فيه ، بر العراق من جهة الجنوبية ، وخاضت بوصفها منطقة ادارية (ولاية) ومدينة تفاصيل تلك النزاعات متخلة فيها بايجابية حيناً ومحاولات وجهة لا تستطيع التأثير حيناً اخر كما سترى .

من الثابت ان البصرة الجديدة ليست بضربيات السريانية القديمة ولا بصرة عتبة بن غزوان فقد قامت على انقضاض مدينة الموقعة التي بناها الموفق العيافي « لتكون مقراً لحركات المسكرية » . والثابت ان البصرة بعد سقوط بغداد ٦٥٦ هـ وتفكك الدولة المركبة قد خضعت لنفوذ عدة قوى محلية واجنبية لا مجال لبحث تفاصيل هويتها بافاضة سوى ذكر ما هو معروف من ان العثمانيين قد انتزعوا حكم العراق من الصوفيين اثر معركة جالديران ١٥١٤ م اثر فرار امراء الاٍق قويتو امام الصوفيين عام ١٥٠٨ .

« وكان لتقدم الفاتح العثماني في بلاد الدولة الصوفية صدى قوي في بغداد حيث اغتصب الحكم ذو القفار الكروبي الاصل واعلن ولاه للسلطان العثماني ولكن الخيانة اعادت بغداد للحكم الصوفي سنة ١٥٣٠ ، ورَجَحَ السلطان بجيشه القوية على العراق ففتح بغداد سنة ١٥٣٤ »^(٦)

وكانت البصرة يومذاك بيد الشيخ راشد الطوال الذي خاف سطوة السلطان سليم « فشخص بنفسه الى بغداد وسلم اليه مقاييسها فما كان من السلطان الا ان امراه على ملكه واعاده اليها سالماً آمناً ولكن راشد طفى واستبد بعد بضعة اشهر فاضطرت حكومة بغداد ان ترسل قوة لطرده قادها الوزير ایاس باشا وظلت البصرة بيد الترك يتولاها امراوهم او ولاتهم »^(٧) وإن ظلت المشايخ المجاورة تواجه الحكم العثماني في كثير من الحالات لكنها مواجهات غير حاسمة لا تشير الا الى حالة عدم ضبط اداري اتسم بها العثمانيون في ثورتهم .

افراسياب

عجز حاكم البصرة التركي درويش على باشا عن تسديد ارزاق جنده عام ١٥٩٦ - ١٥٦٠ للمياد واتفق مع كاتبه افراسياب - الديري

خطأ !

قصدته .

والقرنة فانسحب منها الى بغداد فعاد حسين باشا الى حكمها ليستولي على القطيف وبهاجم الاحساء ، وهنا بدأ هجوم العثمانيين الجديد على البصرة بقيادة ابراهيم الطويل (والي بغداد) في تشرين الثاني ١٦٦٥ فتقىدم حسين الى القرنة ليدافع عن حاضرته لكن الجيش العثماني دخل البصرة من جانب آخر ، ويصف لونكك ما حدث بعد ذلك بقوله « في غياب حسين عن البصرة اضاعت له القرنة عاصمته بصورة وقتية فقد وجد ابراهيم باشا الوسائل لتوهين اخلاص البصريين الاقياء وولائهم وحدث في اواخر حصار القرنة ان اضطر حسين من قلة الارزاق لاغتصاب سفن مشحونة باللون من شط العرب ولم يعد الى اصحابها الا قشور سفن مهشمة فارغة فسارع هؤلاء بدفع الفيظ للانضمام الى الناقمين واجتمعوا فيكتاب الى الباشا الطويل في خطوطه الحرية في القرنة يخبرونه بان البصرة اصبحت في فوضوية من الحكم ومعرضة للاضطراب ورجوه ان يرسل حاكماً عنه لينقذ الميناء من سيدهم فارسل سولاق حسين متذوباً عنه »^(١) وكان من الطبيعي أن يسعد سكان البصرة بوصول المسلمين العثماني لكتهم كانوا يدركون ابعاد اللعبة ف تكون الشيوخ والتجار « سلطة موحدة وفضلوا ان يحتفظوا به بالحكم على ان يسلموا المدينة الى غريب لا سند له »^(٢) فعرض محمد بن يوادق معتمد حسين باشا السابق ان يعيد المدينة الى سيطرته فوافق وهذا بدأ انصار ابن يوادق بمحاجمة مراكز الحكومة البصرية الموقنة فحاربه رجالها حتى قضوا عليه وطاف البصريون في شوارع المدينة فرحبوا بانتصارهم على حاكمها الذي اتبعهم كثيراً (حسين باشا) وعلى القوات العثمانية لكتهم شعوا حماية ابواب المدينة فدخلتها قوات حسين باشا مرة اخرى وقبضت على بعض الاشراف واعدمتهم فيما هرب الباقيون وبذلك مقطعت الحكومة البصرية المستقلة فيما استمر النزاع خارجها بين دولت حسين باشا والقوات العثمانية وانتهى الامر بالتفاوض بينهما واتفاق على ان يتنازل حسين باشا عن الحكم الى ابنه افرا سياي وان يعتذر للسلطان ويعود الى مكة ، فوافق حسين على ذلك لكنها كانت موافقة اسمية لتنظيم القوات القاتمة فقد ارسل بعد ذلك كتب استرحام واكياس تقد الى السلطان بيد وزيره يحيى اغا وفي الاستانة قابل يحيى وفداً بصربيا جاء الى السلطان لرفض حكم حسين او اسرته فقرر السلطان تعين يحيى بدليلاً عن اي فرد من اسرة افرا سياي التي بدأ الهجوم عليها وعلى البصرة من جديد في تشرين الثاني ١٦٦٧ .

وعانت البصرة في هذا العام كثيراً من احترب المتحاربين وتركها حسين باشا ملتجأ الى قلعته في القرنة بعد ان خرب الكثير من معالمها وضع مجد البصريين بقيام حكم آمن مستقل عن النفوذ العثماني والايراني نتيجة حدث حاكم مثل حسين باشا لم يتبع مسيرة والده علي ولا جده افرا سياي . في الاهتمام بالبصرة وعماراتها وتقدمها الحضاري دون شن حروب استحواذية على ما يجاوره من امارات لا طاقة له على توحيدها او اخضاعها الى حكمه وهو مجرد حاكم لاماارة صفية ، وقد تكررت تجربة حسين باشا على يد الحاكم الجديد الذي طرد الاتراك منها واعتتصم جيشه المحلي بالقرنة دون نجاح فعاد رجاله الى البصرة لينقموا من سكانها يتبعهم الجيش السلطاني بقيادة مصطفى باشا الذي حاصر المدينة ثم دخلها ليقر منها يحيى الى الهند سنة ١٦٧٠ .

في خلال تلك توفى افرا سياي وخلفه ولده علي باشا وكان افرا سياي قد حكم بين عامي ١٦١٢ - ١٦٢٤ ولكن ابنه علي كان يشاركه امر الحكم كما قلنا فطلب مساعدة استانبول معلناً ولاته لها رغم امله الصعب في ذلك ، واسباب عدم تعوييل علي باشا على نجدة العاصمة العثمانية يعود الى :

- ١ - ضعف سيطرة الولاية العثمانية على بغداد اساساً .
 - ٢ - بعد المسافة بين البصرة والعاصمة المركزية .
 - ٣ - روح الاستقلال التي طبعت حكم اسرة افرا سياي .
 - ٤ - قيام الايرانيين بقطع طريق دجلة والغرات الامر الذي يكب القوة المساندة من جهة الشمال - لو قدمت - الكثير من الجهد والانفس .
- والظاهر ان امام قلي قد تحرك ليس نحو البصرة فقط بل دفع امامه قوة امير الحويزة التي انسحب الى البصرة لتعين جيش علي باشا على الصمود .

ويصف لونكك ما حصل بعد ذلك منذ آذار ١٦٢٥ حيث يقول : « كانت البصرة تنتظر هجوم الخان وهي عالمه بزحفه من الحويزة وكانت قوة علي باشا صغيرة حديثة فاعاز البرتغاليون الباشا خمس سفن مسلحة بعد أن دفع لهم ما أرادوا ثم أعلن التجنيد العام في المدينة وكانت قد تعالـت اصوات الوطنية فيها ، وجدـد اشرافـ الـبلـدـ القـوـاتـ المـتـطـوـعـةـ فـمـشـتـ الىـ مـعـسـكـ الـباـشاـ وـفـيـ اـعـدـادـهـ الصـابـتـةـ الـمـسـالـمـونـ ايـضاـ ، وـقـسـمـتـ الـقـوـةـ الـبـحـرـيـةـ فـرـاقـتـ تـلـاثـ سـعـنـ مـنـهاـ عـلـىـ باـشاـ الىـ القرـنـةـ حيثـ كانـ مـنـ المتـوقـعـ أـنـ يـحـاـولـ الـاـيـرـانـيـونـ الـعـبـورـ وـاـنـحـدـرـتـ اـنـتـنـانـ اـلـجـنـوبـ لـوـقـفـ ايـ قـدـمـ قدـ يـحـدـثـ مـنـ تـلـكـ الجـهـةـ »^(٣) وهـكـذاـ اـسـتـعـدـ عـلـىـ باـشاـ بـنـ اـفـراـسـيـاـبـ وـقـوـاتـ الـنـظـامـيـةـ وـالـمـطـعـوـنـ الـوـطـنـيـوـنـ مـنـ الـعـشـائـرـ وـاهـلـ الـمـدـيـنـةـ لـمـقاـوـمـةـ الـهـجـومـ الـاـيـرـانـيـ لـكـنـ الـقـوـةـ الـاـيـرـانـيـةـ اـنـسـحـبـ فـجـاهـ لـسـبـ لمـ يـعـرـفـ مـيـاـسـةـ وـإـنـ كـانـ الدـلـائـلـ تـشـيرـ إـلـىـ أـنـ اـضـطـرـابـاتـ حـدـثـتـ فـيـ شـيـازـ اـضـافـةـ إـلـىـ عـدـمـ مـسـانـدـةـ اـمـيـرـ الـدـوـلـةـ (ـ الـمـشـعـشـعـيـةـ)ـ (ـ مـنـصـورـ)ـ لـامـامـ قـلـيـ فيـ عـدـوانـهـ^(٤) وـقـدـ عـدـ الـبـصـرـيـوـنـ اـنـسـحـابـ قـوـاتـ قـلـيـ خـانـ اـنـتـصـارـاـ لـهـمـ وـلـصـمـوـدـهـ وـقـدـ عـزـزـ مـكـانـةـ عـلـىـ باـشاـ وـصـوـلـ فـرـمانـ السـلـطـانـ وـالـخـلـمـةـ وـالـسـيـفـ فيـ مـاـيـسـ ١٦٢٥ـ وـبـذـلـكـ اـسـتـطـاعـ هـذـاـ الـحاـكـمـ الـعـرـاقـيـ الـمـولـدـ وـالـنـشـأـ اـنـ يـدـرـ حـكـمـ وـلـايـتـ بـشـكـلـ نـاجـحـ وـانـ يـخـضـعـ الـقـبـائلـ الـمـجاـوـرـةـ فـيـ مـنـطـقـةـ الـجـزاـيـرـ (ـ الـاهـوارـ)ـ وـيـصـفـ الشـيـعـيـ فـتـحـ اللهـ الـكـبـيـريـ اـيـامـ حـكـمـ عـلـىـ باـشاـ الـيـوـمـ اـسـتـمـرـتـ ٤ـ عـامـ بـقـولـهـ «ـ كـانـ شـبـيـهـ بـاـيـامـ هـارـونـ الرـشـيدـ وـانـقـاتـ لـهـ ، وـفـتـحـتـ فـيـ اـيـامـ الـجـزاـيـرـ بـعـدـ انـ عـجـزـ عـنـهاـ عـسـكـرـ السـلـطـانـ وـفـتـحـ كـوتـ مـعـرـمـ مـنـ يـدـيـ حـاـكـمـ بـغـدـادـ »ـ .

وقد ظلل علي باشا بعد ذلك يحكم البصرة دون ان يتحرش به الشاه الصفوي وهو يحتل بغداد ، وعند عودة العثمانيين بدأ تحرشهم بحسين باشا الذي تولى الحكم بعد وفاته وانه علي باشا عام ١٦٥٠ وسيب هروب اخويه احمد وفتحي للسلطان مشكلات عديدة له فقد استطاعا اقناع والي بغداد مرتضى باشا سنة ١٦٥٣ بالهجوم على البصرة فهرب حسين باشا منها ملتجأ الى عريستان ولكن مرتضى لم يتبع سياسة حكيمه في البصرة اثر استياءه عليها فاعدم عدداً من الاشراف وشققي حسين (احمد وفتحي) مما سبب ثورة اهلها مع عشائر الاهوار

خطأ !

فرسه فعات فقط أحد الجنود رأسه ويقول عباس العزاوي نفلاً عن تقرير كتابه الحاج على باشا والي طربزون وسماه (تاريخ حديد) او (يادگار تاريخ) في ٣ شوال سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) : « أن الدولة نشأت فيها احوال ناجمة عن قلة التدبير من اهمها ان بغداد كانت في حالة توتر بينماها وبين ايران وأن اعتداء كريم خان الزندي كان صريحاً الا انه قبل أن ذلك متولدما اتخذه عمر باشا والي بغداد من اوضاع ضد رعايا ايران من يد (مبغضوا) الوزير وبيتوا انه لوعزل لما بقي ما يدعو للخلاف »^(١) وينفي على باشا - كاتب التقرير - ان يكون سبب هجوم كريم خان على البصرة غضبه من عمر باشا ويرى ان « كريم خان مدّ يد اليه ولم يكن مضطراً لما قام به »^(٢).

هذا ارسلت الدولة العثمانية ثلاثة وزراء لحرب ايران هم مصطفى باشا واوزون عبد الله ومصطفى خليل باشا جراغي ، فاهمت هؤلاء بقتل عمر باشا واصبح مصطفى باشا والياً وارجع عسكراً اوزون عبد الله باشا ويعدي باشا الموصلي من منطقة البصرة بدعوى انه تصالح مع ايران . ويكشف عثمان بن سند عن تأمر مصطفى باشا مع كريم خان على تخول الاخير البصرة بخطبة رسماً الاول بحيث سحب الجيوش العثمانية عنها وترك البصرة وحيدة باهلها وعشائرها ومتسللها لتواجه قوات صائق خان ويقول ابن سند ما نصه ان الوالي « كتب الى متسلم البصرة سليمان أن المدد بعيد لكم من جهة السلطان فاما أن تصطلح مع العجم واما ان تسلم البصرة لهم لاجرم ، وكتب الى الدولة بان صلحنا مع العجم انتظم وأن يدهم عن البصرة كفت »^(٣) ويقول لوذكر ان هدف مصطفى باشا من قتل عمر باشا كان الاستيلاء على ثروته وقد فعل وانه اريف ذلك « بالتصنيق على اغذیاء البلد »^(٤) بغية نهب ثرواتهم « وانه كتب الى استانبول بان البصرة أصبحت تابعة له وقد لاذ الايرانيون بالغرار منها »^(٥) في وقت كان الايرانيون فيه قد دخلوا البصرة وقد أعتمد مصطفى الاسپينا خجي في ذلك - في زعمنا - على بعد المسافة وقنة مصادر معرفة المركز بما يدور في الاطراف الا انه عند اكتشاف الامر عن السلطان عيدي باشا الذي دخل بغداد وفرمان عزل مصطفى بيده فهرب هذا اي الموصى حيث اعدمه القبوجي جزاء خيانته وتخانله ، ثم اعلن السلطان بعد ذلك ان عبد الله باشا قد اصبح والياً على بغداد بدلاً من عيدي الذي حكمها اسبوعاً واحداً ، الا ان عبد الله لم ينفذ هذه المهمة لضعفه ولهوه فاختار السلطان سليم سري وارسله على بغداد وحين وصلها بدأ بمقاضاة ايران بتأثير عجم محمد ثم جرى تعين سليم قائمقاماً في وقت انتقام فيه معماليك بغداد بين انفسهم على زعامة اسماعيل اغا او عجم محمد وظل النزاع مستمراً خمسة اشهر حتى عين حسن باشا والياً ودخل بغداد في الرابع من مايس ١٧٧٨ ليبدأ محاولة تصفية الفتنه الداخلية .

اما البصرة فقد قاومت الحصار الذي فرض عليها من قبل قوات صائق خان في وقت كانت فيه قوات كتب تناور الطريقين حتى غزت البصرة منتصف شتاء ١٧٧٥ ، وكان المتسلم (سليمان اغا) والقطبان (تاجر القوات البريطانية البحرية) والوكيل (القنصل البريطاني) يجتمعون يومياً مع اشراف البلد لترتيب مهمات الدفاع وكان سليمان رجلاً شجاعاً وادارياً جيداً استطاع ترميم السور وتنصب المدفع وتدريب الجند حتى كان اليوم السادس عشر من اذار حيث وصل الايرانيون الى مصب نهر السويب طالبين دفع الديمة (او الجزية هنا) فلم يرد عليهم احد ، وعند

بعد استقرار غير كامل على يد الولاية العثمانين وفي عام ١٦٩٠ (١١٠٢ هـ) تفشي الطاعون في المدينة « واخلى سورها المكتظة فقد كان الذي يموتون بمقدار خمسةمائة في اليوم وتكدست الجثث في الازقة وبقيت غير مدفونة وعانت الولايات من وطأته جميع الطبقات غنيها وفقيرها حتى الحامية الأجنبية فيها فاغتنمت القبائل في الخارج فجمعوا قبائل المنتفك والجزائر ثلاثة آلاف خيال تحدث بهم الحكومة واشرفت على المدينة فلم يكن في وسع احمد باشا الا جمع خمسةمائة مقاتل قابل بهم القبائل الغازية وقاومها في حرب طويلة في موقعة الدير فافتوا - على ما يقول الكسندر هاملتن - الا القليل منهم وكان الباشا نفسه بين الموتى ولم يبق بين اسواق البصرة والعرب الفائزين شيء »^(٦) وهكذا خاضت البصرة حرب مملكة اخرى وحصل اخر اوشكا على الانتهاء باختيار السكان - مضطرين على ما يبدو - حسن / نائب الوالي والياً جمع من كان قادرًا على القتال ليقاوم هجوم العشائر من جديد ونظم مقاومة عنينة انتهت بانتصاره وقتله هو ايضاً ليختار الاهالي رجلاً يدعى حسين جمال والياً عليها وظلت البصرة محور نزاع السلطة العثمانية مع القبائل المجاورة حتى ان امراء الحويزة طعموا فيها وحكموها عدة أشهر حتى انتهى الامر بسيطرة والي بغداد مصطفى باشا عليها عام ١٧٠١ حين تجمعت الجيوش من كل الولايات واستخلصوا البصرة من الشيش مانع »^(٧) .

تصدي البصرة لصادق وكريم خان الزندي

من حوادث سنة ١٧٧٥ قيام صائق خان شقيق كريم خان الزندي الوصي على عرش ايران في تلك الايام بمحصار البصرة بغية الاستيلاء عليها وكان حاكها في تلك الايام الملك سليمان اغا قد طلب والتي بغداد عمريبا بالمساعدة وهو يحيى اهلين (على الدفع وداعي لوازم الحصار ، اما الايرانيون فقد احاطوا بها من كل صوب وشرعوا بالحرب فطالت المحاصرة) كما يقول عباس العزاوي^(٨) الذي يضيف قائلاً : (فالوزير - يقصد الوالي - لم يستطع ارسال قسم « من جيشه » الى جهة الا انه كان يبعث الامل ويحرض على النزول على الدوام في القتال والمحاصرة) واتصل بالعاصمة بغداد يطلب النجدة دون استجابة وهذا اضطرر المتسلم سليمان اغا دعوة العشائر لذك طوق الحصار فحضر « ثامر بن سعدون وتويني بن عبد الله اول المحاصرة فلما ضاق الخناق نجوا على النواجي اذ ملا من المصايرة »^(٩) كما يقول عثمان بن سند في (مطالع السعود) ويشير المحققان في الهاشم (٨٢) الى ان ثامر بن سعدون « هو الذي تصدى للقوات الفارسية في موقعتي الفضيلية وابي حلاة واجبرهم على الانسحاب من البصرة بما الحق بهم من خسائر كبيرة » فيما بعد ويشير (ابن سند) الى ان جملة من زعماء العشائر الذين ساندوا متسلم البصرة الشيش سليمان (القنام) والظاهر أن والتي بغداد عمر باشا كان يشعر بقرب انتهاء ولايته فلم يتحرك لنصرة البصرة حتى قدم بغداد مصطفى باشا الذي تسلم الولاية دون مقاومة برغم ان عمر باشا لم يخرج منها بل بقي فيها عند المنطة (العطيفية) فهجمت عليه قوة من انصار الوالي الجديد فحاربها ثم هرب سالكاً طريق الموصل وعند الكاظمية عثر به

خطأ !

المقاومة مع المنتفك للاقطاع له دون جدوى وأصبح احتلاله للبصرة مكلفاً بعد أربع سنوات من استمراره فقاد البصرة مع جيشه في منتصف آذار ١٧٧٩ بعد أن سلم أمرها إلى أعيان البلدة وقد وعدهم بذلك أسر سليمان أغا الذي عاد ودخل البصرة بعد وفاة ثامر باستناد من صديقه ثويني العبد الله ولكن أخذ يتطلع إلى حكم بغداد وقد حكمها تحت اسم سليمان باشا الكبير.

انتفاضة ثويني في البصرة

في أوائل عام ١٧٨٦ ثار سليمان الشاوي قرب بغداد أملأ في الحصول على منصب الوالي وطرد الاتراك منها ووقفت معه عشائر دون أخرى فقد النظام في بغداد مدة من الوقت وعجز الوالي عن ضبطها حتى ضعف سليمان وهرب إلى شيخ المنتفك ثويني.
وكان ثويني قد ساعد قبل هذا متسلم البصرة عام ١٧٨٤ و(اختبر في تلك الحملة مقدار ضعف الاتراك ومقدار أخلاص اتباعه له)^(٢٢) فقرر التورّة والاستيلاء على البصرة وساده في ذلك سليمان الشاوي بمشورته وحمد الله حمود شيخ الخزاعل فتقدمت قوات ثويني إلى الزبير وقبضت على متسلمه إبراهيم بك مع حاشيته ثم (أرسل ثويني قسماً من خيالة المنتفك فدخلت البصرة واستولت على السراي ثم فرقت الحامية وشنت شملها ومع ذلك كله بقي البلد سالماً من الأضطراب إلى أن دخل ثويني مع خمسة آلاف من رجاله في اليوم الثالث فعادت حكومة البصرة حكومة عربية)^(٢٣) وحصل ثويني من سكان البصرة على توقيعهم في عريضة مرفوعة للسلطان يطلبون فيها اعتراضه بحاكمية ثويني عليهم ثم خرج ثويني من البصرة (بعد أن أرسل عريضته إلى استانبول) وخيّم خارجها منتظراً النتائج وقد وضع شقيقه نائبً عنه فيها وعند التقاء جيشي الوالي وثويني كان النصر لجيش الوالي فهرب ثويني إلى البارية وظل خارج سيطرة العثمانيين حتى عام ١٧٩٢ حيث عفى عن قياداته إلى بغداد لتسخدمه الدولة بعد ذلك في حرها ضد الوهابيين .
وبعد

فقد خاضت البصرة عبر تاريخها الطويل حروباً متعددة ونشأت فيها إمارات مختلفة استقلت تارة وعقدت تحالفات مع ما جاورها أو بعد عنها ولكنها كانت دوماً اسيرة وضعها الجيو - سياسي بوصفها مفتاح الخليج العربي والبر العراقي ومكان اصطدام القوى الكبرى (آنذاك) ببعضها إضافة إلى كونها متار اعجاب التوار على العثمانيين والفرس ومكان لجوئهم إليها وحررتهم فيها .

ولاشك أن وثائق عديدة ما تزال بعيدة عن متناول اليد - لسبب أو لآخر - ستكتشف بصورة أكثر جلاء عن مدى مقاومة البصريين للغزو والمحاصرة وللاحتلال وعن مدى استنادهم للamarat والدواليات العربية والمشائير المجاورة كالدولة المشععبة وأمامرة الحويزة وقبان وامارات الجزائر ولو استطاع رجال كل مرحلة منها المراحل التاريخية في هذه المنطقة الحيوية من ارض العراق والخليج ان يجتمعوا ويوحدوا قواهم ضد الغزو الغارسي او الاسطهاد العثماني لفعلوا الكثير لكن مشكلة التاريخ انه لا يعرف « لو » وان الاحداث مرهونة بظروفها وما قدمناه من اوراق لا يدل على وجود غرزة اجانب وحكام لا يهتمون باصالة وحرية هذه المدينة

وصول اسطولهم وضع سليمان عبداً من الزوارق الكبيرة في صدر نهر العشار وربط بعضها بالسلاسل لمنع الاسطول من النفاذ فارتاح المدافعون لهذا العمل والتحق الشيخ ثامر السعدون بالبصرة وعهد للشيخ عبد الله بحماية الزبير .

وفي السادس عشر من نيسان بدأ الإيرانيون الهجوم ومحاولة تسلق السور فيما « ابل البصريون وخاصة المنتفكين اتبع ثامر بلاء حسناً في الذب عن المدينة خاصة وكانوا يسمعون هلاهل نسائهم وصرخاتهن داعيات لهم بالتشجيع وضبط القبطان بكل قواه صدر النهر فخاب الهجوم وما طلع النهار حتى شوهدت رؤوس الإيرانيين معلقة على أبواب السور »^(٢٤)

و رغم أن هذا الهجوم قد دفع الانكليز للتخلص عن المساعدة ومقاومة صادق خان سراً ثم انسحاب اسطولهم فأن امام عمان تعهد لتسليم البصرة بالتجهيزات (ووعد بدفع الجرارة له وامسك سفنه الاجير عنان الشط وضبيطته طول صيف ١٧٧٥)^(٢٥) وهكذا اخذت المؤن والذخائر تصل البصرة عبر الشط من عمان ومن بنى خالد والمنتفك عبر الطريق البري مما مكن البصرة من الصمود ولكن الضيق بالداخل اشتد واع الاهالي كل ما يملكون للحصول على الطعام ، وفي منتصف نيسان ١٧٧٦ نفذت المواد والذخائر داخل المدينة وهلك الكثيرون من الجياع ولم تتحرك استانبول للمساعدة الجدية فقاوموا سليمان باشا صادق خان بعد حصار دام ١٤ شهراً فدخل صادق المدينة في آخر اربعة من صفر ١١٩٠ (١٥ نيسان ١٧٧٦ م) وقد القى القبض على المتسلم والدفترى وصاحب الكمرك وسائر الوجوه والاعيان واستولى على اموالهم الظاهرة والخفية وارسلهم اسرى إلى كريم خان في شيراز ثم انه اراد أن يأخذ الاموال الأخرى من البصرة فتعدى وتجاوز بظلم وعسف وسلب الاهلين من اعيان وادانى فلم يذر احداً الا غرمته وانتهبه وصار اهل الثراء لا يستطيعون الحصول على قوت يومهم وإنما كانوا يمدون يد الاستجداء »^(٢٦) ثم عين علي محمد خان بديلاً عنه وغادر البصرة التي عانى سكانها آنذاك « الطاعون المروع واهوال المجاعة واحتلال الجندي الاجنبي للبيوت »^(٢٧) وفي وقت حافظت فيه الزبير على جو من الحرية القلقة لبضعة أشهر .

كان من نتائج الحصار وبخوض قوات صادق المدينة ازيد من حوادث الخطف والسرقات وفقدان الامن فشن على محمد خان (على البلد اجمع غارة هوجاء خلواً من الرحمة وحدث خلال المذبح السهلة التي جرت في سكان البلد العزل عن الدفاع أن قتل جماعة من الشيخ المنتفك)^(٢٨)
وهو امر دفع ثامر السعدون وصحبه للانتقام .

وفي الوقت الذي اندفع فيه محمد علي خان عدة اميال داخل اراضي المنتفك بستة ألف رجل وثمانية عشر زورقاً تحمل المدافع اعتمد ثامر في منطقة الفضيلية على ميعدة من العرجنة التي كان الإيرانيون يتقدموها إليها وهم يعقبون قبائل المنتفك التي تظاهرت بالانسحاب ، وما ان وقع الإيرانيون في الفخ حتى شنت قوات ثامر وثويني هجومها عليهم فهلك منهم المئات سباحة وقتل اعداداً اخرى بينها القائد علي محمد ذاته ولم ينج منهم سوى ثلاثة انفار على ما يذكر لونكر في وقت يذكر فيه عثمان بن سند (ص ٨٨ وما تلاها) ان الهجوم الآخر ... قتل فيه علي محمد خان في أبي حلة ، والمهم هنا ان صادقاً عاد إلى البصرة محاولاً

خطأ !

دوماً بسبب قوة الاعداء وضيقهم المتواصل على هذه المدينة الشام
يحضّلاتها وتاريخها العريق .

المربيّة الإسلامية بل يكشف عن صفحات نية من الصمود الشعبي
البصري أيضاً في ظروف صعبة باللغة التعميد والولاءات لم تتح للبطولة
البصرية أن تنسود بشكل واضح الا عند تيسير الظروف التي ما كانت كذلك

الهوامش

- ١٠ - لونكريك - من ١١٣ .
- ١١ - عباس العزاوي - تاريخ العراق بين احتلالين - الجزء الخامس - شركة التجارة والطباعة - بغداد - من ١٩٥٣ - ص ١٤٤ .
- ١٢ - عباس العزاوي - المصدر السابق - الجزء السادس - ص ٥١ .
- ١٣ - عثمان بن سند الوائلي - مطالع السعود - تحقيق د . عماد عبد السلام رفوف وسهيلة عبد المجيد القيسى - اصدار وزارة الثقافة والاعلام - الدار الوطنية للنشر - مطبعة دار الحكمة - الموصى - ١٩٩١ - ص ٨٢ .
- ١٤ - العزاوي - المصدر السابق - ج ٦ - ص ٥٦ .
- ١٥ - العزاوي - المصدر السابق - ج ٦ - ص ٥٧ .
- ١٦ - ابن سند - ص ٨٤ .
- ١٧ - لونكريك - من ١٢٩ .
- ١٨ - لونكريك - من ١٢٩ .
- ١٩ - لونكريك - من ١٨٧ .
- ٢٠ - لونكريك - من ٢٨٨ .
- ٢١ - العزاوي - المصدر السابق - ج ٦ - ص ٦٠ .
- ٢٢ - العزاوي - المصدر السابق - من ١٨٩ .
- ٢٣ - العزاوي - المصدر السابق - من ٩٨ .
- ٢٤ - ابن سند - من ١٧٠ .
- ١ - د . عبد العزيز سليمان نوار - داود باب وبي - بغداد - دار الكاتب العربي - القاهرة - ١٩٦٨ - ص ١٠ .
- ٢ - الحسني - م . من - من ١٧٨ .
- ٣ - يسميه الحسني (علي باشا) ويحمل جملة خياط في ص ٩٩ من ترجمته لكتاب لونكريك الى تسميته بـ (ايوب) فيما يؤكد لونكريك ان اسمه (علي باشا) ! .
- ٤ - فتح الله الكعبى - زاد المسافر - بغداد - مطبعة الفرات - ١٩٢٤ من ١٧ .
- ٥ - لونكريك - م . س . من ٩٩ .
- ٦ - المصدر السابق من ١٠٢ .
- ٧ - المصدر السابق من ١٠٣ .
- ٨ - يتم لهم لونكريك منصور المشمشي أمير الحوريرة بـ (الدسائس) على الایرانيين والواقع ان الرجل لم يكن يزيد الحرب ضد البصرة واهلها ، الامر الذي دفع بحاكم شيراز الى غزو الحوريرة وخلع منصور وتعيين محمد بن مبارك بدلاً عنه فلنجاً منصور الى علي باشا بن افواسياب الذي رحب به ومنحه ارتياً مجاورة لحدود ملكه القديم - راجع الصفحات ٢٠ - ٢٨ من كتاب (اماراة كعب المربيّة في القرن الثامن عشر) تأليف : د . علاء موسى كاظم نورس - د . هشام عبد السلام رفوف - اصدار دار الرشيد - بغداد ١٩٨٢ .
- ٩ - لونكريك - من ١١٣ .

صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة



خطأ !

دراسة

(حصار بغداد في العصر العباسي) (صمودها وانتصارها)

بقلم : د . حسين أمين

اتحاد المؤرخين العرب - بغداد

بالوجود السلجوقي ويمكننا القول ان الكفاح من اجل استرداد هيبة الخليفة والعمل على التخلص من الحكم السلجوقي بدأ في عهد الخليفة العباسي المسترشد بالله ، ويبدو ان استمرار الاضطرابات وشدة التدخل السلجوقي في شؤون الخليفة العباسية كانت من العوامل الاساسية في ان تحفز الخليفة المسترشد وتبعث فيه روح التورة ضد تلك الاوضاع والعمل على استرداد الحقوق المسلوبة من الخليفة ومن اهمها الاستقلال والسيادة ، ومن الامور التي شجعت الخليفة المسترشد على النهوض ضد السلاجقة ، الانقسامات التي ابنته بها السلطنة السلجوقية والمنازعات المستمرة بين السلاطين والامراء السلajقة .

والخليفة المسترشد امتاز بأنه كان مرهف الحس مدركاً للظروف كما كان على جانب من النقطة والشجاعة والذكاء ، اقول انه مرهف الحس لانه كما اعتقاد أحسن بالظلم واللام الشديدة التي يعيشه الشعب من الحكم المضطرب والقلق المستبد ، كما احسن بانحراف السلاجقة عن مقاصدهم الحسنة إن كانت لهم تلك المقاصد حين فرض العباسيون امورهم الى السلاجقة ، ومن مأثور قول الخليفة المسترشد بالله قوله : فَوْضُنَا امْرُنَا إِلَى آل سُلْجُوقْ ، فَبَيْغُوا عَلَيْنَا ، فَنَطَّالُ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ ، فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَكَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسْقُونْ^(١) ، ان هذا النص دليل قوي على تفهم عميق وادران باللغ لما وصلت إليه الامور من التحكم الاستبدادي والظلم والفساد .

أخذ الخليفة المسترشد يستعد لطوارئ الحرب التي قد تحصل بينه والسلاجقة ، وبدأ ببناء السور ، سور بغداد الشرقية ، الذي يعد من الاعمال الجليلة للخليفة المسترشد وسترى ان هذا السور سيحمي مدينة بغداد من الغارات والاعتداءات .

في سنة ٩٤٦ - ١٠٥٥ هـ / ١١٣١ م توفي السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه^(٢) ، وبذلت المنازعات في صفو السلاجقة للاستحواذ على السلطة والنفوذ ، وتمكن السلطان مسعود من ان يجعل السلطنة له مستقرة في العراق^(٣) ، ثم وقعت الحرب بين السلطان مسعود وعمه

واجهت بغداد مرات عديدة الحصار المضروب عليها بتحد كبير وصبر عظيم ، وهي في كل مرة تخرج من ذلك البلا منتصرة شامخة عالية الرأس موفورة الكرامة ، وهي في كل مرة وبفضل رجالها الميامين الشجعان تضرب مثلًا عاليًا للصمود والصبر والثبات في مواجهة الاعداء والطاغفين . وفي هذا البحث نقدم نماذج من المواقف الوطنية لخلفاء بنى العباس وأهل بغداد الذين كانوا يقفون في كل مرة متحدين الطفاة والمعذبين ، يدافعون عن مدینتهم الخالدة بغداد ويدافعون عنها كل شر وأذى ، ومن الامثلة الراوحة لموقف البغداديين ، دفاعهم باستماتة عن مدینتهم بغداد عند فرار الخليفة العباسى المستعين بالله من سوء تصرفات الاتراك الذين استحوذوا على امور الخليفة ، فاستقبله اهل بغداد ، ولما علم الخليفة ان الاتراك سوف يجهزون جيشاً يخرج من سامراء لاحتلال بغداد قرر بناء سور يحمى الجانبين الشرقي والغربي من بغداد ، فخرج اهل بغداد يশمروا عن ساعده الجد وباشروا ببناء السور ليلاً ونهاراً ، واستكمل السور في مدة قصيرة وضم في الجانب الشرقي محلات بغداد الثلاث ، الشمالية والرصافة والمخرم ، وضم سور الجانب الغربي محلات بغداد امامهم سوراً حصيناً وبالمدينة المدورة ، ولما وصل الاتراك الى بغداد وجدوا امامهم سوراً حصيناً وان أهل بغداد يقفون مع الخليفة المستعين بكامل عندهم القتالية رفاعاً عن مدینتهم وكرامتهم وحماية خليفتهم ، كما وقف العبارون موقفاً مشرقاً وقاتلوا المعذبين قتالاً عنيقاً ، ولما وجد الاتراك صلابة وصمود وشجاعة البغداديين عادوا الى سامراء بعد ان حاصروا الجانبين الشرقي والغربي من بغداد لاكثر من سنة ، فكان ذلك نصراً كبيراً لبغداد وابتها في الصمود والصبر والتحدي .

ووقدت بغداد فريسة بآيدي البيهيين من سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ ٩٤٦ - ١٠٥٥ م ثم احتل السلاجقة بغداد ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م وصاروا يتذلّلون في شؤون الخليفة ويعملون على حرمان الخلفاء العباسين ، من إمتيازاتهم والانتهاص من سلطاتهم فأخذ الخليفة العباسيون يخططون من اجل التخلص من التفوق الاجنبي المتمثل

خطأ !

بعد مسيرة الخليفة الراشد مع عماد الدين زنكي إلى الموصل ومن هناك سار إلى أذربيجان ثم إلى مراغة فاجتمع فيها بالملك داود والامير منكوبوس صاحب فارس وبعض الأمراء الآخرين واتفقا على حرب مسعود ، واشتتب جيش الخليفة مع جيش مسعود في معركة كان النصر فيها لل الخليفة ، ولتجه جيش مسعود إلى أذربيجان بينما قصد الملك داود همدان وكانت الهزيمة قد الحقت بجيش مسعود داود ، وهذا من اعجب الاتفاق كما يقول ابن الأثير^(١) . وبقى الخليفة الراشد وحده في جـ.أـ.عـ.ةـ من العساكر العجم فاتجه إلى أصفان ، وفي الخامس والعشرين من رمضان سنة ٥٣٢ هـ / ١١٢٧ م ، وتب على الخليفة الراشد نفر الخراسانيين من الذين كانوا في خدمته . فقتلوا . ويعتقد ابن الجوزي أن الذين اغتالوا الراشد كانوا من الباطنية^(٢) .

ان مقتل الخليفة الراشد بالله كان له اثر كبير في نفوس المسلمين بعامة وال伊拉克ين وخاصة ، وان استشهاده من اجل تثبيت دعائم الخلافة العباسية ، حفز النفوس واقتنطها ، بل وألهب الحماس الوطني والدين في صدور الخلفاء والأمراء والعاشرة ، وكان له الأثر الكبير في دعم الخلافة وتقويتها وفي اضعاف السلاجقة وانهيارهم .

واباع المتنفذون خليفة هو محمد بن المستظر ولقب (المقتني لامر الله)^(٣) وفي الحقيقة ان المقتني لامر الله لم يكن إلا نموذجاً حياً للتفكير السليم في انتهاج سياسة حكيمـةـ وفي اتخاذ الخطوات الناجحةـ والتـابـيرـ المحكمةـ للخلاصـ من حـكـمـ السلاجـقةـ . وهو أـىـ الخليـفةـ وـانـ نـصـبـهـ السـلاـجـقةـ خـلـيقـةـ إـلـاـ أـنـ صـارـ يـدـبـرـ الـأـمـوـرـ بـحـكـمـ وـدـرـايـةـ لـلـإـيقـاعـ بالـسـلاـجـقةـ وـصـارـ يـرـقـبـ الـحـوـادـثـ كـمـاـ يـرـقـبـ الـمـنـازـعـاتـ وـالـخـصـومـاتـ التـيـ استـرـتـ بـيـنـ اـمـرـاءـ السـلاـجـقةـ وـادـتـ إـلـىـ اـضـعـافـهـمـ وـاضـحـالـهـمـ، إـضـافـةـ إـلـىـ كلـهـاـ كـانـ يـحـمـلـ فـكـرـةـ سـيـنـةـ عـنـ حـكـمـ السـلاـجـقةـ وـتـحـكـمـهـ بـأـمـورـ الـخـلـافـةـ مـنـهـمـ الـذـينـ جـرـوـهـ مـنـ كـلـ مـاـ يـمـلـكـ مـنـ الـخـيـولـ وـالـمـتـكـلـاتـ، كـيـ يـكـوـنـ تـحـتـ رـحـمـتـهـ وـاسـيـراـ عـنـهـمـ^(٤) . وـكـانـ مـوـقـعـ الـخـلـيقـةـ حـازـماـ اـمـاـمـ مـطـلـبـ السـلـطـانـ مـسـعـودـ بـعـقـدـارـ مـالـ، فـاعـتـنـىـ الـخـلـيقـةـ بـعـدـ توـفـرـ الـمـالـ عـنـهـ وـبـيـنـ لـهـ اـنـ السـلاـجـقةـ سـيـطـرـوـاـ عـلـىـ كـلـ شـيءـ وـلـمـ يـبـقـ لـلـخـلـيقـةـ مـنـ مـرـقـقـ يـدـرـ عـلـيـهـ الـمـالـ لـيـقـدـمـ إـلـيـهـ .

ونتيجة لاعمال السلاجقة التعسفيةـ ، فقد ضـرـجـ اـهـلـ بـغـدـادـ مـنـ غـلـاءـ الاسـمـارـ وـفـقـدانـ العـدـلـ وـاـنـعـدـامـ النـظـامـ وـتـوـلـ الـاـمـرـ رـجـالـ عـرـفـواـ بـعـدـ النـزـاهـةـ وـالـاخـلـاصـ، فـفـيـ سـنـةـ ٥٤٢ هـ / ١١٤٧ مـ بـلـغـ الـكـرـ الشـعـيرـ اـرـبعـينـ دـيـنـارـاـ وـالـحـنـطةـ ثـمـانـيـنـ دـيـنـارـاـ ، وـلـكـنـ الشـحـنةـ ثـادـىـ فـيـ الاسـواقـ انـ لاـ تـبـاعـ الكـارـةـ التـقـيقـ إـلـاـ بـدـيـنـارـ ثـادـىـ هـذـاـ الـاـجـرـاءـ الـاـرـتـجـالـيـ إـلـىـ غـلـقـ الدـكـاكـينـ وـاـنـعـدـامـ الـخـيـرـ عـنـ الـاـسـوـقـ اـرـبـعـةـ اـيـامـ وـاسـتـمـرـ شـهـراـ حـتـىـ عـادـتـ الـاسـعـارـ تـتـرـاـخـىـ^(٥) .

انـ ذـلـكـ مـنـ عـلـامـ الـاـنـهـيـارـ وـالـاستـيـاءـ الـعـامـ، وـاـخـذـ الـخـلـيقـةـ يـعـملـ بـعـكـرهـ السـلـيمـ وـيـدـبـرـ لـلـاـمـرـ تـدـبـيـرـهـ الـمـحـكـمـ، فـاـخـذـ فـيـ تـقـوـيـةـ مـرـكـزـ الـخـلـافـةـ وـعـملـ عـلـىـ تـقـوـيـةـ جـيـشـ الـذـيـ كـانـ يـرـعـاهـ وـيـسـتـعـرـضـهـ فـيـ كـلـ مـنـاسـبـ، وـأـمـرـ بـحـفـرـ الـخـنـاقـ بـبـغـدـادـ، كـمـ ثـادـىـ بـلـجـسـ الـعـوـامـ السـلاـجـقـ، أـيـ يـسـتـعـدـوـاـ لـلـطـوـارـيـءـ وـيـكـوـنـواـ قـادـرـينـ عـلـىـ دـفـعـ الـعـدـوـانـ عـنـ اـنـفـسـهـمـ وـاـمـوالـهـ^(٦) ، كـمـ اـمـرـ بـاـصـلـاحـ السـوـرـ، تـلـكـ اـنـ السـوـرـ حـدـثـتـ بـهـ تـلـ وـخـرـجـ الـمـوـاـمـ بـالـاـلـاتـ فـعـمـرـوـهـ وـحـفـرـواـ خـنـدقـاـ^(٧) . هـذـاـ جـانـبـ مـنـ الـاـسـتـعـدـادـاتـ وـصـورـةـ مـنـ تـجـاـوبـ الـعـامـةـ فـيـ بـغـدـادـ وـتـعـاوـنـهـمـ مـعـ خـلـيقـتـهـمـ الـذـيـ لـمـسـواـ فـيـ الـاـخـلـاصـ وـالـهـمـةـ مـنـ اـجـلـ

الـسـلـطـانـ سـنـجـرـ، وـحاـوـلـ عـمـادـ الـدـيـنـ زـنـكـيـ وـحـلـيقـهـ دـبـيـسـ بـنـ صـدـقـةـ، اـحـتـلـ بـغـدـادـ، فـوـقـ الـخـلـيقـةـ مـوقـعاـ حـازـماـ وـصـدـ تـلـكـ الـمـحاـوـلـةـ بـشـدـةـ وـاـوـقـعـ هـزـيـمةـ بـجـيـشـ صـدـقـةـ، كـمـ تـفـرـتـ جـمـاعـةـ عـمـادـ الـدـيـنـ زـنـكـيـ الـذـيـ وـلـيـ مـنـهـماـ^(٨) . وـفـيـ سـنـةـ ٥٢٧ هـ / ١١٢٢ مـ هـاجـمـ الـخـلـيقـةـ الـمـسـتـرـشـدـ بـالـلـهـ مـدـيـنـةـ الـمـوـصـلـ لـيـتـارـ مـنـ عـمـادـ الـدـيـنـ زـنـكـيـ عـلـىـ مـاـ فـعـلـ بـبـغـدـادـ وـحـاـصـرـوـهـ ثـلـاثـةـ اـشـهـرـ، ثـمـ تـوـجـهـ بـعـدـهـ إـلـىـ بـغـدـادـ^(٩) . وـهـنـاـ نـلـاحـظـ لـأـوـلـ مـرـةـ بـعـدـ مـرـةـ طـوـلـيـةـ، خـرـوجـ خـلـيقـةـ عـبـاسـيـ عـلـىـ رـأـسـ جـيـشـ خـارـجـ دـارـ مـلـكـهـ لـيـحـارـبـ مـنـاؤـيـهـ، وـانـ دـلـ هـذـاـ اـنـمـاـ يـدـلـ عـلـىـ اـسـتـعـادـةـ الـخـلـافـةـ لـبـعـضـ حـيـويـتـهـاـ وـنـشـاطـهـاـ .

وـفـيـ سـنـةـ ٥٢٩ هـ / ١١٢٤ مـ حـدـثـ جـفـوةـ بـنـ الـسـلـطـانـ مـسـعـودـ السـلـجوـقـيـ وـالـخـلـيقـةـ الـمـبـشـرـ بـالـلـهـ، وـاـشـتـدـتـ تـلـكـ الـجـفـوةـ بـيـنـهـمـ إـلـىـ دـرـجـةـ اـنـ سـارـ الـخـلـيقـةـ عـلـىـ رـأـسـ جـيـشـ كـبـيرـ لـمـحـارـيـةـ مـسـعـودـ، وـكـانـ فـيـ جـيـشـ الـخـلـيقـةـ الـكـثـيرـ مـنـ اـمـرـاءـ السـلاـجـقةـ الـذـينـ شـجـعـوـاـ الـخـلـيقـةـ عـلـىـ الـقـيـامـ بـحـمـلـةـ حـرـبـيـةـ ضـدـ مـسـعـودـ السـلـجوـقـيـ، كـمـ تـسـلـمـ الـخـلـيقـةـ الـكـثـيرـ مـنـ الـمـكـاتـبـ مـنـ اـصـحـابـ الـاـطـرـافـ، يـيـذـلـوـنـ فـيـهـاـ الـظـاءـعـةـ وـالـمـسانـدـةـ فـيـ حـرـبـهـ لـلـسـلـطـانـ مـسـعـودـ، وـلـكـنـ مـسـعـودـ هـذـاـ تـمـكـنـ بـدـهـاـ مـنـ مـصالـحةـ الـكـثـيرـ مـنـ اـوـلـكـ الـاـمـرـاءـ الـخـارـجـةـ عـلـيـهـ كـمـ نـجـحـ فـيـ اـنـ يـجـعـلـهـمـ مـنـ اـعـوـانـ، وـلـمـ يـبـقـ مـعـ الـخـلـيقـةـ الـمـسـتـرـشـدـ بـالـلـهـ إـلـىـ عـدـدـ قـلـيلـ مـنـ الـجـيـشـ بـلـغـتـ عـدـتـهـ خـمـسـةـ لـافـ مـقـاـلـ^(١٠) ، وـتـقـابـلـ الـخـلـيقـةـ وـجيـشهـ مـعـ جـيـشـ مـسـعـودـ فـيـ دـاـيـرـجـ^(١١) ، وـفـلـسـفـلـ مـنـ تـلـكـ الـوـقـعـةـ ضـعـفـ جـيـشـ الـخـلـيقـةـ وـمـظـاهـرـ الـخـيـانـةـ وـالـفـدـرـ، فـقـدـ اـنـضـمـتـ مـيـسـرـةـ الـخـلـيقـةـ إـلـىـ جـيـشـ الـمـدـوـ وـقـاتـلـتـ الـمـيـمـةـ قـتـالـاـ ضـعـيفـاـ وـلـكـنـ الـخـلـيقـةـ أـبـلـيـ فـيـ تـلـكـ الـمـعرـةـ الـتـلـاءـ الـعـظـيمـ وـكـانـتـ النـتـيـجـةـ اـنـ وـقـعـ الـخـلـيقـةـ اـسـيـراـ بـاـيـدـيـ الـاعـدـاءـ^(١٢) .

وـاـمـرـ مـسـعـودـ السـلـجوـقـيـ بـنـصـبـ خـيـمـةـ لـلـخـلـيقـةـ وـانـ تـلـقـهـ طـبـولـ الـنـوـبةـ، وـانـ يـتـلـزـلـوـنـ فـيـ اـحـتـرـامـ وـوـقـارـ وـبـرـيـتـبـواـ لـهـ جـمـيعـ وـسـائـلـ الـمـطـبـخـ وـالـمـشـرـبـ^(١٣) ، وـفـيـ السـابـعـ عـشـرـ مـنـ ذـيـ الـقـدـمـةـ ٥٢٩ هـ / ١١٢٤ مـ هـجـمـ عـلـىـ خـيـمـةـ الـخـلـيقـةـ الـمـسـتـرـشـدـ بـالـلـهـ، جـمـاعـةـ فـقـتـلـوـاـ الـخـلـيقـةـ وـمـنـ مـعـ وـقـدـاـتـهـمـ مـسـعـودـ السـلـجوـقـيـ، الـبـاطـنـيـةـ فـيـ اـقـتـارـ تـلـكـ الـجـريـمـةـ^(١٤) ، وـبـوـبـعـ لـوـلـدـهـ اـبـنـ جـعـفرـ الـمـنـصـورـ الـذـيـ لـقـبـ (ـالـراـشـدـ بـالـلـهـ)ـ بـالـخـلـافـةـ، وـهـكـذـاـ سـقـطـ الـمـسـتـرـشـدـ بـالـلـهـ شـهـيدـاـ مـنـ اـجـلـ سـيـادـةـ الـخـلـافـةـ وـاـسـتـقـلـلـاـهـ مـنـ التـحـكـمـ الـاعـجمـيـ، وـصـارـ الـمـسـتـرـشـدـ بـالـلـهـ خـيـرـ مـثـلـ إـحـتـذـىـ بـهـ الـخـلـافـاءـ الـذـينـ سـارـوـاـ عـلـىـ نـهـجـهـ فـيـ مـقاـوـمـةـ الـسـلاـجـقةـ وـاـضـعـافـهـمـ .

وـمـنـذـ اـنـ تـوـلـيـ الـرـاشـدـ بـالـلـهـ الـخـلـافـةـ بـعـدـ اـسـتـشـهـادـ وـالـدـهـ الـمـسـتـرـشـدـ جـعـلـ جـلـ هـمـ الـثـالـثـ لـوـالـدـ وـنـصـبـ الـعـدـاءـ إـلـىـ الـذـينـ فـتـكـواـ بـهـ وـصـارـ يـعـملـ عـلـىـ تـكـوـينـ حـلـفـ قـوـىـ لـمـواجهـةـ الـسـلـطـانـ مـسـعـودـ الـذـيـ عـظـمـ تـفـونـهـ بـعـدـ مـقـتـلـ الـمـسـتـرـشـدـ بـالـلـهـ، وـوـقـفـ الـخـلـيقـةـ الـرـاشـدـ اـمـاـمـ اـطـمـاعـ الـسـلـطـانـ مـسـعـودـ وـمـسـعـودـ اـمـتـعـ بـشـدـةـ عـنـ دـفـعـ مـالـ طـالـبـ بـهـ الـسـلـطـانـ مـسـعـودـ مـنـ الـخـلـافـةـ، فـتـاهـدـ الـخـلـيقـةـ ضـدـ الـسـلـطـانـ مـعـ الـمـلـكـ دـاـوـدـ وـعـمـادـ الـدـيـنـ زـنـكـيـ صـاحـبـ الـمـوـلـدـ وـجـيـشـ الـسـلـجوـقـيـ مـنـ الـمـوـلـدـ بـالـلـهـ، فـتـاهـدـ الـخـلـيقـةـ بـقـطـعـ خـطـبـهـ مـسـعـودـ فـيـ الـعـرـاقـ^(١٥) ، فـاتـجـهـ مـسـعـودـ السـلـجوـقـيـ نـحـوـ بـغـدـادـ، فـحـدـثـ اـضـطـرـابـ فـيـ عـاصـمـةـ الـخـلـافـةـ، وـلـمـ وـصـلـ مـسـعـودـ إـلـىـ اـطـرـافـ بـغـدـادـ قـامـ بـحـسـارـهـ، فـتـارـ الـعـيـارـوـنـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ وـاحـدـتـواـ فـيـهـاـ الـفـوـضـ وـافـسـدـواـ الـأـمـرـ عـلـىـ الـخـلـيقـةـ وـتـنـطـيـمـاتـ، وـاـخـذـ بـعـضـ حـلـفاءـ الـخـلـيقـةـ . بـالـتـفـرـقـ مـاـ اـضـطـرـ الـخـلـيقـةـ إـلـىـ مـقـارـدـةـ بـغـدـادـ بـصـحـيـةـ عـمـادـ الـدـيـنـ زـنـكـيـ الـذـيـ اـنـتـلـقـ بـهـ الـمـوـلـدـ^(١٦) .

خطأ !

انقاذ خلافتهم من حكم السيطرة السلجوقية .

ونتيجة للسياسة الحكيمية التي اتبعها الخليفة المقتفي لامر الله صار يستعيد الامميات التي فقدتها الخلفاء العباسيون بحكم انصياعهم وضففهم ، مستغلاً ضعف السلطان مسعود في اواخر أيام حكمه ، وفي سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م توفي السلطان مسعود وبذلك فقدت الدولة السلجوقية ركناً كبيراً واخذت تلك الدولة تتداعى وتبع في خضم من المنازعات والفتن وقوى جانب الخليفة واصبح هو السيد المطاع في دولته ولله الكلمة النافذة ، وزارت هيبة وعلت كلمته ، ومما قوى جانب الخليفة ان الخليفة اختار شخصية مهمة وقوية هي شخصية عون الدين بن هيبة الذي وزر لل الخليفة المقتفي لامر الله سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م وقام بواجباته احسن قيام ، وكانت له الخدمات الجليلة التي اضفت على الخليفة العباسية الخير والقوة وبقي في منصبه حتى توفي سنة ٤٦٠ هـ / ١١٦٥ م .

واغتنم الخليفة المقتفي فرصة وفاة السلطان مسعود وضعف الدولة السلجوقية وتفرق كلمتهم في العالم الاسلامي ، فاقتصر الخليفة دار الشحنة ببغداد (مسعود بن بلا) الذي هرب الى تكريت ، كما تبض الخليفة على الكثير من اصحاب السلطان ، ودفع الخليفة بالسيطرة على تكريت التي اتخذها مسعود بن بلا شحنة ببغداد المنزه قاعدة لتحركاته ضد الخليفة كما نجع الخليفة بائزال الهزيمة بجيش سلجوقي بقيادة سلاركود الذي وجهه السلطان الجديد ملكشاه ، فقاد الجيش العباسي الوزير ابن هيبة الذي هزم جيش السلطان .

افتظ السلطان الجديد من تعاظم نفوذ الخليفة العباسى والذي أصبح خطراً على السلطة السلجوقية ، فتوجه السلطان محمد على رأس جيش كبير من ذي الحجة سنة ٥٥١ هـ / ١١٥٦ م وحاصر بغداد ، وصمد اهل بغداد المصود العظيم ووقفوا موقفاً مشيناً يدافعون عن

الهوامش

- ١ - النظامي العروضي السمرقندى : جيهار مقالة من ٣١ ترجمة عبد الوهاب عزام وبحر الطشان
 - ٢ - ابن الجوزي / المنتظم ح ١٠ من ٤٤ - ٥٠
 - ٣ - ابن الائىر / التكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٦
 - ٤ - ابن الجوزي / ح ١٠ من ٢٦
 - ٥ - ابن الائىر / حوادث سنة ٥٢٧
 - ٦ - ابن الجوزي / المنتظم ح ١٠ من ٤٤ - ٥٠
 - ٧ - زايمرج / موقع ماء بالقرب من همدان
 - ٨ - ابن الائىر / حوادث سنة ٥٢٩
 - ٩ - الرواندى / راحة الصدور من ٢٣٠
 - ١٠ - ابن الائىر / حوادث سنة ٥٢٩
- العماد الاصفهانى / زيدة النصر من ١٧٧ - ١٧٨
 - ١١ - ابن الائىر / حوادث سنة ٥٢٠
 - ١٢ - المرجع السابق / حوادث سنة ٥٢٠
 - ١٣ - ابن الائىر / حوادث سنة ٥٢٢
 - ١٤ - ابن الجوزي / المنتظم ح ١٠ من ٧٢
 - ١٥ - راحة الصدور من ٢٢٢
 - ١٦ - ابن الجوزي / المنتظم ح ١٠ من ٦٠
 - ١٧ - المرجع السابق ح ١٠ من ١٢٥
 - ١٨ - المرجع السابق ح ١٠ من ١٣٣
 - ١٩ - ابن الائىر / حوادث سنة ٥٤٣

صبر العراقيين وثباتهم في حصار الكوت

بقلم: حميد مجید هدو

التحركات التي بدأت تظهر في أرجائها والتي ادت في النهاية إلى الثورة البشغفية عام ١٩١٧ مما جعل روسيا تتسحب ولو شكلياً من الميدان العسكري.

لقد تحركت الحملة البريطانية الى العراق بقيادة الجنرال ديلامن فاتجهت الى البحرين ورابطت فيها ثم صدرت الأوامر في اوائل تشرين ١٩١٤ بالاتجاه شمالاً فوصلت الى بر شط العرب في ١٦/١١/١٩١٤ واستطاعت ان تستولي على القاوه وفي اليوم نفسه اصدر بريسي كوكس الذي كان يرافق الحملة - رئيساً للحكام السياسيين بياناً اشار فيه الى اسف الحكومة البريطانية لانها قد اعلنت موقف العداء والحرب عليها و ايدت عدواً لا مسوغ له (١) مشيرة الى قيام وحدة من الاسطول العثماني الذي كان تحت القيادة الالمانية بضرب الموانئ الروسية الواقعة على البحر الاسود (٢) وقد طمان هذا البيان السكان المحليين (كما هي عادة الانكليز) بأن لا يخافوا من شيء لأن القوات البريطانية سوف لا تتعرض لهم ولا لاموالهم اذا وقفوا ودياً منهم وعلى الحياد من الجنود الاتراك. وفي ٢٣ / ١١ / ١٩٤١ وصل الجنرال بارييت الى البصرة على رأس قواته ومهما بريسي كوكس ورفع العلم البريطاني على السراي تم تقدمة الجيوش البريطانية الى القرنة لتحتلها لانها كانت ذات موقع عسكري مهم فهي ملتقى دجلة والفرات وباحتلالها تكون قد حسمت جبهة البصرة . ومن هنا بدأت عمليات المجاهدين العراقيين الذين استنكروا هذا الاحتلال فتصدىت القوات الشعبية العراقية للقوات الفارسية واذاقتهم الويل والتبور متسلحة بالعقيدة والإيمان وبعدالة قضيتها.. صابرة على البلاء الذي حل ببلادهم العزيزة فدخلوا في معارك غير متكافئة مع القوات البريطانية التي تفوقهم في السلاح والعتاد والتقنية والتدريب وعندما وصلت اخبار ذلك الاحتلال الى بعض المدن الجنوبية الأخرى ومنها الشطرة هجمت المشائر على سراي الحكومة وتنكّت الجناد بانتزاع الاسلحة من ايدي الجنود الاجانب وهرب الموظفون الاتراك من المدينة (٣).

وما تولّت الهزائم للاتراك نشط العراقيون المجاهدون في تهديد الجيش البريطاني والدخول في معارك حامية خاصة في اثناء الليل وكانت حقاً بطولات خارقة كما وصفها اكثر من مؤرخ انكليزي وشهد بصير العراقيين وجهائهم وثباتهم.

الحصار سلمته الشيطان على الشعوب الخيبة.. سلاح لن يتم يمتلك ناصيته الطفاة لينالوا به ما يريدون.. ولا اظن ان بلداً قد عانى من ويلاته عبر المصور كما عانى العراق بكل منه وقصباته والانكى ان تكبد مدينة من منه المعرفة من ويلات الحصار بسبب خلاف بين دولتين اجنبيتين لا تربطهما بتراث الوطن ثمة آمرة صفية او كبيرة.. كما حصل لمدينة الكوت الباسلة التي نحن بصدده استنكار حصارها المفجع يوم وقعت فريسة بين ذي كمامة الانكليز الغزاة والاتراك المحثثين.. ولنا في قصتهم عبرة . ولا ندعي باننا سناطي بجديد عن حصار هذه المدينة الصابرة من مدن العراق التي ابتليت بالاطماع الاستعمارية على مدى التاريخ فقد كتبت عنها مصادر تاريخية كان منها العراقي والعربي والاجنبي كل رسم لنفسه خطأً معيناً في التحدث عن مجريات الامور في هذا الحدث المهم الذي علمتنا الصبر والمجاهدة والشموخ والاباء.

لقد كان لدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى والفاء خطة العياد التي كانت قد اعلنتها في بداية الحرب حجة قوية بيد الانكليز لكي يحرروا قواتهم الرابضة في الهند وكان بريطانياً كانت تريد لذلك ان يحدث فالعراق كان يمثل بالنسبة اليها عقبة تحول دون السيطرة المحكمة على الجبهة الشرقية للحرب كما ان اطماءها القديمة في استعمار هذا الجزء من العالم الشرقي قد توجهت واستفحلت وصارت ثمرة يائعة يجب ان تقطفها قبل ان تسقط في يد الالمان الذين كانت اطماءهم لا تقل شراسة عن اطماء الانكليز (٤).

لقد كان انور باشا وزير العربية العثماني اندلاع والذي كان يميل الى المانيا ويحبب بجيشه اعجاباً لا حد له قد وقع فريسة غبية بيد الالمان حيث اعتقاداً اعتقاداً جازماً بأنه جيش لا يغلب فلما اندلعت نيران الحرب في اوروبا كان انور باشاً واثقاً من ان النصر لابد ان يكون الى جانب المانيا في النهاية (٥) ولم يقد الحدس العسكري لانور باشا الى ان الانكليز اشد رغبة من الالمان في ان تعلن الدولة العثمانية الحرب عليها - اي على انكلترا - .

فبريطانيا وعبر قرون كانت ترصد التطورات السياسية والعسكرية للدولة العثمانية وتستقي ثباتها امالها لتنتهي الفرصة المناسبة لانقضاض ، وكان من العوامل التي ساعدت على ذلك انشغال روسيا القيقورية بقمع

كان سكان الكوت في خلال فترة الاحتلال البريطاني وفي اثناء الحصار لا يتجاوز الـ (٥٠٠٠) نسمة وبعضهم حدد سكانها بـ (٦٠٠٠) نسمة^(١) والمدينة تقع على ضفتي نهر دجلة على شكل حدوة الحصان اهلها عرب صناديد وقد كان القائد طاونزند يخشاهم ويروي كتاب لانه اختبرهم فرأهم لا تلين لهم قتلة امام جبوب المستنصر ولهذا كان هذا القائد يحسب لهم الف حساب وكان يعدهم من اشد الاخطار التي تهدد وجود قواته في المدينة فسمى الى تفتيش بيوتهم والبحث عن الاسلحة المخبأة فيها وكذلك سلب المؤونة المخزونة والاطعمة التي احتفظ بها المواطنون قوتا لهم^(٢) وإبقاء النزد اليسير منها لهم.

وقد اوصى طاونزند قواته المحاصرة داخل المدينة بما يلي: (الذى عازم على الدفاع عن الكوت وعلى عدم الانسحاب أكثر من ذلك)^(٣) وتحت قوات المحاصرة على الدفاع والاستبسال امام هجمات القوات التركية وسد المحاولات الرامية الى خرق الدفاعات الانكليزية والتحصينات التي اقاموها حيث حشد اكثر من ٢٠ الف مقاتل من جيشه الذي تالف من عناصر انكليزية وهندية وكورك.

اما الاتراك خارج الكوت فقد كانوا اكثر عددا وعدة لذلك اتخذت القوات البريطانية داخل الكوت اجراءات من اجل حماية نفسها ومقاومة الحصار المفروض عليها من خارج المدينة والذي استمر قرابة خمسة شهور من اوائل كانون الاول ١٩١٥ واى آخر نيسان ١٩١٦ من هذه الاجراءات اجلاء النساء والاطفال والشيوخ والممرضى والمسافرون من المدينة واخراجهم عبر النهر الى الضفة الاميرية خارج المدينة وكان عددهم يتراوح بين ٦٠٠ - ٧٠٠ شخصاً. وقد نسب ضاحية هذا العمل عدد كبير منهم عندما اطلق الجنود الاتراك النار عليهم حال خروجهم من الكوت او عندما ارموا العبوات الى الضفة الاميرية من النهر وعندما القتلي القبض على بعضهم حوكموا وصدر الحكم بالاعدام وفعلا اعدموها^(٤) ومن الاجراءات التي اتخذتها الانكليز داخل الكوت هو مصادرة الحبوب من حنطة وشعير وذرة وزع وعدس وماش وبقليلات اخرى كانت مخزنة في بيوت الاهالي مما زاد في مخزون الجيش البريطاني واطال من مدة الحصار فترة اطول. استطاع الاجنبي المحتل ان يقاوم الحصار^(٥) ويقي اهل الكوت ينظرون الى هذه الحالة بصبر وامتناع معتبرين ذلك سلباً لاموالهم واعتداء على ممتلكاتهم مما جعل معظم الاهالي يبودون الانتقام من الانكليز نتيجة اجراءاتهم تلك وفعلا كانت المحاولات تجري في الظلام كل ليلة حيث الهجمات تتولى على الجنود والحراس داخل المدينة لقتلهم او سلب اسلحتهم او نهب مخازن الميرة التابعة لهم.

فاشتد الغلاء اشتداداً هائلاً حتى بيمت اوقية الخبز بليلة ثعبية^(٦) واضطر الاهلون الى تقطير الطعام والملابس، اما الانكليز فعملوا الشيء نفسه اذ انهم قلسوا حصص جنديهم الى النصف من المواد الغذائية والدخان واللحوم فمثلاً كان الجندي يستهلك رطلاً من اللحم ورطلاً من الخبز وثلاثة اونصات من البصل وهكذا يبقية المواد كالسكر والشاي والملح والزيادة والجبين فكلها تناقصت الى نون النصف والى الغاء الكثير منها من قائمة المؤونة^(٧) حتى ان القائد طاونزند ناشد قواته الاقتراض في الطعام والعتاد - الذي كان يعتقد انه يكفي لمعالجة ثلاث فرق فقط وفي كل شيء خوفاً من نفاذها قبل ان تنتهي التتجددات والارزاق^(٨). استمر حصار المدينة ١٤٧ يوماً وفي رواية ١٤٢ يوماً^(٩) وكانت

تم تقدمت القوات الانكليزية شمالا نحو العمارة فاحتلتها بعد معارك دامية في ٦/٣/١٩١٥^(١٠) وذلك تكون القوات الفارسية قد امنت ابعاد العثمانيين عن شط العرب والسيطرة على نهر دجلة والهيمنة على انبيب النفط في عريستان بصورة غير مباشرة وكانت القوات العثمانية اضعف من ان تقوم تقدم الجيش الانكليزي^(١١) وهكذا استطاع البريطانيون ان يحتلوا وسيطروا على المثلث الواقع بين البصرة والعمارة والناصورية وبنذلك امنوا تطويق الخليج العربي وأبعدوا العثمانيين عنه^(١٢).

تطويق الجيش العثماني للمدينة بعد ان احتلها الانكليز

تقدمت القوات البريطانية نحو الكوت وقد كان قرارها نقطة تحول خطيرة في الحرب حيث كانت الخطة تهدف الى ما هو اكبر من تحقيق خطوط نفاعية عن متابع النفط في عبادان وعن شط العرب وانما صارت تشير الى اهداف توسيعية استعمارية غايتها السيطرة على بغداد وطرد الاتراك واستعمار العراق استعماراً كاملاً. اذ ان الاستيلاء على بغداد وطرد نظرهم كان المفتاح الوحيد لتأثير في العالم الاسلامي والسيطرة على الموقف في الشرق الاوسط^(١٣).

اجتمعت الفرقة الساسة البريطانية في علي القربي بتاريخ ١١/٩/١٩١٥ ووصلت في ١٦/٩ الى الصناعيات (حوالي ٨ اميال شرق الموقع التركي) وقد تقدمت القوات براً ولقيت معويات جمة بسبب ارتفاع حرارة الجو وعدم تجانس حيوانات نقلية الخط الثاني والتي كانت من الحمير والبغال في الوقت الذي كان فيه الاتراك يحكمون مواضعهم بجد ونشاط وقد وضع الجنرال الانكليزي طاونزند خطة للهجوم. وفي ١٥ ايلول حشدت القوة البريطانية في (الصناعيات) بالإضافة الى الاسطول النهري^(١٤).

اما قوة الاتراك فبلغت ٧ آلاف بندقية و ٣١ مدفعة وكانت المعركة طاحنة بين الفريقين^(١٥) تکبد كل منها خسائر فاحشة ولجان بريطانيا في هذه المعركة الى استخدام الحدود الحربية التي ادت الى تفوق القوات البريطانية وتمكنها من تخلص مدينة الكوت واحتلالها وانسحاب الاتراك منها والتراجع نحو بغداد وكان ذلك في ١٩١٥/٩/٢٠ ثم تقدمت القوات البريطانية نحو بغداد حتى وصلت الى المدائن (سلمان بالك) وهناك وقعت معركة كبيرة اندحرت فيها الجيوش البريطانية واضطربت الى التراجع امام هجمات الجيش التركي وبمساعدة العشائر العراقية والمجاهدين الابطال من عرب العراق وتخنق الانكليز داخل مدينة الكوت على امل ان تستطيع القوات البريطانية من نجدة القائد طاونزند وفك الحصار عنه^(١٦).

الكوت في ظل الحصار

عاشت الكوت تلك المدينة الصغيرة بمساحتها وسكانها ^٤ الكبيرة بمعاونها وصمودها وصبرها وجهاتها ضد الانكليز المحتلين فقد لقتت الاجنبي دروساً مرة لم ينسوها ابداً كما جاء في اعترافات القادة الاجانب المحتلين.

تجربة مريدة وقافية وحالة صعبة عانى منها الاهلون والجنود شتى صنوف العذاب واجهوا وكانت تجربة ولكنها مليئة بالمبر والإهانات^(٢١). ابدى فيها العراقيون من عرب الكوت بسالة وصبرا نتيبة تحملهم ذلك الاستحسان القاسي الذي تجلى فيه بوضوح قوة ايمانهم وصلابة عقيدتهم وعمق صبرهم وحسن مجاهدتهم وعدم المبالغة بالصواب والتضحيه بالشالي والنفيس في سبيل عزة انفسهم وعدم اراقة ماء وجههم وتحمل الام الجوع والحره ن مقابل صرختهم المدوية ووقفتهم البطولية امام قوى الظلم والتحادي واعتراضهم. حقا انها ملحمة بطولية رائعة تجلت فيها وحدة العيف والشوار بالمسؤولية الوطنية والقومية من اجل حماية الوطن والارض من غزو الطامعين واحباط المخططات اللئيمة التي رسماها الاعداء الذين ادوا بها شر هذا الوطن والنيل من كرامته اهله نكانت مخططا لهم خسراً كبيراً لا يعانيه خسران.

عاشه مدينة كوت حالة غريبة في اثناء الحصار فقد سلب الاجانب المحتلون الطعام . كما ذكرنا - ولم يبقوا للاهالي الا النزى اليسيء واستولوا على الماشية ربها وحتى سقوف البيوت والخانات والدكاكين لم تسلم منهم حيث استم لها الجنود وقروا للتدفئة واختفت الابواب الخشبية الخارجية من الباب ورفعت الكتابات الخشبية واخيرا تم اقتلاع جنور السوس من الارض لتصبح المصدر الوحيد للوقود الذي كانوا يامس الحاجة اليه نتيجة البرد الشديد الذي اتسمت به بعض شهور الحصار في تلك السنة وبه عن تكم الاخشاب كانت تحرق لاغراض الطبيخ حتى ارائك المقاهي العريبة لم تسلم من السلب لاغراض ذاتها مما اثار حنق السكان المحليين الا كور الذين اعتادوا الجلوس في تلك المقاهي^(٢٢) وفي ظل الحصار كانت مدينة الكوت تعيش حالة بائسة حيث لابداء ولاطبيب ولاطعام يكفي ولا من ولا حرية ولا عمل مما جعل ابدائهم لا تقوى على تحمل المرض او دفعه عنهم فاصيب معظم السكان بفقر الدم والتقيّب الامعاء والبلهارز والمعوي وغيرها من الامراض مما زاد . حقد السكان على الانكليز والعمل على انهاء احتلالهم لعودة الحياة الطبيعية الامنة لها.

ورغم الامكانيات التي كانت متوفرة لدى الجيش البريطاني داخل المدينة الا انهم لم حساباتهم العسكرية باتت خاسرة تجاه الخطوط العسكرية التركية التي رسماها الاتراك خارج الكوت والتهيؤ الكامل الشامل الذي اتخذه الاتراك من سلاح وعتاد وتموين ورجال حيث ظلوا يسبون ذيابا بنادقهم ومدافعين على المدينة من الخارج والتسلل في الليل الى داخل حصنون الانكليز مما جعل القوات البريطانية ترتبك وتضيع وبالاخر تنهى اهم ضربات الاتراك القوية الهايفة^(٢٣) وكان طاوونزند يعني نفسه بانهاء الحصار ويقول : سوف نخرج من الحصار بحلول عيد الميلاد ولكن ذلك الاصل لم يتحقق فالحصار مستمر والقصف يزداد ضراوة كل يوم وقد استهدف كل مكان حتى المستشفى لم تسلم منه واضحت بيوت الاهالي الامينين عرضة للقف المدفعي الكثيف الذي كان يصب الاتراك من خارج المدينة فينزل كالابل على رؤوس الجنود والاهالي^(٢٤).

وكانت المجاعة وتناقص المواد الغذائية الرئيسية تتفد او تتناقص بسرعة شيئا فشيئا مما اضطر الجنود الانكليز الى تبع الخيول والبغال والحمير واكل لحراها وحتى الكلاب والقطط لم تسلم من النبع فكانوا

يشوونها على النار ويأكلونها ، اما الاهالي فكانوا يصطادون المصاصي والطيور والاسماك وينبئونها ويأكلون الاعشاب ويقتاتون على التمر الذي كان غذاءهم الرئيسي ، اما الغفراءات فلم تكن متوفرة للاهلين بل كانت تقدم للجنود على شكل معلميات ولكن اكثراها كان تالفاً غير صالح للاستعمال ومع هذا كان الجنود يتلقاونه بهم وشرارة من شدة الجوع وحتى البسكويت الذي ظهرت عليه اثار المفتوحة والتلف لم يتركوه دون ان يتناولوه.

اما موضوع نبع البفال والخيول فكانت هناك مشكلة بين الجنود المحتلين فالجيش البريطاني كما ذكرنا كان يتكون من عناصر ثلاثة الانكليز والهنود والكورك . فالانكليز اكلوا لحوم الخيول والبغال والكلاب والحمير اما الهنود فقد امتنعوا بادئه الامر من تناولها ولكنهم في الاخير اكلوها مضطرين وكذلك الكورك .

حتى وصل الحال الى ان بعض الجنود كان يسرق اللحم من العربات اليدوية التي تنقل الارزاق في طريقها الطويل الممتد عبر نهيان القذائف من الخارج ومع ذلك فقد صمدت الكوت اكثر مما صمد حصن (ليدي سمث)^(٢٥) .

وتعقب احد الضباط الانكليز زميلا له في خلل اميال من الخنادق وهو ينتظر ان ينقض على الاخير ليسكب منه عقب سيكاره وما ان فعل ذلك حتى انقض عليه ضابط اخر كان يريد قتلها لان الحصول على سيكاره يدخلها الانسان كانت امنية للمدخن .

وحتى الماء اصبح عزيزا حيث لم يتتوفر ماء الشرب ويزوي ان جنديا خلع خذاه وادله في نهر بجلة ثم سحبه الى ما فوق متواسه ثم شرب منه الماء وهو يقول: انه حلو المذاق ووفير ويزوي ان جنديا اصابه الجوع الشديد فطبع لحم بقل على ثار تبعث الدخان وهو يريد « جيفة طيبة المذاق » من دون ان يوضح منه احد^(٢٦) .

ارتفعت الاسعار ارتفاعا لم يالفه الناس فرغيف الخبز اصبح بروبية والواقية كما ذكرنا بلدية نهبية ومتله الرز والتراوухيات - ان وجنت - وكان العرب من اهل الكوت لا يقبلون التعامل بالعملة الورقية واذا كان لابد من ذلك فانهم يتلقاون عمولة عالية على ذلك .

وبنتيجه لهذا الحصار فقد هوجم السوق الرئيس في المدينة من قبل جنود الاحتلال البريطاني ونهبت الدكاكين وافرغت المخازن من البضاعة التي يملكونها الاهالي وكما قلنا قبلها ان البيوت نهبت وسرقت من قبل الجنود ولكن اراده وصبر العراقيين واهل الكوت كانت اقوى من افعال الانكليز المحتلين فبالتعاون والتكافل والتبرير الذاتي استطاعوا ان يتلقاون لقمة العيش وان يجدوا حالهم ويصمدون أمام طفيان المحتل طيلة ايام الحصار ويفتوна على الاجنبي الغرصة ويلقذونه برسا لن ينساه على مر التاريخ .

وفي ٤ / ٢٩ / ١٩١٦ استسلم القائد طاوونزند الى الاتراك بعد ان اجبره الجوع والمحاصر وقوة ارادة المقاومة المحلية الى ان يرفع علم الاستسلام بعد ان ينس من النصر فسقطت الكوت بيد الاتراك ودخلتها الاتراك واقتيد طاوونزند وضباطه وجنوده للأسر بعد ان خسروا قرابة (١٦٠٨) قتيل وعدد كبير من الجرحى والمفقودين . وكان انحرافا كبيرا له وقعه المؤلم في الاوساط البريطانية^(٢٧) وليل على قوة الارادة العراقية في الصبر والجهاد والكفاح .

الهوامش

- (١٤) مذكرات طاونزند (مصدر سابق) ص ٤٦٣
 (١٥) حصار الكويت ٢، ١٩٠ (مصدر سابق).
 (١٦) مذكرات طاونزند ص ٥٢٦.
 (١٧) مذكرات طاونزند ص ٥٠٨.
 (١٨) عبدالرزاق الحسني / العراق في سوريا الاحتلال والاندماج، ص ٢٩. صيدا ١٩٣٥.
 (١٩) حصار الكويت ٢، ٢٠٩.
 (٢٠) مذكرات طاونزند ص ١٩١.
 (٢١) عبدالرحمن البازان، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال (مصدر سابق) ص ٧٧.
 (٢٢) د . علي الوردي (مصدر سابق) ٢٥٢:٤.
 (٢٣) حصار الكويت ٢٥٦:١.
 (٢٤) حصار الكويت ٢٣٢:٢.
 (٢٥) حصار الكويت ٢٧٦:١.
 (٢٦) المصدر السابق ٩١:٢.
 (٢٧) مذكرات طاونزند ص ٥٠٨.
 (٢٨) عبد الرحمن البازان ، العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ص ٧٧
 د . علي الوردي ٢٢٧:٤.
- (١) د. عبدالله الشياض / الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، ١٩٢٠، ص ١٠١ وما بعدها، بغداد ١٩٦٣.
 (٢) د. علي الوردي / لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، (٤:٤)، بغداد ١٩٧٤.
 (٣) د. شكري محمود نديم / حرب العراق عام ١٩١٤ - ١٩١٨، ١٩١٨، ص ٢٢، بيروت (بدون تاريخ)
 (٤) عبدالرحمن البازان / العراق من الاحتلال حتى الاستقلال، ص ٦٧ وما بعدها، ٣ بغداد ١٩٦٧.
 (٥) د . علي الوردي لمحات اجتماعية المصدر السابق ٤: ٢٥٠.
 (٦) العراق في التاريخ مجموعة من المؤلفين ص ٦٦٣ بغداد ١٩٨٣.
 (٧) محمود شكري نديم / المصدر السابق ص ٣٥
 (٨) العراق في التاريخ ص ٦٦٣.
 (٩) محمود شكري نديم / المصدر السابق ص ٤٠.
 (١٠) لوتنكيرك العراق الحديث / ترجمة سليم طه التكريتي ج ١، ص ١٤٩ ، بغداد ١٩٨٨ .
 (١١) مذكرات الطريق طاونزند / ٢٥، ١٩٨٦ من ٤٤،٤٢.
 (١٢) محمد طاهر العمري / مذكرات العراق السياسية، بغداد ١٩٢٥، ص ١١٣.
 (١٣) برادون / حصار الكويت، ترجمة سليم طه التكريتي و زميله، ١: ٢٨٢: ١، ٢٦٠، ١٩٨٦، ومذكرات طاونزند مصدر سابق ص ٣٠.

مركز تحقیقات کامپوگ علمی

نصر عن دار الشروحون الثقافية العامة



حصار النجف

بقلم : سالم الألوسي

اتحاد المؤرخين العرب - بغداد

وحاصرها في ١٢٢١ هـ و واستمر الحال حتى الربيع الاول من القرن العشرين ، وبقيت النجف صامدة بوجه اعدائها ورمزاً من رموز الوحدة الوطنية .

وكان البريطانيون بعد احتلالهم بغداد في ١١ / ٣ / ١٩١٧ و تقدم جيوشهم الى مناطق اخرى من العراق ، قد ترکوا مدينة النجف و شأنها نظراً لمركزها الديني من ناحية ، و طبيعة أهاليها الميالين الى الاستقلال و كراهيتهم لكل اجنبي ، وقد قاوموا سياسة التسلط التركي و توجهاته الطورانية اعتزازاً بوطنيتهم و افتخاراً بمشاعرهم العربية و نزعاعتهم الاسلامية . ولهذه الاسباب وغيرها ترك البريطانيون النجف ، ولم يسيروا اليها جيئاً ، ولم يتخلوا في شؤونها ، ولهذا اعتناد النجفيين على ممارسة نوع من الحكم الاهلي ، فبرزت بينهم زمام محلية ، وقد اتسع نطاق هؤلاء الزعماء فاغاظ ذلك بعض علماء الدين كما اغاظوا الوطنيين من اهل البلدة لسوء تصرف بعض هؤلاء الزعماء و تقليل مصالحهم الشخصية على صالح عامة الشعب . وقد اعتناد الانكليز على بعض الشخصيات من النجف ثم قلبوا لهم ظهر المجن ، مما اضطر السلطات البريطانية الى اختيار حميد خان بن اسدخان من الاسر الهندية المرموقة التي نفاحتها الانكليز من بلادهم الهند فاختاروا السكن والإقامة في العراق ولا سيما في الكاظمية وكريلاء . اختاروه ليكون معاوناً للحاكم السياسي الانكليزي في النجف الاشرف .

ولما رفض حميد خان هذا المنصب سعى الانكليز الىزعيم الروحاني المنفرد السيد كاظم اليزيدي الطباطبائي لحمله على تكليف حميد خان لقبه هذه الوظيفة ، فقبلها مضطراً وكان ذلك في حزيران من عام ١٩١٧ .

ولم يظهر النجفيون ارتياحهم من وجود حميد خان بالرغم من صلات عائلته الحسنة ، لأنهم شعروا بسيطرة غريبة عليهم ، وكان الاجدر اختيار وجيه من وجهاء النجف يرتضيه الاهالي (١) .

في اواخر تشرين الثاني من عام ١٩١٧ وصل من بادية الشام جماعة من المشائخ من الموالين للانكليز يحملون رسالة توصية يبعث بها الضابط الانكليزي المعروف الكولونيل ليجمان ، المسؤول عن حدود الباردة الى حميد خان معاون الحاكم السياسي في النجف لمساعدة هذه العشائر في الامتناع وشراء حاجياتهم المعيشية . وبعد مدة اعقبهم (١٢٠٠) يوماً لاحدا الشيوخ من روؤسائه هذه العشائر التي جاءت الى النجف للغاية نفسها .

وكانت المواد المعيشية والمخزون من الطعام شحيحاً جداً يومذاك فادى وصول هاتين القافتلين للاكتيال الى ارتفاع اسعار المواد ارتفاعاً فاحشاً ،

تعرض العراق في تاريخه الطويل الواغل في القدم الى الكثير من الحروب وال Kovarts والحاصر ، وكان يخرج في كل مرة ظافراً منتصراً ، سرعان ما يتقلب على اعدائه . وكان عبر ذلك التاريخ الطويل عرضة للفتحات والحروب والغزو واجراءات الحصار لمدد من مده ، كل ذلك يعود الى ثروات الطبيعية وخصب اراضيه وحيوية شعبه الذي شيد العمارة واقام الحضارات .

وقد تعرض في خلال تاريخه المعاصر والحديث الى عدد من الاعتداءات الخارجية . وعانت بعض مدن مثل : بغداد ، الموصل ، البصرة / الكوت ، النجف من كوارث ونكبات وحصار من جراء الحروب . فقد فرض الانكليز الحصار على النجف اكثر من اربعين يوماً بسبب رفضها للاحتلال الاجنبي ونزعاعتها الى الحرية والاستقلال حفاظاً على وحدتها الوطنية وعزتها القومية . ولو استعرضنا الاحداث التي تعرضت لها النجف ، هذه المدينة الباسلة والحاصرات التي فرضت عليها الاحتياج ذلك الى مجلدات . ولكننا في هذه العجالة نذكر بایجاز بعضاً منها .

ففي عام ١٠٤١ هـ فتح النجف القائد العثماني خسرو باشا ، وكان قد جاء لفتح بغداد في الايام التي كانت تحت سيطرة الصوفويين فحاصرها مرتين وامتنعت عليه فتركها عائداً الى الاستانة .

وتعرضت النجف لهجمات الوهابيين منذ مطلع القرن (١٣) للهجرة اذ هجموا على كربلاء والنجل . ومن المحاديث (٢) لاحاصر الروم - ويقصد بهم العثمانيون - ارض النجف في المشهد الغربي ايام السلطان سليم وذلك سنة ١٠٣٢ هـ . وتحصن اهلها داخلاً البلدة واغلقوا الابواب عليهم وقاوموا الاعداء مع قلة عددهم وعدتهم وكثرة المحاصرين واستمر الحصار طويلاً ولم يظفروا بهم » .

وفي ايام السلطان مراد وقعت عدة مهاجمات بين عسكره وعسكر الشاه عباس الأول ودخل النجف (كنج عثمان) سنة ١٠٤٠ هـ . - وهاجم الوهابيون مرة اخرى مدينة النجف بقيادة سعود بن عبد العزيز واحاطوا بها واشتغل الرمي بالرصاص من الطرفين ، وقد دافع النجفيون دفاعاً مستميتاً عن مدینتهم المقدسة وبرزت المhydrates من خدورهم ومعهم العجائز يشجعن المقاتلين . واخيراً هزم المعتدون وشتت شملهم وكان ذلك عامي ١٢١٥ هـ ، ١٢١٧ هـ .

ولما بلغ اهالي النجف نباء توجه الوهابيين الى النجف نهض الاهالي للدفاع عن مدینتهم المقدسة فاغلقوا الابواب وجعلوا خلفها الصحر والاحجار وعين لكل باب عدد من المقاتلين واحاط بباقي المقاتلين بالسور من داخل البلدة . وقد تكررت حوادث هجوم الوهابيين على النجف

حامية النداف الكائنة في محله الحويش بالنجف على رأي آخر،
فاجتمعوا يوم الثلاثاء الموافق ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٦ هـ =
١٩ / ٣ / ١٩١٨ م وهو :

- ١ - الحاج نجم البقال
- ٢ - محسن البوغتني
- ٣ - سعيد العامري
- ٤ - شمران العامري
- ٥ - عبد حمية النداف
- ٦ - مجید الحاج مهدي دعيبل
- ٧ - حمید عیسی حبیبان
- ٨ - عبد الحمامجي
- ٩ - السيد جاسم طبار الهوا
- ١٠ - صانق الاديب
- ١١ - حسن جوري
- ١٢ - خطار بن سلمان البديري
- ١٣ - جودي ناجي
- ١٤ - حبيب بن جاسم خضر
- ١٥ - حمید ابو السیزی
- ١٦ - السيد جعفر الصانع
- ١٧ - علوان ابو نليمهم
- ١٨ - السيد مجید طبار الهوا

وقد حلقو بالقرآن الكريم على تنفيذ ما أتفقا عليه بالهجوم على مقر الحكومة ، وكان مجهزاً بالمدافع والرشاشات وأنواع التجهيزات الحربية .
وكان عدد الثوار المهاجمين خمسة عشر مقاتلاً ، يتقدمهم الحاج نجم
البقال . وتمهيداً لتنفيذ الخطة تربى الجميع بزى حرس (الشيانة)
الذين كانوا يعتمدون الكوفية البيضاء ، ولبسوا لباسهم الرسمي وحملوا
الخناجر والمسدسات والبنادق ، وكان أحدهم قد حمل كتاباً .. باسم
الكابتن مارشال ، ليحتال به على الحراس الهندى . وعند وصولهم الى
باب السراي طلبوا من الحراس مواجهة الحاكم السياسي لتقديم الكتاب
الىيه ، فامتنع الحراس من ان يفسح لهم مجال الدخول ، فاستل أحدهم
خنجره وضربه وقتلته في الحال ، ثم دخلوا غرفة الحاكم . فلما رأى هؤلاء
الثوار قليمن نحوه حاول مارشال سحب مسدسه للدفاع عن نفسه ، فماجله احد
الإبطال بطلقة نارية ارته قتيلاً يسبح بدمه وجرحوا آخرين من كانوا في
السراي كان منهم طبيب الكابتن مارشال ^(١) ، وكان الحاج نجم البقال قد
أجهز على مارشال كما هو مشهور بين الناس ، واكتفى بالجرح الذي اصاب
زميله الإيللندي ولم يكن مميتاً ^(٢) .

وحين بلغ الكابتن (بلفور) خبر الواقعه اسرع متوجهاً الى النجف
ومعه قوة كافية من الجنود وزعها داخل البلدة وخارجها تحسباً
للطواريء ، ثم ذهب الى بناء السراي القديم الذي يقع داخل سور ،
وارسل الى رؤساء البلدة طالباً تسليم قتلة الكابتن مارشال ، ولما حضر
رؤسائه اظهروا له استقرارهم مما وقع ونفوا ان يكون القائمون بها من
أهل النجف وقد يكونون من خارجها . وقد اقتنع الكابتن بلفور بذلك اول
الامر فخرج من السراي وهم بصحبته للتجلو في البلدة ، ولكنه لم يكدر
يسير قليلاً حتى سمع صوت طلقات نارية تبعثر من محله المشرق ، وبعد

ونجم عن ذلك قيام تظاهرات في النجف اشتراك فيها بعض النسوة
وشتkin فقدان الازق والاقوات . وقد حدث اثر ذلك نزاع وشجار بين
المتظاهرين وأفراد هذه المشاوىء ادى الى قتل عبد من الابل ونهب
بعض البندقيات ، فلم يكن جوسع حميد خان ان يفعل شيئاً لعدم وجود
قوة اجرائية لديه ، وفضل الاستقالة من منصبه . فما كان من الحاكم
الملكي العام الانكليزي السريعي كوكس الا ان يقترح على القائد العام
للحوثات العسكرية الانكليزية ضرورة الارشاف المباشر على منطقة الفرات
الاوسيط . وعلى هذا الاساس تم تعين الكابتن (بلفور Ballou) حاكماً
سياسياً للواء الشامية والنجد ، وكان بلفور يتقن العربية لسبق اشتغاله
في السودان ^(٣) . وان يعين حميد خان معاوناً له في النجف تساعدة شرطة
من الشرطة المحلية . وقد زار النجف واجتمع ببعض رؤسائها وحاجتهم في
وجوب فض النزاع الذي نشب بينهم وبين افراد المشاوىء وكان
بحسبته الميجر (بولي Plilly) معاون الحاكم السياسي في كربلاء . ولكن
بلفور وجد الوجوه مغيرة وأوامر المصالحة مجتمدة لم يعتد بها ، ولم يحضر
من زعماء النجف الاربعة غير الحاج عطيه ابو كلل رئيس محلة العماره
والشيخ كاظم صبي رئيس محلة القارص والالفاظ النابية ، فما كان من
شجار وأسمعهما بعض الكلام القارص والالفاظ النابية ، واوزع الحاج عطيه الى
الحاج كاظم صبي والحادي عطيه والا ان ردا الاتهام ، وافتتح عطيه الى
جماعته بالتمرد فتكهرب الجو وقام انصاره بنهب سراي الحكومة وفتح
باب السجن على مصارعيه ليخرج من فيه من السجناء ، ففر المستر
(بولي) الى كربلاء واقتيد الكابتن (بلفور) الى دار (الكليدار)
للروضة الحيدرية السيد عباس الرفيمي تعت الحراست الشهيد ^(٤) واثر هذه
الحادثة حصلت انتفاضة في (ابو صخير) والكوفة وقام الاهالي بالتظاهر
ونهب اثاث المواتر واعسلوا العرائق في بعض الاماكن . فاضطر بلفور الى
طلب مساعدة الموجي الاعلى السيد محمد محمد كاظم البزدي لانتقاد
الموقف ، فطلب البزدي من بلفور ناصحاً ، المفو عن الحاج عطيه والشيخ
كاظم صبي فاستجاب لذلك مرغماً .

وعلى اثر ذلك اضطرت حكومة بغداد الى الاعلان بعدم السماح باخراج
اية كمية من الطعام من النجف وانها ستكون النجف والكوفة بمقادير من
الحبوب من منطقة الحلة . ومن الاسباب التي اثارت النجفين وبعثها
مساً بكرامتهم وعزتهم هو السلوك الشائن الذي مارسه العديد من رجال
السلطنة العسكرية من الانكليز واتباعهم ، حيث كانوا يتصرفون بغير طرفة
وكرياء ومعاملة الاهالي بالقسوة والجبروت وكيل السباب الى بعض
الوجهاء من المدينة مما اثر الحقد والكرهية على الانكليز وعملائهم .
ودفعاً لهذه الاهانات والتصرفات الشاذة عزم لفيف من الوطنين على
تأسيس (جمعية النهضة الاسلامية) التي كان اول هدف من اهدافها
الكافح ضد السلطة المحتلة وتخليص البلاد من طغيان الانكليز وتأمين
الاستقلال والحرية لشعب العراق . وكان من ابرز اعضائها رئيسها
العلامة السيد محمد علي بحر العلوم والعلامة المجاهد الشيخ محمد
جواد الجزائري والسيد محمد علي الدمشقي وعباس الخليلي وعدد كبير
من المناضلين النجفيين امثال كاظم صبي والحادي عطيه وعبدالله
البغدادي . عدد من الثوار من ابطال جمعية النهضة الاسلامية قتل الكابتن مارشال
الحاكم السياسي لمدينة النجف ، فاجتمعوا في دار الحاج نجم البقال
الكافنة في محله المشرق . احدى محلات النجف . على رأي او في دار

موقع (كميل بن زياد) الواقع على بعد كيلو مترين من سور النجف ونصبوا المدافع هناك ، وشرعت تلك القوات في حفر الخنادق واقامة المباريس ونصب الاسلاك الشائكة حول النجف ، وبذلك تمت حلقة الحصار على مدينة النجف فانقطع اي اتصال بينها وبين الخارج فلا يمكن ان يدخل اليها او يخرج منها احد ^(٤) .

وعدم الانكليز الى سد جدول (السنية) الذي يؤمن المنطقة المحاذية لسور النجف ، ويأخذ مياهه من نهر في (ابو صخير) .

وقد استمر الحصار مدة تزيد على الاربعين يوماً فاضطر السكان الى شرب مياه الابار المالحة التي لا تستساغ ، وارتقت اسعار المواد الغذائية ارتفاعاً فاحشاً ، وانقطعت الغواكه والخضروات نهائياً عن المدينة لانها كانت تأتي الى المدينة من البساتين الواقعة خارجها . وقد بلغ سعر رغيف الخبر المليء بالسحالة نصف ريبة ، وسعر اوقيه الدهن ليترين ذهباً ، وبالصلة قرأتاً ، ثم ارتفع الى اربعة قرانات ، وان سعر القرية من الماء الصالح للشرب نصف ليرة . وتد هلكت اكثر الطيور والقطط ، واضططر الناس الى ذبح الحمير للاستفادة من لحومها ، وقد بيع لحم الحمير في السوق علانية وقد وصف شاهد عيان في تلك الايام الحاله قائلاً : « شاهدت القطط وهي تأكل التمر مع انها لم تكون معتادة على أكله في النجف من قبل . ولم انس منظرها المحزن وهي تتقلب في الطرقات وتتموه باصوات كصيحة وتقليب نظراتها بين المارة وكانتها تسجدى العطف مما اصابها من آلام الجوع والمعطش .

وكان العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي قد نشر وصفاً دقيناً للصعوبات والمازنق التي عانوها النجفيون من جراء الحصار يوماً فيوماً ، وقد نشرت هذه المعلومات في مجلة الثقافة الجديدة بمتوان (ثورة النجف) ^(٥) ، كما نشر تفصيلات هذه الاحاديث الاستاذ حسن الاسدي في كتابه (ثورة النجف) الصادر عام ١٩٧٥ .

قال الشيخ الشبيبي : « في ليلة الاثنين ١٢ جمادي الثانية ١٢٣٦ هـ = ٢٥ / ٢ / ١٩١٨ قتل وجرج جماعة ... في طلب الماء من جهة (الثلمة) من جملتهم عبد الله الجصاني وأمرأته وأبنته ، وثلاثة آخرون ، وفي ١٨ جمادي الثانية = ٢١ / ٣ / ١٩١٨ مساً امطرت السماء مطراماً فخرج الناس وراحوا يجمعون كل قطرة تقع من السماء ما استطاعوا . ولا ازال اذكر منظر جميع افراد عائلتنا وهو يضعون كل ما لدينا من الصوانى والقدور والاواني في باحة الدار ليفرغوها في الاحباب كلما امتلأت » ^(٦) .

وفي يوم ٢٥ / ٣ / ١٩١٨ اجتمع في بيت السيد كاظم اليزيدي كبار الملائية وكتبوا رسالة (عريضة) ^(٧) :

لحضره القائد العام لجيوش بريطانيا العظمى .

نحن العلما في النجف الاشرف ، نرفع الشكوى عنا وعن عامة الفقراء والمساكين والمجاوريين في هذه البلدة المقدسة ، مستفيدين بمرارهم هذه الدولة وعدالتها مسترحمين رفع هذا الاسر والحرصار عن الابرياء والضعفاء الذين لا جنابة لهم ولا تقصير ولا رضا . واشد البلاء تقطع الماء فانه من العقوبات التي لا تنسى في جميع الاديان البشرية ، فان لم يكن رحمة للرجال فنسترحم الرفاة على النساء والاطفال وقد اشرفت النفوس على التلف والهلاك من الجوع والمعطش وتطليل الاسباب ، وهذه المعاملة ضرية على جملة العالم الاسلامي ، جارحة لعواطف عامة

قليل اخذ الرصاص ينهال عليه ولكن نجا باعجوبة ثم جاءه احد رجاله وخبره بان اثنين من رجال الشرطة في سوق المشرق قد قتلا . فتوجه الى احد الوجهاء من الذين كانوا يتجلبون منه موبحاً اياه قائلاً : انت تقوم بهذه الاعمال وتتظاهر بذلك لا تدرى ، فرد هذا عليه بخشونة ثم انصرف عنه غاضباً .

بعد هذه الحادثة اتسعت الحركة الوطنية واخذ ابناء النجف يتوجهون في طرقات النجف وألقوا القبض على عدد من افراد الشرطة واستحوذوا على اسلحتهم ثم احتجزوا بعضهم واطلقوا سراح بعضهم الآخر . ثم قاموا بالهجوم على السراي القديم وقلعوا ابوابه واندلعوا فيه النيران . وكان ذلك ايذاً باعلان الحرب بين الانكليز والنجف وقيام الثورة ضد الاحتلال .

وقد تأزم الوضع فتدخل بعض العلماء والوجهاء بالتوسط بين الفريقين ، التوار والانكليز فلم يجد توسطهم نفعاً . واما زاد في الطين بلة كما يقول المثل ، أنه حدث ظهر يوم ٢١ / ٣ / ١٩١٨ حدث كان له اثره البالغ في تقوية عزيمة النجفيين على الثورة . فقد اقتربت حيذناك من سور النجف كتبية من خيالة الجيش الانكليزي فخرج اليها جمع من التوار النجفيين ورمواها بالرصاص وظلوا يطاردونها حتى عادت من حيث اتت ^(٨) .

لما جاء الانكليز الى سياسة (فرق تسد) لبث التفرقه في صفوف الوطنيين ، ولكنهم فشلوا في ذلك فقد كانت جبهة التوار والوطنيين اقوى من جبهة المتخاذلين والمتعاونين مع سلطات الاحتلال .

لم يلبث (بلفور) ان قابل بعض وجهاء النجف وقدم لهم كتاباً يتضمن الشروط الآتية :

١ - تسليم الرجال الذين قاتلوا مارشال ومن اشتراك معهم في هذه الواقعة .

٢ - غرامة تتكون من الف بندقية (تذكرة)

٣ - غرامة (٥٠ الف) روبيه يجمعها الرؤساء المخلصون من المحلات

التي كانت لها يد في الفتنة .

٤ - تسليم مائة شخص من المحلات الثائرة الى الحكومة لبعاهم عن

النجف بصفة اسرى حرب .

وقال (بلفور) عند تقديميه لهذه الشروط ان النجف ستبقى تحت الحصار الشديد . فيمنع عنها الطعام والماء الى ان تستجيب للشروط وتتنفسها بحذافيرها . وفي الوقت نفسه بعث (بلفور) الى السيد كاظم اليزيدي الرسالة التي ارسلها ببصري كوكس تتضمن هذه الشروط وطلب تنفيذها ومساعدة السلطة الانكليزية على تهدئة الامور في النجف . وحين انتشر خبر رسالة كوكس الى اليزيدي شعر النجفيون ان ذلك بمنزلة التحدى لهم وللشارعون الوطنيه ، فصمموا على رفض الشروط ومواصلة الثورة فاتخذوا الاجراءات الازمة مستعدين للمعركة فحفروا الخنادق وجمعوا السلاح للدفاع عن مدینتهم ، وعينوا الحراس على الخنادق يتناوبون عليها ليلاً ونهاراً بالإضافة الى الحراس الذين وضعوهم على سور النجف من جميع الجهات .

اما الانكليز فقد حشدوا قوات كبيرة في الكوفة وجعلوها تحت قيادة الجنرال ساندرس (Sanders) ، وقد اشتعلت تلك القوات شواطئ الكوفة وخاناتها ومعظم الدور المطلة على النهر . كما ان قوات كبيرة تمركزت في

سبعة واجلاء (١٢٣) وطنياً الى الهند^(١١).
السماء الشهداء الابطال الذين اعنتهم السلطة المحتلة في
١٨ شعبان ١٣٣٦ هـ = ٢٠ / ٥ / ١٩٢٠ م

- ٩ - كاظم صبي
- ٢ - الحاج نجم البقال
- ٣ - كريم الحاج سعد
- ٤ - احمد الحاج سعد
- ٥ - محسن الحاج سعد
- ٦ - سعيد (مملوك الحاج سعد)
- ٧ - محسن البو غنيم
- ٨ - عباس علي الرماحي
- ٩ - علوان علي الرماحي
- ١٠ - جودي ناجي
- ١١ - مجید الحاج دعبديل

*
وكان الانكليز قد شنقوا قبل يومين في الموقع المعروف بـ (الثوية)
خارج النجف كلاً من^(١٢) :

- ١ - كاظم بن الحاج مهدي
- ٢ - شعلان تاجية

وذلك لعلاقتهم بالانتفاضة التي قامت في (ابو صخير) ومن الشوادر على وحشية الانكليز، انهم لم يشاوا وضع الاخطبالية على وجوده من يجري اعدامه ، وهي تقليد متبع في مثل هذه الحالات في بلاد العالم كلها ، بل جعلوها مكتوفة امعاناً في الحق الاذى والرعب في نفس هؤلاء الابطال وهم مقبلون على الموت ، وكذلك ارهاب ابناء الشعب .

وذهود الى مصير رئيس جمعية النهضة الاسلامية السيد محمد علي بحر العلوم وبعض اعضائها كالعلامة المجاهد الشیخ محمد محمد جواد الجزائري . فقد قرر الشیخ الجزائري تسليم نفسه في ٢٩ / ٤ / ١٩١٨ فنقل الى الكوفة ، ومنها نقل الى بغداد حيث اودع في معسكر الجيش البريطاني في ام العظام في كراية مریم ، ثم نقل الى معسكر الشعيبة قرب البصرة تمهدأً لتسفيهه الى الهند ، وقد توسط الشیخ خزعل امير المحمرة خطله للإقامة عنده وتحت مراقبته ، فاقام في ضيافة الشیخ خزعل بضعة اشهر إلى ان صدر العفو عنه .

وفي ١٢ / ٥ / ١٩١٨ استدعي بلفور السيد محمد علي بحر العلوم رئيس الجمعية ويلقه انه مطلوب من قبل السلطات البريطانية في بغداد ، فارسله في سيارة اليها ، وقام الانكليز في الوقت نفسه بتقتيش داره والاستحواذ على اوراقه وفي ٢١ / ٥ اعيد الى الكوفة وقدم الى المحكمة العسكرية وبعد انتهاء المحاكمة اعيد الى بغداد فاسكن في دار في محلة رأس القرية حيث مكث فيها نحو شهر تحت رقابة الجيش البريطاني ، ثم ارسل الى المحمرة بناء على طلب الشیخ خزعل على نحو ما طلب زميله الجزائري^(١٣).

* *

قصيدة العلامة الشیخ محمد جواد الجزائري في وصف الواقعية نظمها يوم كان معتقلاً في بغداد قبل ان ينفي الى المحمرة .

المسلمين ، غير موافقة لما هو المعروف من سياساتكم الجميلة في جلب عواطف عموم المسلمين ، فالمأمول بعمال التدابير الحازمة في رفع هذه الفالة على وجه لا تهلك الضمفاء والابرياء باصدار العفو العام وتغایب البلاد ، وانتم اعرف بذلك .

- التواقيع -

وفي شهر نيسان نقل السر بریس کوكس الى طهران وحل محله (اي . تی ولسن Wilsom) . وبالرغم من الرسائل المتباينة والوفود من الوجاهات التي كانت تأمل من السلطات الانكليزية تخفيف الحصار عن النجف ، فإن الادارة العسكرية الانكليزية امعنت في اجراءاتها القاسية ، كما ان التوار لم تضعف معنوياتهم بل زانوا اصراراً وعزيمة على مقاومة الاعداء الانكليز ، وقد احتدمت المعارك بين الفريقين واشتدت ضراوتها وابل التوار بلاء حسناً ، وكانت الحرب سجالاً بين كُلِّ وفْرٍ ، حتى يوم ٧ / ٤ / ١٩١٨ حيث تجمعت القوات الانكليزية وقادت بهجوم واسع النطاق فامطروا المدينة بوابل من القنابل والرصاص والقنابل اليدوية وتمكنوا من احتلال اجزاء من سور المدينة واخذوا يرمون كل من شاهدوه يمر في الطرق او يتطلع من فوق بيت . كما اخذت الطائرات تحلق فوق النجف وترمي بالنشورات تهدم بالويل والثبور . ثم اخذ الجيش المهاجم يهدم البيوت والاواني والمباني الملائقة للسور في محلة العمارة وكذلك بعض البيوت التي تقع خارج السور وهي بيوت صفية معظم سكانها من الفقراء . وبعد هدم البيوت قرر الانكليز هدم السور بواسطة قصمه بقتابل المدفع ، وكانت هذه العمليات تهدف الى ارهاب التوار .

وبعد ذلك هدأت الحالة إلا من بعض الحوادث العارضة وفي ١١ / ٤ / ١٩١٨ نادى المندائي في النجف على التوار ان يسلموا انفسهم واسلحتهم ، وان كل من يخفي احداً منهم سوف يصلب ويهدى بيته . ثم توالت عمليات إلقاء القبض على التوار واحداً واحداً ، وكثير منهم تقدم بكل إباء وشم وعزة نفس على تسليم نفسه الى قيادة الجيش ومنذ ١٢ / ٤ / ١٩١٨ بدأت السلطات العسكرية بالسمع لبعض الاسر والأشخاص بالخروج من النجف بعد الحصول على رخصة منهم . وفي ٤ / ٥ بدأ الانكليز برفع الاسلاك الشائكة من حول النجف وكان ذلك ايزاناً بذلك الحصار عن هذه المدينة الباسلة .

وبدأت محاكمة التوار الابطال في الكوفة يوم الاحد ٢٣ رجب ١٣٣٦ هـ الموافق ٥ / ٥ / ١٩١٨ وانتهت جلساتها يوم ٢٥ / ٥ / ١٩١٨ وجرت المحاكمة باللغة العربية ، وقد تألف المجلس العربي العسكري من ثلاثة من الضباط الانكليز هم :

- ١ - الرئيس Leachman
 - ٢ - الكابتن ايدي Eadie
 - ٣ - الكابتن روث Routh
 - ٤ - الكابتن بلفور Balfour ممثل لادعاء العام .
- فحكمت على (١٣) ثائراً بالاعدام شنقاً ، وقد تمكן اثنان منهم من الهرب هما : عباس الخليلي الذي هرب الى ايران وشمران العامری الذي فر من سجن مستقلاً حارسه وعبر النهر سباحة . كما ابدل حکم الاعدام باثد المحكومين وهو عزيز الاعسم . كما قضت بحبس (٧)

وحققت الحادثات الظنومنا

وهان على النفس ماقد لقينا
وهل يترك الدهر حراً ركينا؟
ورحنا نكابد داء دفينا
وفارق ليث العرين العرينا
ننتظرو الفتك حيناً فعینا
تسيل دمًا يستفرز الرصينا
وان يكن الدهر حرباً زسونا
أطعننا عليه الرسول الأمينا
ونحن بحسن الشنا ظافرونا
إذا ماقضى للعلاء الدارينا
حراً فما من طبعه ان يخوننا

ولما الهمنا علينا الخطوب
لقينا زعازع رب المئون
نعم خانتنا الدهر في جريه
غداة أسرنا بآيدي العدو
وضيـم (الغريان) عاب العراق
وجزنا كما شاء تلك الحزون
وارجلنا طوع قيد الحديد
ولم تلو للدهر جيد النيل
وما ضامنا الاسر في موقف
وما ضامنا تقل ذاك الحديد
ولم يزد بالحر غل اليدين
ولا غزو لو خان صرف الزمان

وفزنا غداة عشقنا المئون
وعفنا اباظتنا والحزونا
أبـت ان نسيـس الـردـى أو نـلـينا
لـسـماـكـينـ مـهـماـ استـفـزـتـ قـرـيناـ
نبـيـ الـهـدىـ وـالـكـتابـ الـبـيـنـاـ
وكـنـاـ لـعـلـيـاهـ حـصـنـاـ مـصـونـاـ
نـدـافـعـ عنـ حـوـرـةـ الـمـسـلـمـيـنـ
يمـلاـ سـهـلـ الفـلـاـ وـالـحـزـونـاـ
ليـشـفـيـ اـحـقـادـهـ وـالـضـغـونـاـ
يـصـبـ القـنـاـبـلـ غـيـرـاـ هـتـونـاـ
يـهـذـ عـمـالـهـاـ وـالـحـصـونـاـ
يـشـبـ لهـوـلـ صـدـاهـ الجـنـيـنـاـ
يـحـطـمـ مجـمـعـ الدـارـعـيـنـاـ
وـرمـيـ الـبـنـاقـ رـشـاشـةـ

هذه نصّة حصار مدينة النجف الاشرف وكان أحد الشعراء ارضها بعبارة (حصار وغلا) ١٢٢٦ م.

المصادر والمراجع

- ٢ - الحسني (عبد الرزاق) : ثورة النجف بعد مقتل حاكمها الكابتن مارشال . صيدا - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٣ م ص ١١-١٢ .
٣ - الحسني ، المصدر نفسه ص ١٢ .
٤ - الحسني ، ص ٢٦-٢٧ .
٥ - كبيبة ، ص ٣٤٥-٣٤٦ .
٦ - الحسني ص ٢٩ .
٧ - الحسني المصدر نفسه ص ٣١ .
٨ - الوردي (د . علي) : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث . الجزء الخامس - ثورة العشرين - القسم الثاني ، ص ٢٢٦ .
٩ - في العدد الصادر في تموز ١٩٦٩ .
١٠ - مجلة الثقافة ، ص ٣٠٢ .
١١ - الوردي ، المصدر نفسه ، ص ٢٣٤ .
١٢ - تراجع : (١) - الحسني ، ص ٨٠-٨٨ .
١٣ - ثورة النجف للحسني ص ٧٨-٧٩ .
١٤ - الوردي المصدر نفسه ، ص ٢٤٩ .
١٥ - مكسيم Maxim نوع من المدافع الراشاشة من اسلحة الجيش الفرنسي كان يستخدمه الجيش التركي وهو معروف عند العراقيين في الحرب الاولى .

- ١ - آل محبيـة (جـعـفـ الشـيـخـ باـقـرـ) : مـاضـيـ الـنجـفـ وـحـاضـرـهـ ، الـنجـفـ ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ .
٢ - الأـسـدـيـ (حـسـنـ) : ثـوـرـةـ الـنجـفـ - مـنـ مـطـبـوـعـاتـ وـزـارـةـ الـاعـلـامـ - بـغـادـ - ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ .
٣ - الحـسـنـيـ (عبدـ الرـزـاقـ) : ثـوـرـةـ الـنجـفـ - صـيدـاـ (لـبـانـ) - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
٤ - الخـلـيلـيـ (جـعـفـ) : مـوسـوعـةـ الـمـبـتـبـاتـ الـمـقـدـسـةـ الـنجـفـ (الـقـسـمـ الـأـوـلـ) ، بـرـبـوتـ - ١٩٦٥ .
٥ - الـورـديـ (دـ .ـ عـلـيـ) : لـمـاحـاتـ اـجـتـمـاعـيـةـ مـنـ تـارـيـخـ الـعـرـاقـ الـحـدـيـثـ - الـجـزـءـ الـخـامـسـ - حـوـلـ ثـوـرـةـ الـعـشـرـينـ (الـقـسـمـ الثـانـيـ) - بـغـادـ - ١٩٧٨ .
٦ - ولـسـنـ (السـارـنـولـدـ) : الثـوـرـةـ الـمـارـاقـيـةـ . تـرـجمـةـ وـتـعـلـيقـ جـعـفـ الـخـيـاطـ - بـرـبـوتـ - ١٩٧١ .
٧ - مجلـةـ الثـقـافـةـ الـجـدـيـدةـ - بـغـادـ - ١٩٦٩ .
٨ - آل محـبـيـةـ (جـعـفـ الشـيـخـ باـقـرـ) : مـاضـيـ الـنجـفـ وـحـاضـرـهـ ، ص ٣٢٠ .

انماط من الحصار على العراق

(١٧٤٣ م - ١٦٢٩ م)

بقلم الباحث

عبد الجبار محمود السامرائي

عضو اتحاد المؤرخين العرب - بغداد

حصار الموصل وماجاورها



نادر شاه

● خلال الفترة الممتدة بين السنوات (١٦٢٩ - ١٧٢٩ م) اضطررت أحوال الدولة الفارسية ، وتعرضت بلاد فارس الى غزو الأفغان والروس ، كما شهدت صراعات داخلية خطيرة ، مهدت السبيل أمام العثمانيين . لدفع التوسع العثماني الى أقصى مداه باتجاه الشرق^(١) على أن هذا الوضع ، لم يستمر طويلا ، فقد استطاع قائد مغمور يدعى « نادر قلبي » - الذي عرف فيما بعد بـ « نادر شاه » - أن يبعث الحياة في الدولة الفارسية الصوفية شبه الميتة ، كما تجح في ذعر الأفغانين وطردتهم من فارس ، وانطلق نحو إستعادة الممتلكات التي احتتها الروس والعمانيون^(٢) .

● قد يكون أمراً طبيعياً أن يحاول حاكم الفرس الجديد « نادر شاه » رز الاعتبار للدولة الفارسية المنهارة ، وذلك ممكناً عن طريق منازلة غرمانه العثمانيين في الاناضول مباشرة (كما فعل العثمانيون عندما دحرروا الفرس في عقر دارهم في جالديران عام ١٥١٤ م ، ولكن الذي حصل هو أن « نادر شاه » بعد أن أبى الاعتراف بمعاهدة (١٧٣٢) التي وقعتها الشاه (طهماسب) مع الدولة العثمانية^(٣) عمد الى غزو العراق ، ضمن سياسة عقيبة ، اتسمت بابعادها التخريبية الواضحة .

لم تمض غير مدة قصيرة حتى كان « نادر شاه » على رأس جيش عزم في طريقة الى بغداد . كان ذلك في خريف ١٤٥١ هـ / ١٧٣٢ م ، فقد بعث برسالة الى (أحمد باشا) - ولـي بغداد - يتوعده فيها وينذره بأنه زاحف نحو بغداد لاحتلالها ! حيث خاطبه قائلاً : (نحن سائرون حالاً على رأس جيشينا المظفر لننتسم هواء سهول بغداد العليل ولنستريح في ظل إسوارها) ! فاتسـع أـحمد باـشا بـتحصـين مـوقع الحـدود في درـة وـمنـدلي وـبـدرـة ، وـعزـز حـاميـاته في زـهـاب وـقـصـرـ شـيرـين ، ثم أـصلـح مـراكـزـ

- الشجاعة في (تكريت) . يقول المؤرخ رسول الكروكولي : (عند وصول قوات ناصر شاه الى تكريت ، تصدى لها مصطفى باشا يشاركه الاسكان الشهادى على اعراضهم ودينهم)^(١)
- لقد بدأ (ناصر شاه) بفرض حصاره على الجانب الشرقي من بغداد ، واستعمل بمدنس اوربي كان يراقبه في حملته ، وفي إنشاء جسر عائم ، من جذوع النخيل ، على بعد عدة أميال من نهر تigris ، وإذا ذاك أمر (أحمد باشا) سكان جانب الكرج بالانسحاب العام الى الرصافة ليكونوا في حماية سورها المدفن ، وفي غضون ذلك ، كانت اوتال من القوات الإيرانية قد بعثتها « ناصر شاه » لاحتلال سامراء والحلة وكربلاء والنجف والحسكة^(٢)
 - في اواخر جمادى الاول ١٤٥ھ / كانون الاول ١٧٣٢ بدأ الحصار الفارسي لمدينة بغداد ، وفشل محاولات عديدة لاقتحام المدينة ، وعمد « ناصر شاه » الى قطع الطرق الموصلة بين بغداد والموصل وبين بغداد والشام ، وكذلك بين بغداد ومندن القرات الأوسط . واضح تماماً ان « ناصر شاه » كان ييفي من وراء ذلك عزل مدينة بغداد وحاكمها المحاصر (أحمد باشا) عن قواعد التموين التقليدية . يقول كركوش الحلبي : (أن القوة الفارسية التي بعثها ناصر شاه الى الحلة - جنوب بغداد - تمكنت من احتلال المدينة ، وقامت بقطع الطرق وقوافل الحبوب والاغذية عن مدينة بغداد . وبقيت القوة ترابط في المدينة وبضعة مواقع أخرى لحين توقيع الصلح بين الطرفين ، فانسحبت القوات الفارسية وحلت محلها القوات العثمانية)^(٣)
 - لم يفت الحصار الشديد في عض المدافعين ، وكانت معدويات البغداديين عالية ، فقد كانوا مؤمنين بأن القتال فرض عليهم وليس لهم الا الدفاع والصبر . ومن آثار الضيق الذي أصبح عليه السكان في بغداد بسبب الحصار الذي فرض عليها ، أن أخذت ويلات المجاعة شكلاً مروعاً ، فاكل الناس لحوم الحمير والكلاب والقطط ، وانتشرت الأوبئة ، وبلغت الحالة - كما يصفها الشيخ عبد الرحمن السويفي - في أثناء خروجه من المسجد ، بعد انتهاء صلاة الجمعة ، أنه شاهد في طريقه امرأة مذكورة على جيفة حمار وبيدها سكين تقطع من لحمه وتقصمه في حجرها ، ويرغم ذلك فإن القيادة الإيرانية حين دعت بغداد للاستسلام ، تلقت خطاباً شديد اللهجة من وجهائها وعلمائها ، جاء فيه : (نحن لا نسلم حجراً من أحجار بغداد حتى تُقرب في مكاننا هذا ، وإن تخفيتنا كافية ، وعدتنا كثيرة متواصلة المدد ، ولم يكن توقظنا عن مداوشتكم في بعض الأيام دون حكمة ، وسيعلم الدين ظلمولهمي منقلب ينقلبون)^(٤)
 - أما القوات العثمانية المحاصرة ، فأنها كانت تتطلع للنجدة السلطان ، وحالهم في تلك حال الأرض المطعش إلى الماء^(٥)
 - أحمد باشا (والي بغداد) حاول بذاته الحاد ، إقناع « ناصر شاه » بالانسحاب ، فقد نفع بقوة من المفاوير للقيام بهجوم فدائى ضد القوات الفارسية ، وقد أفلحت القوة في توجيه ضربات شديدة الى القوات الفارسية ، ولكنها اضطررت الى اللوذ بأسوار المدينة المحاصرة ، بعد أن تكبت خسائر مختلفة^(٦)

الدفاع القائمة في سور بغداد^(٧) وأعد المؤمن وجهاً القادرين على حمل السلاح تجهيزاً كاملاً . كما أرسل الوالي أحمد باشا - الذي أوتي من القدرة والكفاءة قدرأ عظيماً - يطلب الإمدادات من والي الموصل (حسين باشا الجليلي) الذي أمنه بالف من الرجال الانكشارية^(٨)

- لقد واجهت القوات الإيرانية التي كانت تقدر بعشرة ألف جندي ، مقاومة عنيفة خلال توغلها في الأراضي العراقية أجبرتها على التقهقر في عدة مناطق . وكانت تلك القوات قد توزعت عند دخولها الأراضي العراقية ضمن عدة محاور ، فتقسم قسم منها باتجاه كركوك - أربيل ، وقسم باتجاه الموصل ، في حين كانت القوة الرئيسية تواصل زحفها نحو بغداد ، وقد اضطررت القوات الإيرانية في محوري كركوك - أربيل والموصل الى التقهقر بعد أن تكبت خسائر فادحة ، وقتل قائد القوات المهاجمة للموصل^(٩) المدعو (ترك خان) وحمل المقاتلون الموصليون وأسله على رمح^(١٠) وبذلك استحقوا وصف السيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) بأهل الرصاص^(١١)



طهاسب

حصار بغداد

● في مطلع سنة ١٧٣٢ كانت القوات الفارسية ، بقيادة « ناصر شاه » تطبق على العاصمة التاريخية (بغداد) ، غيران القوات الفارسية واجهت مقاومة باسلة في مناطق مختلفة من العراق ، كان أبرزها المقاومة

- لقد كانت آمال « ناصر شاه » بجدوى الحصار توازي آمال (أحمد باشا) بتجاوز هذه المحنة . ونشط الخصمان المحاصرون والمحاصرون في امتحان قدرات بعضهما

تكن غير هذه مؤقتة . ولذلك فإنه لم تمض سوى فترة قصيرة على توقيعها حتى اسرع الفرس الى خرقها ، كما بدأوا سنة ١٧٤٣ حملة جديدة على العراق (عرفت بحملة مابين النهرين) .

- لقد كانت العلاقات السياسية بين الدولتين ، العثمانية والفارسية ، تعبيراً أكيداً عن النيات العدوانية التي يبيتها الطرفان ، بغضهما للأخر ، على أن الأئك من ذلك هو قصور الفرس عن ادراك أبعاد سياستهم التدميرية تجاه العراق .
 - على أية حال ، فقد أظهرت الرسائل المتباينة بين (نادر شاه) و (أحمد باشا) الذي أعيد لولاية بغداد من أجل مواجهة الهجوم الفارسي الجديد بان الشاه كان يحاول إغراء الوالي العثماني للانقلاب على العثمانيين .

- في هذا السياق، ألح (نادر شاه) على (أحمد باشا) وأكد له بأن وضع الوالي على رأس حكومة بغداد لن يتغير فيما إذا شُلت بغداد للغرس، كما أكد له بأنه لا ينوي السوء تجاه بغداد والبغداديين! وإن أحمد باشا يوسعه أن يكفل أمن الجميع بـبسطيلمه البلاز^(٢٠) ولم تنطل خطة (نادر شاه) وخدعته على الوالي (أحمد باشا) بطبيعة الحال.
 - ويرغم تضارب الروايات حول الرد الذي أرسله أحمد باشا إلى الشاه^(٢١) إلا أنها تستطيع القول بأن أحمد باشا كان يدرك الأبعاد الوطنية لمقاومة بغداد بوصفها العطالة الكامنة التي حفظت له مركزه السياسي، بوصفه رجل سياسة تاجع وقاد محتك. ولذلك فإن الذي نرجحه - وهو أمر يبدو واضحاً من سياق الأحداث - أن أحمد باشا استطاع أن يضلل نادر شاه ويجره إلى مجابهة شاملة، شنت فيها جيوش الشاه في العراق باكمله^(٢٢) وكانت الموصل مسرحاً لهذه المجابهة الحاسمة.

من ذيول حصار الموصل

- في سنة ١٩٥٦ هـ / ١٤٣٧ شنت ايران هجوماً واسعاً على العراق، حيث عبرت قواتها بقيادة نادر شاه نفسه، وكانت تقدر بعشرة وسبعين ألف جندي، عبرت الحدود من جهة متلبي وشهرزور، وتقدمت باتجاه محور كركوك - أربيل . ولما كان هدف القوات الايرانية الاستيلاء على بغداد، فان خططها كانت ترمي الى السيطرة على الموصل أولاً، وذلك لقطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وبغداد، مما يسهل احتلالها من قبلهم، لذلك ، واصلت تلك القوات تقدمها نحو الموصل ، التي كانت قد تسرّرت إليها أتباعه من القوات الايرانية نفسها عن الخطة المبتهة، فاستعدت للدفاع عن حياضها بمحاصِل شعبي منقطع النظير، وهياكل الخانق، وأصلحت الأجزاء المتتصعة من سور المدينة ، وحضرت القلاع بالمدافع، وتحفّقت بالذخيرة الازمة^(٢)

- في ١٤ رجب ١٥٦هـ / ١٢ أيلول ١٧٤٢ ، تقدمت قوات (نادر شاه) نحو مدينة أربيل غربيتها وفتحت بأهلها فتكاً ذريعاً وسمرت قراها . وفي الوقت عينه ، حاول (نادر شاه) إرهاب أبناء الموصل بقسوة لا يُطيل ، مذكراً أياهم سوء العقاب الذي ينتظرونهم أن هم رفضوا الانصياع ولم يستسلموا لقواته . وأوعز إلى « ملا ياشي على أكبر » رئيس مكان يسمى بعلماء ايران أن يكتب لأهل الموصل ، يرغّبهم بالاستسلام لويحرثهم من عاقبة القسوة ، فكتب (ملا ياشي) إلى مفتى الموصل (يحيى افندى

للبعض الآخر ، وذلك في محاولات متشابهة لتحقيق نتائج حاسمة . وروي أن الوالي المحاصر (أحمد باشا) كان يشيع بين قواته أخباراً تقييد بان الامدادات العثمانية أصبحت قاب قوسين أو أدنى^(١٥)

- ومن طريف ما يروي عن هذا الحصار، أن والي بغداد استقبل وفداً من معسكر الفرس، وان الوفد فوجيء بوجود كميات كبيرة من المؤونة معروضة على قارعة الطريق، وقد أثير في حينه بأن والي بغداد نجح في تضليل الفرس واقناعهم بأن وقتاً طويلاً سوف يمضي قبل أن يكون بقدرتهم إنجبار المدينة على الاستسلام⁽¹¹⁾.

- لقد اجتازت بغداد حالة الحرب والحصار والتوجيع ، بفضل وعي السكان وموازنتهم للجهود المبذولة في سبيل الوطن . لقد كان الحصار امتحاناً للبغداديين جميماً ، وقد أبلوا في سبيل تجاوزه الفتني والفتى على السواء^(١٧) .

- في السادس من صفر ١٤٦٥هـ / ١٧٢٣ تموز دارت معركة حامية بالقرب من (النجيل) استمرت تسع ساعات متواصلة ، انتهت بهزيمة القوات الإيرانية وتبيتها خسائر فادحة تقدر بثلاثين ألف قتيل وثلاثة آلاف أسير ، إضافة إلى فقدانهم لمدفعياتهم وتخاليهم ، وهرب قائدتهم (نادر شاه) ومعه فلول قوات المهزومة عن طريق (بهرز) باتجاه الأراضي الإيرانية . وقيل بأن العناصر التي جمعت من المعركة، كانت تكفي لتحسين وتسليح مدينة . أما بفداد التي مضى على حصارها سبعة شهور، فإن حاميتها قامت عند وصول أبناء الانتصار بمعاهدة القوة الإيرانية عند أسوارها ، فقتل معظم أفرادها وهرب الباقون^(١٨) ورُفت بشارع هذا النصر المؤزر في الموصل وكركوك والشام والأناضول .

الحصار الايراني في محور كركوك - اربيل

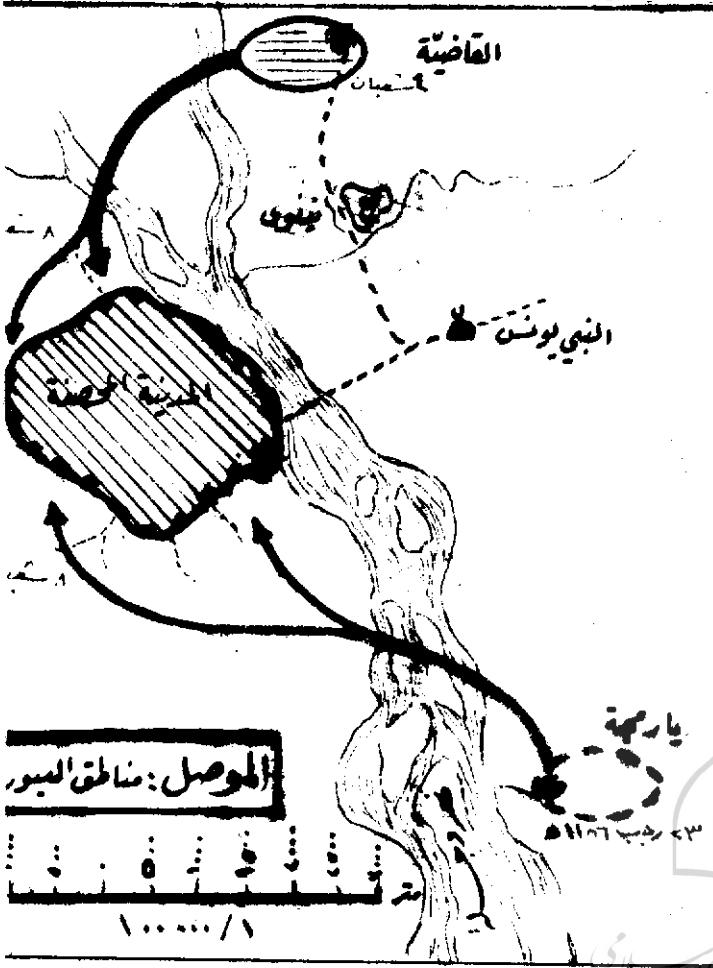
- بعد نحو ثلاثة شهور، عاودت ايران عدوانها على الاراضي العراقية في محاولة يائسة أخرى، لإزالة آثار الهزيمة التي لحقت بها في بغداد، فعبرت قواتها الحدود العراقية، وتقدّمت أربال منها باتجاه محور كركوك - أربيل، وعند وصولها سهل (ليلان) جنوبي شرقي كركوك في الخامس عشر من جمادى الاولى ١٤٦٦هـ / ٢٤ تشرين الاول ١٩٤٣، واجهت مقاومة عنيفة، ثم دارت معركة حامية عند مضيق (آق دريند)، أسفرت عن تكبد الطرفين خسائر فادحة. وقد اضطر (نادر شاه) الى طلب الصلح ولا سيما أنه تلقى اخباراً عن تفاقم الاضطرابات في مختلف أنحاء إقليم فارس بنورة للإطاحة بحكمه. وبعد مفاوضات استمرت أكثر من أسبوع، عقدت معااهدة صلح في الحادي عشر من رجب ١٤٦٦هـ / ١٩ كانون الاول ١٩٤٣ بين البلدين.

- غير أن أطعام إيران لم تحل دونها آلية معاهدة، إذ عاودت عدوانها على العراق مرة أخرى، وتركز في هذه المرة على البصرة. ففي نيسان ١٧٢٥ بخلت إلى شط العرب ثلاث سفن إيرانية كبيرة من نوع (الغراب) وخمسون سفينة كبيرة من نوع (التراكي)، إضافة إلى قوة إيرانية برية مولفة من ثمانين ألف جندي، بدأت بالتقىم أعلى النهر، وعند الجزء الضيق من شط العرب، أسلف البصرة بخمسة عشر ميلًا، دار قتال مرير لمدة ثلاثة أيام انتهى بانسحاب القوات المعتدية^(١٩).

عندما انتهي الحصار بهذه موقنة

- ان المعاهدة التي توصل اليها العثمانيون والقرص في سنة ١٧٣٦ لم

الموصل : مناطق العبور



على نهر نجدة، أعلى وأسلل الموصل، وأرسل قسماً من قواته إلى الجانب الغربي من النهر، كي يكملوا الالتحاف حول المدينة. وفي الوقت عينه، بعث رسول إلى الوالي (الجليلي) محدراً إياه من بطشه (٢٣)، ويخبره أنه طوق المدينة، ويطلب منه أن يستقبله. الرسول بالطاعة والانصاع والا سيكون مصر الموصل محظياً، وستسفك الدماء، ويقع على أهلها نار غضبه. فزد الوالي الجليلي على رسالة نادشاه رداً عندها متحدياً تجبره وتمادي في الهلي والعدوان .. جاءه فيه : (ما بيننا وبينك الا سيف والسنان ، فلا تقاومنا ، بالرسول والتهديدات وان أتانا منكم رسول آخر لا يعيته اليكم جهة بلا رأس ، فلتقدم ولا تبعض) . ولا يطلع الماسحون حيث أتي) (٢٤).

• **الكتاب السادس**، بعد أن كجهاطوا بالمدينة تماماً، بإقامة المغاريس والاسْكَنِيَّات، حيث شيدوا في مواجهة ابراج سور المدينة، اثنى عشر برجاً تختص بها مدنهنهم التي كانت تتكون من (١٦٠) مدناً تقبلاً و (٢٣٠) مدغناً هائلاً. وقد فتحت هذه المدائع ثورانها مرة واحدة في ٦ شعبان ١١٥٦هـ / ٢٥ أيلول ١٧٤٣، ولمدة ثلاثة أيام بليلتها على مدينة الموصل، دون توقيف ومن كل اتجاه، فتصعد السور في عدة أماكن، لكن المدافعين الذين كانوا مسلحين بالإيمان، كانوا بالأساس يتمكرون من أصلاح الثغرات قبل أن يهد المدرس سبيلاً إلى النقاد خلالها. وتصف المصادر كيف أن قنابل المنفعنة الإيزادية (كانت نهاراً

(الفخرى) :
اعلموا أنا جند الله . خلقنا من رحمته وغضبه ، فالبشرى تم البشرى
ملن اتبعنا وهوانا ، والذرى ثم الذرى لكل من حالفنا وعصانا ، أو ليس
لكم من آثار الماضين تبصرة ومحبته ؟ لا فنتذكروا أخبار الهند والسندي
والترك في النموذج الذى «صل إليكم من وقائعهم ولما حملهم ، وحقائق
جيزانكم من أهل كركوك وما والاها ، كيف تمنتوا فندموا ، ثم أطاعوا
فتحعوا ، منهم نوو الحظ في جلباب أمن وأمان . وشقيقة ودعة وامتنان
» ولا تلقوا بآيديكم في التهلكة ... لا تقدرون على اندفاع ... فلا تعرضا
أعماركم للانقطاع . ولبيك الشاهد منكم المستمع لكتابنا الغائب .

● بعد اطلاع (حسن باشا الجليلي) والي الموصل على عنجهية (نادرشاه) نصب خيمة في ظاهر المدينة ، قرب الجامع المجاهدي على دجلة ، ودعى الناس للجتماع ، لاطلاعهم على تلك الرسالة الفارسية المشحونة بالتهديد والوعيد ، وطلب منهم إبداء الرأي والمشورة واتخاذ القرار . فصاحت الجموع المتحشدة بصوت واحد ، معلنة استعدادها التام للنجد عن حمى الوطن ، والوقوف بوجه الطاغية الغازي « نادرشاه » بكل عزم وثبات ، وإن أحب نادرشاه الموت فليتقدم .

ثم طلب والي الموصل من المفتى (يحيى الفخرzi) أن يكتب لنادرشاه على لسانه ولسان أبناء الموصل خطاباً شديداً اللهجة ، بلغة عربية فصيحة تعبيراً عن اعتزاز المدينة بعروتها ويتراها . وعما جاء في ذلك الخطاب : (بسم الله ، وما اعتقدنا الا بالله ، ومن لا ذكرا له فهو كفاه وحده ... وصل كتابكم المرسل الى العامة المشتمل بذعمكم على العطامة ، فلا تفتركم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغور ، مقتربين به يانكم جند الله ، مخلوقون من الغضب ، « تبت يدا أبي لهب وتب ، ما أغنى ، عنه ماله وما كسب » .

فما وعيدهم عندنا الا كسرير باب أو كما ظن في لوح الهجير ثياب ،
أفرايتهم ان القصاب تهول كثرة الفتن ؟ أو الاسد الفشمشم يدهشه تراكم
النقم ؟ تنكرتنا بما فعلت بالستند والهند مع أولئك العلوج ، وما سطوطم
على الترك بقية ياجوج وماجوج ، وتدشونا بما فتحتم من قلعتي كركوك
وأربيل ، وترعبونا بامتثال هاتيك الاباطيل ، كلا ستعلمونون ، تم كلا
ستعلمون ، الرقاع بالرقاء ، ونحن الاسود الضاربة والسباع الكواسر
العادية ، اسيافنا صقيلة ، وسطعوتنا ثقيلة ، وحولمنا رزينة ، وقوتينا
كالحديد متينة ، وجلتنا بحمد الله حصينة فلا سمعا لكم ولا طاعة
وأهل بالسعادة والشهادة هذه الساعة ، فما بيننا إلا ما صنع الحداد من
سيوف حداد ورماح مداد^(٤) هكذا قال (أهل الرماح) متهددين
الغزة .

● في ٢١ رجب ١٩٥٦هـ / ١٠ أيلول ١٧٤٣ ظهرت طلائع قوات نادرشاه بالقرب من قرية (يارمجه) شرقى مجلة على بعد زهاء خمسة كيلومترات عن مدينة الموصل ، فاسرع الوالي حسين باشا الجليلي بإرسال ثلة من الخيالة يقدر عددها بثمانمائة مقاتل ، يقودها أخيوه الشاب عبد الفتاح بك الجليلي ، للتصدي ل القوات الفارزية ، وبعد قتال عنيف ، تمكنت هذه القوة من الانسحاب الى المدينة على الرغم من محاولة الايرانيين قطع طريق عنيتها^(٢) وبعد أربعة أيام ، وصل نادرشاه (وقواته الى) (يارمجه) فمكسر فيها ، وأمر بنصب المعابر

فنا، فإنه استغفر العشائر المحيطة بالمدينة لتسهم في الدفاع عنها بينما إلى جنب مع قوات الولاية وسكان المدينة ... وينظر أن العشائر انت من القبائل العربية والكردية والتركية القاطنة في المناطق المجاورة لمدينة الموصل . وذكر أيضاً بان الوالي الجليلي - ألقى خطاباً بين المدافعين ، أخذ خاله المهد من الجميع بقتل الغزاة حتى النهاية^(٢١) ● من ناحية أخرى ، فقد أثمرت جهود المعاشر التي دخلت المدينة في تعميم الأسوار والحسون وحفر الخانق وإجراء الماء فيها . ويقال بان لوالى - الجليلي - وشأه المدينة اشتراكوا في أعمال التحصين^(٢٢) بحيث كانت الموصل عندما وصلها (نادرشاه) قد بلغت درجة كافية من الاستعداد للمواجهة^(٢٣) والتحدي .

● لقد برهنت أولى المعارك التي جرت خارج مدينة الموصل على أهمية الاهتمام بأسوارها المحصنة في أكثر أجزائها تحصيناً جيداً . وقد حاول « نادرشاه » منذ بدء الحصار امتحان ثقة الوالي واستعداداته فعرض عليه الاستسلام كي تسلم المدينة من التدمير ويسلم المحاصرون من الهلاك ، ولكن تهدياته تلك جوبهت بالسخرية من لدن المحاصرين .. وكانت إجابتهم التحدى^(٢٤) .

قام الحمام على البازى يهده
واستصرخت بساسود الفاب أضيق
يامن يسأق قم الأفلى بـاصبعه
يكفيه ما قد يلاقى منه .. إصبعه

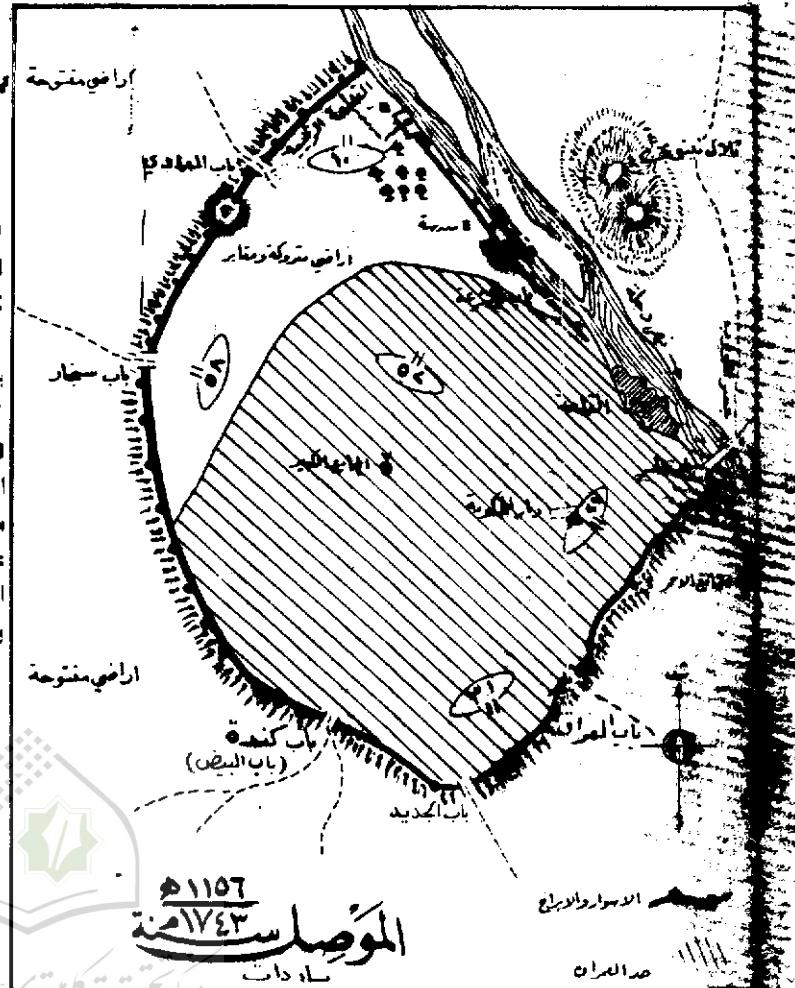
● لقد دفع تحدي الموصل المحاصرين بـنادرشاه إلى تشدید الحصار ، كما قامت مدففيته بقصف المدينة قصباً شديداً ليلاً ونهاراً ، ثم أصدر « نادرشاه » أو أمره بالهجوم على أبراج السور كافة ، وحاولت القوات الفارزية تكتيف هجماتها على بعض المناطق الواهنة من سور المدينة ، ولكنها رأت على الأعاقاب . وبلغ من شجاعة المدافعين أنهم ستوا التترات بالعشرات من جثث الشهداء الذين فضلوا الموت عند الأسوار حتى لا يسمحوا للعدو بالمرور^(٢٥) واقتحام المدينة .

● أما المجهود الحربي لـنادرشاه ، فقد وصفه صاحب (منهل الأولياء) فقال : (باشر نادرشاه بضرب المدافع على البلد ، فكان يوماً عبوساً قطريرياً ، بحيث يرى الناظر أن السماء أمطرت ناراً على الأرض ، وهاجت الحرب وماجت الأرض ، وعلل الصراخ ، وكثير الوعيد كالصواعق .. وأما القنابر = [قذائف الهاونات واحدتها قبرة] ، فإنها اشتبت في الجو مثل النجوم الزاهرات ، منقضيات في جو السماء حوالي البلد كأنهن أشطان بقر^(٢٦))

ويقال بان عدد القنابل التي أقيمت على المدينة والأسوار ، بلغت (٥٠) ألف قبولة في الأيام الأولى من احتدام المعركة^(٢٧) كما سقط خلال مدة الحصار (١٠٠) ألف قذيفة على أحد أبراج المدينة العسمر (برج باشطابية)^(٢٨)

● ولم تنجح محاولة الشاه في تبني العراقيين عن المقاومة بتحويل أحدي شعبيتي نهر دجلة ، وهو مورد أهل الموصل الرئيس ، في تحقيق هدفه ، فقد شرب الموصليون مياه الآبار دون أن يؤثر ذلك في صحتهم وعزائمهم^(٢٩) وأصرارهم على دحر الغزاة .

● ولما أيقن (نادرشاه) ان حصاره للموصل لا يؤدي إلى نصر حاسم ،



تميلت على الأسوار كالمطر ، وليلًا تتناثر كدمائهم من آدمي السماء) ولم ين تؤثر في عزيمة أهل الموصل وصمودهم ، وهذا ما جعل « نادرشاه » يشرف قبل مقر قيادته من (يارمجة) إلى موقع قرب من المدينة ، ليشرف على القتال ، فامر بالتصفي مندفعي شديد البرج (باش طابية) في الموصل ، حيث مقر الحكومة ، فتعالت من البرج أصوات التكبير ، مدفعيته بإطلاق النار على المهاجمين ، بيد أن غزارة القصف أدت بهم بعانب من البرج ، لكن المجهودات العظيمة التي بذلت ، أحكمت من جديد^(٢٩) .

وصلت أدباء تقدم (نادرشاه) قبل الهجوم على الموصل ، حيث الجهود قاطبة للدفاع عن المدينة . وقبل وصول (نادرشاه) إلى الموصل بمدة مناسبة ، كانت المدينة تمع بالحركة والهياج ، على حين من مدينة بغداد التي واجهت أدباء تقدم (نادرشاه) بالهدوء ، (سليمان أحمد باشا) بإجلاء قسم من السكان للمساعدة في إزالة الكافية للدفاع ، فإن والي الموصل (حسين باشا) افتح أبواب المدينة لاستقبال (ألواء اللاحفين) من القرى . يذكر بان هؤلاء اللاجئين قدموا للموصل التموينات والمخازن . وبهـ المدينة كانت باسم الحاجة إليها^(٣٠) وقد عبرت هذه باسم الحاجة للموصل آذاك . ومن المعتقد أن والتي يدرك بان امكانات المدينة للدفاع والصمود كانت محدودة ،

● لقد أعد « نادرشاه » هذا كله خلال أيام معدودات ، وعيّن يوماً للهجوم على الموصل تحت جنح الظلام ، ونصف المدافع الشديد . أما التدابير التي اتخذناها أهل الموصل فكانت الآتى :

أ. زالوا عدد المدافعين في الجهة الشمالية من المدينة وفي غربها ،
وضاعفوا من عدد المدافعين والبنادق ، وكمية كبيرة من القنابل والبارود .

ب. نقلوا حجارة كبيرة ، ثيتوها في أعلى السور ، ليلقواها على من
يتقرب من سور البلد .

ج . شحنوا السيف والخناجر ، وكمروا خلف السور ينتظرون هجوم الأعداء .

وفي الوقت عينه، ضاعف المعتدون القصف على السور والمدينة، وأسلحتها التبن الذي كانوا قد أعدوه تحت السور قرب السالم، وصعد المهاجمون على السالم، فاستقبلهم أهل الموصى بالسيوف والخداج، يقطعون رؤوسهم ويرمون بها الأعداء، وكلما تقدم من الأعداء جماعة، لقوا حتفهم، فارتباك جيش «نادرشاه»، وراح الفراز يلعنون بالغواص، فاضطرتهم جند الموصى العيامين بالعذائب والروصاص، وألقوا أكثريهم قتلى في الخندق الذي كان يحفر بالسور (بعرض ٥٠ قدمًا وعمق ٢٠ قدمًا). ثم نزل الموصليون إلى من سلم من الأعداء، وفتحوا بهم، ففر أكثر المهاجمين، وكان «نادرشاه» مع الخيالة، يصد جنوده الفارين بالقوة والقتل، ويحرضهم على الثبات، لكن المهزومين شقوا طريقاً لهم بين الخيالة واستمروا بالغواص إلى قرية (القاضية) ورجع نادرشاه خالياً مهزوماً^(١)، وكانت حثت قتلى جيشه ورؤوسهم تملأ الخندق مما يحفر به.

● لقد وصف الشعراء والكتاب هذه المعركة العنيفة ، وما قام به ابطال الموصل من افعال بطولية ، للنور عن هذه المدينة الباسلة . ومن تلك ما قاله (الشیخ فتح الله القاری) في اوجوزته التي وصف فيها المعركة من اولها الى اخوها :

أمر بمضاعفة عدد المدافعين والجنود، وتركيز القصف على قلعة (باشتايبية) وباب سنجار، محاولاً تدمير المواقعين ليسهل الهجوم على المدينة. وقد أحدث القصف ثلمات في باب السور قرب سنجار، بحيث يتسع لدخول الخيالة من الجيش الفارسي الى المدينة، ولكن اهل الموصل البسلاء كانوا قد ^{أذعنوا} وضعوا أكياساً مملوءة بالتراب لسد ما أحدث القصف من ثلم في السور، كي لا ينقد الاعداء من خلالها الى المدينة.

● في منتصف شهر شعبان ١١٥٦هـ / ٣ تشرين الأول ١٧٤٣ ، نقل الطاغية (نادرشاه) مركز قيادته من قرية (يارمجة) إلى قبة (القاضية) التي تقابل مدينة الموصل في الجانب الشرقي من نهره ، نصب جسراً بين القاضية والموصل ، وعبر مع عدة آلاف من جيشه ليشرف بنفسه على إدارة الحدبات :

● استشار (نادرشاه) أهل الرأي من جيشه فيما يقومون به ، وقد ثبّت أكثر القنابل التي كانت مع جيشه ، ولم تُجبر نفعاً ، كما جسر العدو العديد من جيشه ، وأهل الموصل صامدون ، واتفقوا على أن يقموها بخطوة عنيفة في الهجوم على المدينة كالات:

أ. أن يحفروا أربعة ألغام في سور الموصل ، اثنان منها شمالي المدينة ، واثنان في الطرف الغربي منها مقابل مسجد الشيخ (قضيب البان) - الواقع بظاهر الموصل ويتقابل باب سنجار ويبعد عنه قرابة نصف كيلومتر - وذلك لكي يشعلاها عند الهجوم ، وأن يديروا هذا الأمر ليلاً . وفات على (نادرشاه) أن أهل الرأي والسداد قد حفروا آبار في لحاف السور وستروها ، حتى إذا ألقم السور ، اندفعت قوة البارود إلى الآبار ، فسلم السور .

ب . أن يعنوا ألف شلم توضع على السور ، لكي يقصد عليها جنود الفزو ، وكان في جيش (نادرشاه) من يتتجسس عليهم ، ويعلم أهل الموصل بما يدبون ، ومنهم « بدوي » ، ولما علم هذا بتدبرهم ، وأن قتالهم على وشك النهاية ، وأنهم يحاولون آخر هجوم قوي يكون على السلام ، ركب فرسه وأخذ يدور ظاهر السور ويفني :

لپشیزا کن خلاص

عجورنا کن تم

لکن بالکم بالکم

مِنَ الْمُلْكَ وَالْعَامِلَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولم يكن الفرس يعلمون بما كان يقصده (بدوي) وحسبوا انه يحرّض جيشه على الثبات وال الحرب ! وكان الموصليون يعلمون بما تبره

جـ. أن يضعوا (اكياس من نسيج الشمر) تعرف بـ(الفراائر) ملاوتها بالتبين حول السلام لكي يشعلوها عند الهجوم ، فيستريحانها من على

د. أن يضاعفوا القصف بشدة لكي يشفلوا أهل المدينة والمحاربين

عما يقمون به من هجوم .
هـ . اختار « ناصرشاه » خمسة آلاف من جنوده الأقوياء وجهزهم

بالخاجر والسيوف ، لكي يصعدوا على السالم ويفتكوا بالمدافعين .
و . أوقف « نادرشاه » ثلاثة من الخيالة وراء المهاجمين لكي يفكوا بمن

يُفَزَّ مِنْ جِيشهِ ، وَكَانَ هُوَ مَعَ الْخَيَالَةِ .

تبادرت لذحونا سريعاً
ليجعلوا ذلك كالورقاء
وغيره قد طلب التعليم
كذلك الأطفال في القصور
ما منا شخص أمن السلامة
من شدة النقع ومن عجاج
تفانات الأرواح والاشباح
أفني رجالاً مثل سيل إذ قرذ
وانقلبوا صرعى على الآبار
تساقط المئاث والالوف
إلى الجحيم سير في أرواحهم
كم كافر من فخر قد قتلوا

تساحت أجنادهم حميمًا
قد ملأوا الآستان في الوعاء
نو شلم قد قصد التسليقا
كم تسمعوا الضجيج فوق السور
تظن حتى قامت القيامة
والصبيح قد عاز كليل داع
وقد علا من حولنا الصياغ
فتنتظر الرصاص من سورنا قد
قولوا الأعقارب بالفراز
تطاير الرقوس والكفوف
نامتلا الخندق من اشباحهم
من سورنا شجعانا قد نزلوا

ترسل شمس اليوم الرابع من رمضان عام ١٩٥٦ هـ / ٢٢ تشرين الأول ١٧٤٢ المُعْتَهَا القرمزية على قمة البرج العالي « باش طابية » أثر البسطولة والاتنام الا وكانت المساكن النادرشاهية تسير متوجهة نحو الشرق، بقليل هالع ، وقيم مرتفع ، وهي تلقي نظرة الوداع الأخيرة ، ملؤها الهيبة على مدينة كللتها أشعة الشمس الذهبية بأكمل الظرف والانتصار)^(١) .

أبعاد ملحمة حصار الموصل

● لقد كان حصار الطاغية الفارسي المفترض (نادرشاه) للموصل الحدباء ، جزءاً من سلسلته من تلك الحملات الطويلة المرتبطة بمحور واحد ، ودافع واحد هو احتلال العراق . لذلك فمن المهم إيضاح وشرح ثلات نواح حيوية ، نستلهما من واقعة حصار الموصل وهي :

١. البعد النفسي :

(١)

لقد وجدنا في ملحمة حصار الموصل جوانب لحرب نفسية حقيقة اعتمدت على المعنيويات وعلى وسائل بسيطة ، لكنها مؤثرة في تسيير لفة المعركة وحسم النصر لل伊拉克يين .

ومن البديهي أن يكون لكل حرب نفسية جانبان : سلبي (في جانب العدو) ويجاري (في جانب الشعب المعتمد عليه) . وقد استفاد « نادرشاه » من بعض الأمور لشن حرية النفسية لتهدم له اجتياح الموصل ، ثم استقطاع الدولة المثمانية يمكن تلخيصها في الآتي :

أولاً .

إستقل (نادرشاه) شهادة الحرية عندما اجتاز الهند والسد واحتل بعض المدن العراقية ، ولم يخف ذلك عندما أرسل أول كتاب له إلى والي الموصل يخبره وينصحه بتسليم المدينة . ثم يلغا إلى الإقناع المஸول ، إذ يختتم الرسالة بالتحذير من العقاب الذي ناله أهالي الهند والسد والترك وأهالي كركوك وأربيل ، وينصح الوالي وأهالي الموصل (باستقباله لأنه هو الشاه العادل الكامل الرؤوف والخاقان الأعظم المطوف ، فهو معروف بهمته العالية ... فلا ت تعرضوا أنفسكم لنزول ديران غضبه وشدة بطشه وسخطه) !!

وثانياً :

استند (نادرشاه) على دعاية سبقته عن شدة بطشه وقوة جيشه ، وضخامته ، والذي اجتاز المدن الكبرى والقرى المنتشرة حوالي المناطق القريبة من كركوك إلى الموصل .

ثالثاً :

حاول الشاه الحيلة بعرض الصلح دون الوعد بكف الهجوم ، وكان يستعين بآيات من القرآن الكريم - كما كان يفعل هولاكو المغولي عندما شرع بمحاجمة العراق ، حيث كان نصير الدين الطوسي يكتب له الرسائل الملتهبة لتخويف الناس وتربويمهم وتحطيم معنوياتهم قبل البدء

وقطعوا الرزقون والسيوفا سلام صارت كما الغبار فانكسرت شوكه (طهماز) وقد وربيع الثاني جريحاً قد رجع

الخ

● لقد وجّد « نادرشاه » أن ثبات أهل الموصل وصمودهم ، أسطورة من الأساطير ، وأدرك عدم جدوى القتال ، وخاصة بعد أن تجددت قواته الكثيرة من الخسائر ونفذت مؤونته ، فاضطر إلى طلب الصلح ! وأرسل سفيرياً إلى الموصل يحمل رسالة يطلب فيها أن ترسل الموصل وجلين من العقلاء للتباحث في أمر الصلح والانسحاب . وكان الجواب - الحاسم : (إن مدينة الموصل الباسلة قد أعطت الشهداء البررة ، دفاعاً عن الدين وتراث الوطن ، فلا ترسل رسولاً ولا ذكراً كتاباً) . وعاد رسول الطاغية (نادرشاه) خائباً بعد أن شاهد بنفسه قوة المدافعين ومتانة مواقعهم داخل القلعة . وهاله جريان الأمور بصورة طبيعية فقصّ على (نادرشاه) ما رأى : (إننا كنا نظن ما يبني في الموصل داراً معمورة من عظيم التقابل التي أقيمتها عليهم ، فلما دخلت البلدة ، ما شاهدنا فيها أثر قبرة ، ولا آثار قبرة أبداً . وما لاقت منهم أثر ملل ، وإنما هم كامثال الأسود الضواري) ، وهذه شهادة من عدو ، (والفضل ما شهدت به الأعداء) .

● وازاء هذا الوصف الدقيق لأهل الرماح البسلاة . دهش (نادرشاه) . فكتب كتاباً آخر إلى والي الموصل - حسين باشا الجليلي - أكثر تواضعاً والتماساً ، يطلب جلين من الموصلة للمفاوضة . فقرر الوالي إرسال قاضي الموصل والمفتى (علي أفندي الفلامي) (قرة مصطفى بيك) . وعند وصول الوقد إلى مقر قيادة نادرشاه في (القاضية) - حيث كانت هناك الضريح القاضية - تلقاهم بالبشاشة ، وأنهى على المدينة وثباتها ، وقال لهم : (أنا في الأصل ، مكاناً لي دعوى مع أهل الموصل ، ولكن كان مرادي تصحيح عقidiتي وإظهار ما هو حق) !!

● وبعد أن تم الحوار بين الطرفين ، ألمع مقتي الفرس (الملا علي أكبر باشي) للوقد الموصلي أن (نادرشاه) يرغب ببعض الخيول العربية الأصيلة هدية له ، وفهم الوقد الموصلي من ذلك أن تحقيق هذه الرغبة ليعود « نادرشاه » متقدراً بالخيول العربية أمام عساكره !

● ولما عاد الوقد الموصلي إلى الموصل ، وشرحوا للوالي والمحافظ مدار بيته وبين نادرشاه ، أرسل حسين باشا الجليلي خيوله مع ابن عمّه قاسم الجليلي ، وأرسل محافظ الموصل خيوله مع أحد رجاله المقربين إليه ، وكانت هذه الخيول تجوب ساحات الوعي كالريح العاصفة تحت فرسانها ، تلهب العدو ضرباً بالسيوف ، لتنكر الفزاعة بفعل الرجال الذين لقائهم من على ظهورها أبلغ الدروس ،

● في صبيحة الرابع من رمضان من ١٩٥٦ هـ / ٢٢ تشرين الأول ١٧٤٣ شرعت قوات الفزو الفارسي بقيادة الموصل الباسلة ، وهي تجز أذیال الهزيمة والخزي والعار ، واضطرب (نادرشاه) إلى سحب قواته العسكرية من معظم المدن العراقية ، وعدل تهائياً عن حصار بغداد

● لقد كان يوم الانسحاب الفارسي من الموصل ، يوماً عظيماً في تاريخ المدينة ، فقد انتصرت الإرادة الحرة وخابت ارادة الفزاعة المعتمدين . (ولم

ثالثاً :

ان المتتابعة المستمرة من لدن القيادة العيدانية لتدابير الدفاع والهجوم والحراسة والترميم والاسعاف ، وتوزيع الوحدات (تعبيتها تعبئة صحيحة) وشجاعة هذه القيادة وامتزاجها مع الاهالي بصفة المواطن المحارب ، قبل صفة الحاكم والأمر والناهي ، وحدثت كلمة الاهالي وقلوبهم ، وجعلتهم أمام مسؤولية مباشرة قومية ووطنية ، وليس مجرد أنصار محاربين في إطار تنظيم عسكري ، وكان هذا هو شعور الجندي النظامي ، وشعور المدني من الاهالي الذين تطوعوا جميعاً ، وامتنعوا للتوجيهات القيادة . ويلاحظ: من تتبع الأحداث وواقعها أن ولاء الوالي وأسرته كان للعراق والعروبة ، وقد أطلق عليها اسم « الحرب المقدسة » . لقد كانت كفاعة الوالي وحسن تدبيره وقيادته وسهره وجبه للموصل وأهاليها وتطوعه بنفسه وأولاده وأقاربه ، موضع تقدير الجميع وقد رفع من معنويات الاهالي ، فشخصيته القيادية وسلامة الفرسان والضباط والجنود كانت من روح الجماعة ومعها ، وبذلك ، أحرز الوالي الموصلي تقدرياً ومديحاً وتاريخاً لشخصيته البالسلة في كل ما كتب عن تاريخ الموصلي في تلك المحنـة . ولذلك ، كانت الموصـل تستمد روحـياً وماـديـاً للمعركة ، وكانت الموسيقى الحربية ودورات الباشا بين كـرـاءـ الخـندـقـ وـيـنـةـ السـوـرـ المشـتـقـلـينـ باـسـتـمـارـ تـلـهـبـ حـمـاسـ الجـمـيعـ وـتـحـبـ الـبـهـ العمل .

رابعاً :

وصول نجدة الوالي حلب - رغم قلة عددها ، أضفت على حرب الموصـل شعورـاً بـوـحدـةـ المصـبـرـ ، وـتأـخـيـ أـبـنـاءـ حـلـبـ ضدـ أـعـداءـ الـعـروـبـ وـالـاسـلـامـ . يضاف إلى ذلك ، قدمـونـ نـجـدـةـ منـ (٥٠٠) محـارـبـ كـرـديـ سـاـهـمـ فـيـهاـ حـاـكـمـ (كـوـكـبـاـشـ) حـاـكـمـ كـوـيـسـنـجـ ، مماـ أـضـافـ عـنـصـراـ مـعـنـوـيـاـ جـدـيـاـ إلىـ المـدـافـعـينـ ، وـهـوـ أـكـرـادـ بـرـونـ فيـ الـهـجـومـ الـفـارـسـيـ ، اـعـتـدـاءـ عـلـىـ تـرـفـ الـوـطـنـ وـالـأـمـةـ .

خامساً :

كان قرار الصمود والدفاع عن الموصـلـ مـثـالـ الـدـيمـقـراـطـيـةـ الـبرـلـانـديـةـ وـالـشـعـبـيـةـ . فقد جـمـعـ الوـالـيـ الـاهـالـيـ فـيـ طـرـفـ الـمـدـيـنـةـ الـجـنـوـيـ الشـرـقـيـ فـيـ السـاحـةـ الـمـحـيـطـ بالـجـامـعـ الـمـجـاهـدـيـ ، وـقـرـأـ عـلـيـهـ رسـالـةـ (نـادـرـشـاءـ) . المـلـيـتـةـ بـالـفـطـرـسـةـ وـالـتـهـيـيدـ وـالـوـعـيـدـ ، وـسـالـلـهـ رـأـيـهـ فـيـماـ جـاءـ فـيـهاـ وـمـوـقـعـهـ مـنـ (نـادـرـشـاءـ) . وقدـ أـدـرـكـواـ كـذـبـ وـغـرـورـهـ ، وـلـمـ يـتـخدـعواـ بـمـاـ تـظـاهـرـهـ مـنـ إـيمـانـ وـعـطـفـ ، فـاجـبـواـ جـمـيعـهـ بـصـوـتـ واحدـ: انـهـ مـسـتـعـدـونـ لـمـاـ يـأـمـرـهـ بـهـ الوـالـيـ وـمـوـاقـعـهـ عـلـىـ رـأـيـهـ فـيـ اـنـتـخـامـ غـمـارـ الـحـربـ ، وـلـوـ كـلـفـتـهـ إـرـاقـةـ دـمـائـهـ جـمـيعـاـ . وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ الشـيـخـ فـتـحـ اللـهـ القـادـرـيـ فـيـ اـرـجـونـةـ عـنـ الوـالـيـ :

قد جـمـعـ النـاسـ وـأـنـشـىـ الـخـبـرـاـ
أـذـاعـ فـيـمـاـ بـيـنـهـ مـاـقـدـجـرـىـ
وقـالـ: يـسـانـسـ أـلـاـ فـاجـتمـعـواـ
وـحـسـالـ كـرـكـوكـ وـأـرـيـلـ اـسـمـعـواـ
فـقـالـ: نـحنـ أـعـمـاسـاـمـيـ
نـشـذـ حـزمـ الـعـزـمـ لـلـاقـدـامـ

بالقتـالـ - إنـ الـاستـعـانـةـ بـآـيـاتـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ بـغـيـةـ فـتـ عـزـيمـ أـهـلـ الـمـوـصـلـ ، وـالـحـامـيـةـ ، وـاقـنـاعـهـمـ بـعـدـ جـنـوـيـ الـقـتـالـ مـثـلـ: (وـتـعـاـونـواـ عـلـىـ الـبـرـ وـالـتـقـوـىـ وـلـاـ تـعـاـونـواـ عـلـىـ الـإـتـمـ وـالـعـدـوـانـ) ، أوـ كـمـاـ جـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ الشـبـوـيـ الشـرـيفـ : (إـنـ مـنـ فـنـجـ عنـ أـخـيـهـ الـمـؤـمـنـ كـرـبةـ فـزـجـ اللـهـ عـنـ سـبـعينـ كـرـبةـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، وـمـنـ رـأـيـ أـخـاهـ فـيـ حـفـيـرـةـ فـانـجـاهـ ، أـنـجـاهـ اللـهـ مـنـ النـارـ) .

رابعاً :

توهمـ «ـ نـادـرـشـاءـ »ـ بـأنـ الـمـوـصـلـ لـاـ تـخـتـلـفـ عـنـ أـرـيـلـ وـكـرـكـوكـ وـالـحـلـلـةـ وـالـقـرـنـةـ وـالـبـرـصـةـ مـنـ حـيـثـ ضـعـفـ وـنـقـصـ اـسـتـعـادـتـهـ ...ـ وـقـدـ تـعـزـزـ وـهـمـ عـنـدـمـاـ وـجـدـ كـرـكـوكـ قـاـوـمـتـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ فـقـطـ ثـمـ اـسـتـجـابـتـ لـشـرـوـطـهـ ،ـ أـمـاـ أـرـيـلـ ،ـ فـقـدـ وـجـدـ فـيـ التـسـلـيمـ خـيـراـ لـاهـالـيـاـ ،ـ فـلـمـ تـقاـوـمـ اـكـثـرـ مـنـ نـصـفـ نـهـارـ .

(٢)

كانـ هـذـاـ رـصـيدـ الـفـرـسـ فـيـ حـصـارـهـ لـلـمـوـصـلـ ،ـ فـالـمـعـنـوـيـاتـ الـتـيـ اـسـتـنـدـ إـلـيـهـ «ـ نـادـرـشـاءـ »ـ كـانـ وـاهـيـةـ وـاسـسـهـ الـفـرـوـرـ وـالـفـطـرـسـةـ وـالـقـرـنـةـ فـيـ عـدـدـ الـمـقـاتـلـينـ وـلـيـسـ فـيـ كـفـائـتـهـ الـحـقـيقـيـةـ وـإـيمـانـهـ بـقـضـيـةـ رـاسـخـةـ ،ـ عـادـلـةـ وـمـشـرـوـعـةـ !

(٣)

أـمـاـ الـحـربـ الـنـفـسـيـةـ الـمـرـاقـيـةـ ضـدـ «ـ نـادـرـشـاءـ »ـ وـجـيـشـهـ إـلـيـ حـصـارـ الـمـوـصـلـ فـيـمـكـنـ إـجـمـالـهـ فـيـ الـأـتـيـ :

اـوـلـاـ :

كانـ نـجـاحـ قـوـاتـ الـمـوـصـلـ عـامـ ١٧٣٢ـ فـيـ قـتـلـ قـائـدـ الـحـملـةـ مـسـاعدـ نـادـرـشـاءـ ،ـ الـمـدـعـوـ (ـ نـرـكـزـخـانـ)ـ الـذـيـ أـرـسـلـهـ بـثـمـانـيـةـ أـلـفـ جـنـديـ أـنـتـاءـ فـيـ حـصـارـهـ لـبـغـدـادـ وـتـشـتـتـ جـنـدـهـ قـبـلـ وـصـوـلـهـ الـمـوـصـلـ ،ـ وـالـرجـوعـ بـرـأسـهـ إـلـيـ الـمـدـيـنـةـ مـحـمـلاـ عـلـىـ رـمـعـ عـامـ ١٧٣٣ـ ،ـ كـانـ تـارـيـخـاـ قـرـيبـاـ مـشـجـماـ ،ـ إـذـ كـانـ النـصـرـ وـالـأـعـلـامـ وـالـتـحـيـاتـ وـزـغـارـيدـ النـسـاءـ وـقـصـائدـ الـشـعـراءـ وـالـأـدـبـاءـ ،ـ تـذـكـرـ هـذـهـ الـمـعرـكـةـ ،ـ وـتـعـيـشـ فـيـ أـنـهـانـ الصـفـارـ وـالـكـبـارـ ،ـ إـذـ لـمـ يـمـضـ عـلـىـ هـذـهـ الـحـادـثـ اـثـنـ عـشـرـ عـامـ فـقـطـ مـنـ مـلـحـمـةـ حـصـارـ الـمـوـصـلـ عـامـ ١٧٤٣ـ .

ثـانـيـاـ :

انـ اـجـتـيـاحـ نـادـرـشـاءـ الـقـرـىـ الـمـحـيـطـةـ بـالـمـوـصـلـ ،ـ وـعـلـىـ طـولـ مـسـيـرـهـ مـنـ كـرـكـوكـ إـلـىـ أـرـيـلـ وـحـتـىـ وـصـوـلـهـ الـمـوـصـلـ ،ـ وـاعـتـدـاءـهـ عـلـىـ الـأـطـفـالـ وـسـبـبـهـ النـسـاءـ ،ـ وـتـخـرـيـبـهـ الـمـزـارـعـ ،ـ لـمـ يـثـرـ الرـعـبـ بـقـدرـ ماـ أـثـارـ الـحـقـدـ وـالـمـرـاءـ وـالـعـزـمـ عـلـىـ الـمـقاـمـةـ بـالـتـوـجـهـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ كـمـعـقـلـ دـفـاعـ لـيـشـارـكـواـ أـهـالـيـاـ فـيـ الـحـربـ .ـ فـكـانـ هـذـهـ التـجـمـعـ الـمـخـتـلـطـ مـنـ مـخـتـلـفـ الـقـومـيـاتـ وـالـأـدـيـانـ وـالـمـسـتـوـيـاتـ ،ـ كـانـ اـبـرـزـ تـجـسـيمـ لـوـحـدـةـ وـطـنـيـةـ فـيـ إـطـارـ رـوحـيـةـ الدـفـاعـ عـنـ الـوـطـنـ الـأـكـبـرـ ،ـ وـفـيـ اـنـصـهـارـ الـحـمـاسـ وـالـمـعـنـوـيـاتـ فـيـ غـايـةـ وـاحـدـةـ هيـ: رـدـ دـخـيلـ مـارـقـ وـمـاـكـرـ وـغـاـدـرـ ،ـ لـاـ يـقـيمـ وـزـنـاـ لـلـلـاـنـسـانـيـةـ وـلـرـوحـيـةـ الـاسـلـامـ الصـحـيـحـ أـوـ الـجـيـرـةـ ،ـ لـذـلـكـ كـانـ دـفـاعـ الـمـوـصـلـ دـفـاعـ شـعـبـيـاـ مـسـتـمـيـتاـ بـكـلـ مـعـنـيـ الـكـلـمـةـ .

لقد أنت نوبة ذي الحدباء
وأنتم آت بلا مراء

فتحن منكم ثم انتم من
فلا تخاوفوا فشلاً وجينا
وعرضكم عرضي وانتم مني
وطفلكم طفلي خذوا ذا عنني
فواطنوا القلب على الثبات
وأخلصوا لله بالذين اتى
فقوموا ياقوم على البروج
وهموا ياماس على الخروج
فcame الناس الى السلاح
وصاح فينا صائح الفلاح

وكان الجواب على كتاب الشاه موزوناً رزيناً مشحوناً بالثقة
والمعنويات حيث جاء فيه : (فالعياذ بالله ، أمن بعد إيماننا والمقاتلة
دون أموالنا والمكافحة دون أولادنا وعيالنا بيهولنا منكم شقاق اللسان
ويروعنا سحر البيان ووسوسة الشيطان وكثرة الهدىان ؟ ... ورثنا عن أبياء
صدق ... وورثها إذا متنا للبنين) .

سادساً :

كانت كل عملية حربية ، وكل استعداد يقوم به الجندي والأهالي يensem فيه
كل أفراد الأسرة الحاكمة وعشائرهم ، فقد جرى حفر الخندق حول أسوار
الموصل يعمل جماعي من قبل الفني والفقير ، والشهير والمغمور ، وكان
كل ضرر أو تخريب يحدث نتيجة القصف المدفعي يصلحه الأهالي ليلاً
ونهاراً ، وفي الحال ، وفي أي مكان من الأزقة والشوارع ، فتضافت بذلك
جهودات الجميع من الجيليين إلى الشخانين .

سبعاً :

ان اكتشاف المكر السياسي السيء والمناورة الطائفية في أطماء
(نادرشاه) التوسيعة بافعاله وأقواله المناقضة لروح الدين الاسلامي
الحنيف ، صار مفهوماً لدى العامة . كذلك استتصدر علماء الاسلام فتوبي
مقابها (ان القتال ضد الفرس وأسرهم أمر حلال ، وان مطالب الفرس
تناقض الدين الحنيف) وما استشهاد الموصى بالآئمه وشعور الأهالي
بأنهم كانوا فرسان الإمامين علي والحسين (عليهما السلام) في أثناء
حصار الموصى ، الا تدل على عدم قناعتهم بادعاء الشاه ، وعلى
محبتهم وشدة تعلقهم بمبادئه و الاخلاق وسمو سلالة الرسول العظيم .
وفي ذلك يقول خليل البصیر :

هذا والله جزيل الشكر

على التجاة واندفاع الشر
ثم من الصلاة أركيحا على
جذ اللذين حوصروا في كربلاء

ثامناً :

لقد أخير الوالي (حسين باشا الجليلي) سكان الموصى أن يسأل الشاه
ليل ضعفه وخوفه ، وليس بسبب قوته وتمكنه من الموقف ، ثم طلب

إجراء خدعة حربية لأولئك الرسل ، وذلك بان يجعلوا القذائف
ويخرجونها في ساحات بيوتهم ، حتى إذا جاء رسل الشاه ، لا يمكنهم
معرفة الأضرار الحقيقة التي يسببونها لهم ، خاصة وان الترميمات
تجري على قدم وساقي من قبل فرق خاصة . وعندما سال الشاه رسle عن
الأضرار التي حلّت بالمدينة أجابوه (وقد انطلت عليهم الحيلة) بانها
طفيفة ! وأنهم لم يروا (قذائف) (قنابر) (قذائف) (قنابر) وانهم رأوا معنويات الأهالي
عالية . وكانت هذه الشهادة مصدر استياء وخيبة أمل نادرشاه .

لقد كان المدخل الى فناء (كنيسة الطاهرة) [مريم] حتى قبيل
الحرب العالمية الاولى (سنة ١٩١٤) مرصوفاً بقتاير الطاغية
نادرشاه من مختلف الاحجام . ثم رفعت وصهرت واستخدمت موادها فيما
بعد .

تاسعاً :

كان الوالي حسين باشا الجليلي يكافئ القادة والضباط ويكرمه
بالذهب والهدايا تقديرأ لاعمالهم البطولية وشجاعتهم الفائقة .
عاشراً :

اما البدء بالذات ونكرانها ، فقد تجلّى في الهجمات المضادة والفارات
الخاصة والكمائن ، حيث كان أولاد الوالي وضباطه المقربون يقومون
بها . وقد ذكر الشيخ القارئي في ارجوزته انه كان أحد أعضاء تلك الفرق
التي تقوم بهجمات ليلية عبر نهر دجلة لترعب الفرس . وكان عصام الدين
عنمان الدنتري العمري (مؤلف الروض النضر) أيضاً من أولئك الفرسان
إذا يقول : (وكانت أنا أحد الفرسان وشاهدت من الهول مالم يذكر
بلسان) .

حادي عشر :

ان الروح المعنوية العالمية - اذن - تشبع بروحانية زينية - تولدت عن
ظواهر خارقة ، جعلت أهالي الموصى يشعرون بان الله معهم ، وانهم على
حق . والواقع التالية التي انتشرت أخبارها بين الأهالي تعدّ من عوامل
رفع الروح المعنوية ، وتعزيز الحرب النفسية ضد هجمة (نادرشاه) .
ومن هذه الخوارق :

● بعد أول معركة خاسرة بين عساكر الموصى ضد نادرشاه ، أراد متولي
حضرية النبي الله يونس أن يرفع مافي الحضرة من الفرش والبسط ، وكذا
من الجامع ، فمنعه الوالي وقال دعه ، فعسى أن ياخذوا ما فيه ، فيغضب
الله عليه ورسوله ، وان نقص منه شيء فلعله تمامه ،

● اعتقاد الناس ان مدینتهم الموصى ، مدينة مقسسة ومحمية ، لكثرة ما
فيها من مرافق الآباء (عليهم السلام) والآولىء ، مثل (النبي
يونس ، ونبي الله جرجيس ، ونبي الله شيت ، والحضر) .

● وزرا البعض قوة المسيحيين من الأهالي المحاربين إلى وجود أرواح
القديسين معهم ، مقل القديس (كوركيس) (يوحنا) (متى) ،
ولذلك ، شيد الوالي كنائس جديدة ، وأعاد بناء وترميم كنائس أخرى .
● ومن أسباب ارتفاع معنويات الأهالي ، ما ورد من أن مريم العذراء
حمت المدينة ، وان شفاعتها عوضت عن قلة المؤمن والعد ، إضافة الى
غضب وتورة القديسين على الفرس الذين هدموا هيكلهم ومعابدهم .
ويروي سكان الموصى ، انهم شاهدوا من سطح كنيسة العذراء الطاهرة

ب . البعد القومي والوطني :

(١) ان الشعور الوطني والقومي لل العراقيين في إطار الامبراطورية العثمانية الاسلامية لم يكن غائباً أو مفقوداً عن حيز الوجود والضمير ، ان لم نقل في وعي المفكرين والنابهين والسياسيين الوطنيين . ويرغم اخلاص العرب والمسلمين للعثمانيين ، الا ان هؤلاء لم يعيروا البلاد العربية اهتماماً بالثقافة العربية . أما الصراع بين الفرس والعثمانيين الذي كان باسم الدين ، فهو من أسرار المناورات السياسية ، لكن أرض المعركة ووقوفها كانت على أرض العرب ، ومن سكانها ... لذلك ، فإن قوية المعركة ، وروحية البناء والنهضة كانت متوقفة على مدى قوة الرياط الوجданى والوطني بين المواطنين وماضيهم العربى والإسلامى ، وبين القادة القلائل ، وشعورهم بالانتقام والمسؤولية نحو المنطقة العربية المغيرة أولًا ، قبل الولاء الثاني في الترتيب والاسبقية للباب العالى . وهكذا نجد براءة وجود شخصيات بعض الولاة في العهد العراقية الرئيسة كبغداد والموصى والبصرة . ولا يمكن إخفاء نظرية الترك إلى العرب بأنهم أقل درجة . وأخذت قدرًا ومذلة . إن هذه الخلفية المكرية والسياسية والاجتماعية لوضع العراق والبلاد العربية ، تعطى لحروب العراقيين ضد الفرس (ومنها ملحمة حصار الموصل) أهمية قومية - وطنية تتجلى في الأحداث والظواهر الآتية :

أولاً :

ان دفاع الموصل عن أرضها وشرفها كان صورة مكثفة لشعور كل العراقيين ... ورمزاً للصلابة والتماسك الوطني والقومي ضد جيش معتمدي . ويتبين من عجز (الباب العالى) عن نجدة الموصل ، وقتلة النجدات الأخرى من حلب ، أن جميع طبقات الشعب من حرفيين وعمال وقراء وأغنياء وبناء وأقليات وطوائف دينية استجابت إلى نداء واحد فقط هو : الدفاع عن الموصل وعن العراق ككل .

ثانياً :

ان والي الموصل وأولاده وأسرته لم يشعروا بالخذلان أو الاحتياط لعجز الباب العالى عن نجدهم ، فاستجابة الأهالي ولوجه سكان القرى المجاورة إليهم ، والمشاركة الديمقراطية واختفاء الحاجز والتفرق بين إلـا ... ، أثار الشحاعة والنحوة العربية والوطنية لصد الهجوم ، فهو يشبه الدفاع الشعبي الذي نحر ذاتليون أمام أسبانيا وكذلك أيام روسيا .

ثالثاً :

لقد أطلق والي الموصل على ذلك الموقف (الحرب الوطنية) لأن من شارك فيها كانوا عرباً وأكراداً وأتراكاً : مسلمين وموسيحيين وبيزنطيين ، وموصليين مدينين وفلاحين ويدو من الأطراف المحيطة بالموصى الذين درءاً من شرارة (نادرشاه) .

رابعاً :

ان ظهور الشخصية المحلية القومية بين ظهراني شعب يحب وطنه ، وكان أحد مظاهر انبعاث الروح القومية العربية المستقلة تسبباً عن نفوذ الوالي العثماني . وكان لوجه سكان القرى المجاورة من الأكراد والنصارى

أشخاصاً يحمون المدينة ، ويربون عنها القذابي ، مصوبيتها جهة العدو .

ثاني عشر :

لقد بلغ الحماس والاقدام لدى المسلمين نزوله بتذكر آيات من القرآن الكريم والاناشيد العسكرية (المهرجانة) وكانت الاهمازيع سارية كل يوم وكان أهل الموصل في الليل أيام الحصار يقرأون شيئاً بالمسان التركي يسمى « كلند » - وربما كلبد - كما هو عادة اليونجرية ، فإذا تم صاح كل من حضر بأجتمعهم (أحمد الله) . وحكي من كان في عسكر نادرشاه ان المسكر اذا سمعها وقع في قلوبهم الرعب ، وبضميق بهم تلك البر . وقيل ان نادرشاه ارسل حين الصلح أن يبتلوا هذا (الكلند) ، فابن أهل الموصل ، حتى رحل عنهم ، ويسintel من معلومات الشيوخ وكبار السن بان (الكلند) تعنى التشيد أو الادعية التي تعجد الجيش المدافع عن الموصل . ومهما يكن من شيء ، فإن الاناشيد من وراء الاسوار مع دقات الطبول والدفوف وأصوات الجموع ، كانت مدوية ، تقلق عساكر الفرس ، وتطرد الذوم من عيونهم ، وتثير فيهم الجبن والهلع والتخالل ، (وأهل الموصل على الاسوار مواطئين في الليل والنهار لا يفترون عن الاستيقار) قال القاري :

هذا وكل الناس قد تشجعوا

بحرب مولهم لقد تدرعوا
وكم لهم في البرج من صيامح
(اللـ اللـ) .. الى الصيامح

ثالث عشر :

لقد كان كل تصاميم ومواجهه يفشل فيها جنود الفرس ، تعزز معنويات الاهالي ، بعدها تقاد كفة الميزان ان تنقلب او يتصرّف الفرس انهم المنتصرون . وان كثرة القتلى والمصابين من الفرس لا يمكن تصورها مقارنة بالخسائر القليلة بين صفوف محاربي الموصل . وقد كانت افخ خسارة هي في انفجار اللغم المعاكس ، والمعركة التي دارت على الاسوار وخارجها ، والتي قتلت فيها من الفرس نحو خمسة آلاف وخمسماة جندي . وفي تلك الليلة ضرب اللغم وهو من ناحية الشيخ قضيب البان غربي الموصل ، فرز الله كيدهم في ذحرهم إذ رأى نار لفهم عليهم ، ولم يقتل من جند الموصل الا نحو سبعين او مائة ونinet . وقد ذكر الرحالة (يحيى الكردي العراقي) في زياراته للموصل بعد سنة من المعركة وانحراف نادرشاه : (وبعد سنة أتيت الموصل أنا ورأيت آثار القتلى في أرضها كالارجل والآيدي والاطراف وغير ذلك) كذلك ، يذكر المهنّدون الذي أشرفوا على حفر أسس كلية طب الموصل الحالية ، انهم وجدوا مجموعة من العظام والجماجم يعتقد أنها من بقايا قتلى جنود الفرس في تلك الجهة من سور الموصل قرب البرج الحبيب باشطابية . وينظر الشيخ القاري في ارجوزته ان رؤوس القتلى كانت كالتلول ، وان نادرشاه خسر ربع جيشه وجرح ربعه الثاني .

رابع عشر :

اما مشاركة المرأة في معركة حصار الموصل ، فقد كانت مشاركة فعلية ، بحماس عظيم ، وان عدم ذكر حوات معيينة ، ربما يعود الى ما كان يحيط ذكر المرأة آذاك من تحفظات تعد خروجاً على التقاليد أو الأدب^(٤٠)

والبيزنطية إلى الموصل عاملًا في اتحادهم وتصعيدهم على القتال مع الجندي، بل أنهم أقاموا احتفالاً وتماهدوا على القتال.

خامساً :

تميزت الموصل بحكم شبه ذاتي وشخصية محلية واضحة المعالم، تقليدياً واجتماعياً وعمرانياً وسياسياً واقتصادياً، فهي شخصية الإنسان العراقي التي تلمسها في بقية الولايات العراقية. ولم يكن التناقض بين ولاة الموصل وبغداد متلاً إلا تعبيراً عن العيل إلى الاحتفاظ بهذه الشخصية المستقلة بدل الانصهار في إدارة مركزية عثمانية. وكانت الموصل من أشهر وأهم (باشويات) العراق منذ عام ١٥٣٤ م، لكن تطور الأمور والاحتداد، جعل ولاية الموصل ممتدة، وارتفاع شأنها ونماها العثماني والتقليدي والأدبي خلال القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي ساد فيها تواتر وتعدد ولاية أفراد الأسرة الجليلية، وكان أحدهما خلال الحصار الرهيب على الموصل من قبل (نادرشاه). وكان استقلال باشوية الموصل وشهرور قد امتد طيلة القرن السابع عشر، كما ان نفوذ الحكم الجليلي في قيادة معركة الدفاع عن الموصل ضد الفتوح الفارسي، وفي كسب الدعم الشعبي للموصل أيام ولاياتهم، يرجع إلى تفهم الروح الموصلىة المحلية للروح العربية، ولكن أهالي الموصل يضمرون التمرد والنفوذ من الحكم العثماني المطلق، ويحيّنون إلى حرفيتهم القومية.

سادساً :

كانت القبائل العربية غير مرتاحة، وتأثيره ضد الحكم العثماني، وكذلك ضد أي تسلط أجنبي، فاجتياح (نادرشاه) لكريلاء والحلة والبصرة وسامراء، وحصاره ببغداد واحتلاله كركوك وأربيل، وبطشة وماره وفتحه، من عوامل بعث الروح الوطنية والجنوح إلى الاستقلال والاتحاد، بل أن ثورة القبائل العربية، تحولت إلى وجهة النضال ضد الاستعمار والنضال القومي التحرري.

سابعاً :

يتضح من استعدادات والي الموصل وتوجهه من حرب قائمة منذ أن حاصر (نادرشاه) بغداد تسعه أشهر سنة ١٧٣٢ ولم يستطيع دخولها، ومنذ أن أرسل قائمه ومساعده (تركخان) سنة ١٧٣٣ مع ثمانية آلاف جندي لاحتلال الموصل، باعتبارها مدينة ضعيفة ! ومن الفشل الذريع والهزيمة التي مرت بها تلك القوة على أيدي مقاتلي الموصل، والتي عذّها (نادرشاه) ضربة قوية ليسمعها وإهانة لشخصه وجشه .. تلك الاستعدادات الدفاعية التي بدأ يذكر بها والي الموصل مدة طويلة من الحملة الثانية، تدل على ابراز الاطماع الفارسية ورسوخ الحقد الفارسي الذي لا يزعم أو يتعظ، وكانت تلك الصابرات بمعزل عن توجيهات الباب العالي، أي أنها نابعة من الاحساس الوطني، والشعور بالخطر الذي يهدى المنطقة . وقد تركت تلك الاستعدادات حول جملة فعاليات هي :

● حفر خندق حول أسوار المدينة، اشتراك فيه الكبير والصغير، والفنى والفقير، والعزيز والمفمور.

● حفر الآبار وتممير بعض أماكن السور المتهدمة حين تحقق قدم الباقي (نادرشاه).

● توزيع الكراسي والقادة والمساعدين وتحديد أماكن العمل وتنسيق الواجبات، وقوية الاستحكامات.

ثامناً :

ان تبادل الأخبار والرسائل والاشعار والقصائد بين أدباء وشعراء الموصل وبغداد وavarضتهم لبعضهم (شاعراً)، وتبني أخبار الحصار، وتسجيلها، يدل على الربط الوجданى القومى بين أجزاء العراق ب الرغم تجزئته الى ولايات وبشاوريات . فارجوزة السيد خليل البصیر^(٤) المؤلفة من (٦٩) بيتاً أرسلها الى السيد عبد الله الفخرى كاتب الديوان في بغداد ، وصف فيها حصار نادرشاه للموصل ، ودفاع الوالي والأهالى ، فاجابه عبد الله الفخرى^(٥) بإرجوزة أطول منها ، عدد أبياتها (٢١٥) بيتاً، وقد أعاد خليل البصیر صياغة ارجوزته العربية ، فكتب قصيدة تركية في ذكر الحصار (وهي مفقودة) . وارجوزة السيد عبد الله السويدي عارض بها ارجوزة السيد خليل البصیر وبلغ عدد أبياتها (١٦٨) بيتاً.

لقد أصبح للشعر صيغة قومية ، إذ تلاحم مع القضايا العامة المستقلة عن المفاهيم العثمانية السائدة ، فترعررت حركة إحياء الأدب العربي القديم ، وأشارت مؤلفات بغدادية بنصرة جيش الموصل ، مثل (بوحة الوزراء) و(حديقة الزوراء) .

تاسعاً :

كانت وحدة المسلمين والمسيحيين في جيش مدافعين عن الموصل من أبرز أحداث القرن وليل وطنية وعروبة القتال ، وساعد على استقلاليتها وشعورها بذاتها وكيانها ، وتمثلتها للعراق بعيداً عن (الباب العالى) . يقول الرحالة (نيبور) أن المسلمين شهدوا للمسيحيين بالشجاعة والصمود والحفاظ على روح النصر . ويبدو أن قسوة (نادرشاه) على سكان (القرى) واعتداءه على الأديرة ، لم يكن مصدر ذعر للمواطنين ، بل حافزاً لهم على المجابهة وال الحرب والمقاومة فلم ينس الهاربون والغازون مافعله . (تركخان) سنة ١٧٣٢ في قري متعددة ، وما فعله (نادرشاه) في أربيل بعد حصارها وامتلاكها ، فقطق اغلب أهلها وسبى نساعها ، وما تركه تبيرة الا وفعلها ، ثم رحل عنها إلى الموصل ، كذلك ما فعله جنود (نادرشاه) في (ديرماراوارها) قرب قرية (باطنانيا) إذ قتلوا القسسين فيه ، ومنذ ذلك الحين أصبح الدير مهجوراً . لذلك فإن الفارزين اللاجئين من أطراف الموصل ، دخلوها حচصن دفاعي ، ووجدوا في حسن استقبال الوالي والأهالى ورعايتهم لهم حافزاً وطنياً للقتال ، وقدمن فعلاً تزويدهم بالسلاح والمؤن وشجعهم الوالي على القتال .

عاشرأً :

ان عدم استطاعة الباب العالى ارسال معاونة ونجدة إلى الموصل ، أبرز الحقيقة التي بدأ يحس بها العرب وهي ان انحار حاكم ايران لم يكن على يد جيوش الامبراطورية العثمانية بل من قبل جيش محلى سانده وشاركه شعب عربي مؤمن بوطنيته وولاته لمدينته وبدياره ، وبوجود

حاكم من أهل المدينة نفسها . فالوطنية والقومية كانتا العامل الحاسم في الصمود والنصر^(٤٨) في ملحمة الموصل الخالدة .

ج . البعد العلمي :

أولاً :

لقد كان (مرض) الامبراطورية العثمانية وأطماء الفرس موضع تشخيص العالم الغربي منذ منتصف القرن الثامن عشر ، ومنذ أن بدأت ثورة أو تمرد (الباشاونا خليل) مما أتعب السلطة العثمانية من الداخل منذ عام ١٧٣٠ ، وان العراق / بصورة خاصة / كان ساحة الصراع بين الفرس والعثمانيين ، لكن الدفاع والصمود والتضحيات ، كانت ملقة على كاهل العراقيين أولاً (والعرب عموماً) ، وان أبعاد الزحف الفارسي نحو الشرق لم يكن مجرد نزوات أو نعرات طائفية ، بل جزءاً من حركة التاريخ في هذا الجزء من العالم .

ثانياً :

عَد المؤرخون والنقاد السياسيون أن حصار الموصل من أهم أحداث القرن الثامن عشر لأن الأبعاد الحقيقة لاحتياج شمالي العراق ، واحتلال الموصل كان لعرض النفوذ إلى قلب الأنضول وقلب الامبراطورية العثمانية ، ثم تغيير خارطة العالم وتوزيع مناطق النفوذ .

ثالثاً :

ان ضخامة حملة (نادرشاه) التي توجه بها إلى العراق ، تدل على نياته التوسعية التي لا تتناسب مع حملة محلية أو محظوظة . فقد قدر جيشه بما لا يقل عن (٣٠٠) ألف جندي ، وهو عدد يقارب من حيث الأهمية جيش نابليون الذي توجه به إلى روسيا ، والذي بلغ تعداده (٢٠٠) ألف جندي . على أن العبرة ليست في العدد حسب ، بل في أطماء الشاه المفروض التي بانت في رسالة الإنذار التي وجهها إلى الباب العالي والتي يخاطبه فيها

المصادر والمراجع

(٥) د . عمار عبد السلام رؤوف : الموصل في المهد العثماني : فترة الحكم العثماني (١١٣٩ - ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٤ - ١٧٦٦ م) النجف / ١٩٧٥ ص ٩٩

١١٥

(٦) د . علاء نورس : السياسة السوقية ص ٢١٨
(٧) محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري : مدخل الأولياء ومشرب الأصنفباء من سادات الموصل الحدباء . (تحقيق ونشر الاستاذ سعيد الديومجي) ج ١ (الموصل / ١٩٦٧) ص ١٤٧

(٨) السيد الرئيس القائد المجاهد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) : من نص حديث سيادته خلال لقائه باهالي محافظة نينوى يوم ٥ / ٨ / ١٩٩١ والمنشور يوم ٦ / ٨ / ١٩٩١ ، في الصحف العراقية .

(١) عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويفي : حديقة الزوار في سيرة الوزراء - الجزء الأول (في سيرة حسن باشا) . تحقيق صفاء خلوصي . مطبعة الرزيم - بغداد / ١٩٦٢ من ٨٤ - ٨٧

ب . د . علاء نورس : العراق في المهد العثماني - بغداد - ١٩٧٩ ص ٦٣ - ٦٧

ج . د . عمار الجواهري : مرجع سابق ص ١١٥

(٢) عبد الرحمن السويفي : مصدر سابق ص ٨٧ وما بعدها .

(٣) د . علاء نورس : مرجع سابق ص ١٤٩ - ١٥١

(٤) السياسة السوقية الإيرانية في العصر الحديث (ضمن كتاب : الصراع العراقي الفارسي) ص ٢١٨

- (٤٠) منهل الأولياء من ٣١٤ ص ٣٠١ .
- (٤١) د. عماد الجواهري : مرجع سابق ص ١٢٠
- (٤٢) سليمان الصائغ : تاريخ الموصى من ٢٨٢ ص ٢٨٢
- (٤٣) د. عماد عبد السلام رفوف : المراجع السابقة من ١٠٦ - ١٠٥
- (٤٤) د. عماد الجواهري : مرجع سابق ص ١٢١
- (٤٥) انظر جوانب من كتاب الموصى أثناء حصار نادرشاه في المصادر الآتية :
١. محمد أمين العمري : منهل الأولياء من ١٥٤ - ١٥٦ .
٢. سليمان الصائغ : تاريخ الموصى من ٢٨٣ - ٢٨٤
٣. رحلة ثبيور إلى بغداد في القرن الثامن عشر (ترجمة سعاد هادي العمري) بـ بغداد / ١١٥٤ ص ١١٦
٤. محمد حسين تدوسي : نادر نامة ، خراسان ١٤٣٩هـ (بالفارسية) .
- (٤٦) منهل الأولياء من ١٥٤ - ١٥٥
- (٤٧) تاريخ الموصى من ٢٨٤
- (٤٨) المصدر نفسه من ٢٨٤ - ٢٨٥
- (٤٩) د. علاء نورس : المراجع نفسه من ٢٢٤
- (٥٠) الدبشي : هو البطاطخ الأخضر المعروف بـ (الرقى) وياسم (الشمرى) في الموصى ، و(البسندى) في تكريت . والدبشي هناكتانية عن القناطر الكبيرة التي كانت لدى العدو .
- أما المجوز ، ومفرده عجوزة ، فيطلق على نوع من البطاطخ الصغير الحجم ، والمجوز هناكتانية عن (القناطر) ، واحدتها (قبرة) أي قذيفة الهاون بالاصطلاحات العسكرية المعاصرة .
- (٥١) الاستاذ سعيد الدبومي : صود الموصى أيام غزو نادرشاه سنة ١١٥٦هـ . مجلة (المورد) - المجلد الخامس عشر - العدد الثالث ١٤٠٦ - ١٤٠٦ م من ١٩٨٦ - ١٤٠٦ م
- (٥٢) تراجع أرجوزة فتح الله القادرى حول حصار الموصى في كتاب : (حصار الموصى) لعبد الجبار محمد جرجيس من ٥٢ - ٧٠
- (٥٣) (الموصى ١٩٨٢) والسيد القادرى كان متولياً على وقت جامعى النبي يوحنا وجرجيس وذو علم غزير ، واطلاع في الشعر واسع ، له قصائد كثيرة يذكر فيها حوادث مهمة وقعت في الموصى .
- (٥٤) عبد الجبار السامرائي : أهل الرماح يتصدون لنادرشاه قبل ٤٥ سنة . جريدة (العراق) من ٣ الخميس ٢٠ جمادى الأولى / ١٤١٤هـ - ٤ تشرين الثاني ١٩٩٣
- (٥٥) سليمان الصائغ : تاريخ الموصى من ٢٨٧
- (٥٦) د. فخرى الدباغ : ملحمة حصار الموصى وأبعادها النفسية والقومية والعالمية .
- مجلة (الآفاق العربية) - عدد نيسان ١٩٨٢ ، من ٨٧ - ٩٠
- (٥٧) تراجع نص تصييد البصائر في دراسة المرحوم عبد الجبار العمرو الموسومة : ملحمة حصار الموصى . مجلة (آفاق عربية) - العدد ٨ نيسان ١٩٨١ من ٣٨ - ٤٠
- (٥٨) (٥٣) في المراجع نفسه من ٤٠ - ٤٥ نص تصييد عبد الله فخرى .
- (٥٩) د. فخرى الدباغ : المراجع نفسه من ٨٥ - ٨٦
- (٦٠) المراجع نفسه من ٨٣ - ٨٤
- (٦١) رسول حاوي كركوكلى : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزرقاء (ترجمة عن التركية موسى كاظم نورس) بيروت / ١٩٦٣ ص ٣٠
- (٦٢) علاء نورس : السياسة السوفيتية من ٢١٩
- (٦٣) يوسف كركوش الحلبي : تاريخ الحلة - الطبعة الأولى - الجزء - ١٩٦٥ - القسم الأول من ١٢٢ .
- (٦٤) د. علاء نورس : السياسة السوفيتية من ٢١٦
- (٦٥) د. عماد الجواهري : مرجع سابق من ١٦٦
- (٦٦) ستيفن همسلي لوكتريك : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (الطبعة الخامسة) ترجمة جعفر خياط بـ بغداد ص ١٧٢ - ١٧١
- (٦٧) رسول الكركوكلى : مرجع سابق من ٢١
- (٦٨) د. عماد الجواهري : المراجع نفسه من ١١٧
- (٦٩) د. علاء نورس : السياسة السوفيتية من ٢٢٠
- (٧٠) المراجع نفسه من ٢٢١ - ٢٢٠
- (٧١) د. ياسين خير الله العمري : زينة الآثار الجبلية في الحوادث الأرضية (تحقيق) د. عماد عبد السلام رفوف) النجف / ١٩٧٤ ص ٩٠ - ٨٩
- (٧٢) د. عماد الجواهري : مرجع سابق من ١١٩
- (٧٣) د. عبد «أحمد باشا» والتي بغداد إلى الحيلة وأرسل إلى «نادرشاه» يخبره بأن يسير لوادى إلى الموصى لاحتلالها ، وفي عودته يجد بغداد مقطوعة لعامه ١١ يراجع : سليمان الصائغ : تاريخ الموصى ج ١ من ٢٧٨ المطبعة السلطانية - القاهرة / ١٩٢٢ ويدرك ياسين العمري في زيارته أن «أحمد باشا أرسل إلى نادرشاه يقول له (ارحل إلى الموصى فإن ملكتها لمن يفتح لك ملوكها) !
- ويراجع المرض المفضل للأراء التي ذكرت في سبب عدم تعرض نادرشاه لأحمد باشا في أثناء عجزه على العراق سنة ١٧٤٣ م في كتاب :
- تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٦٥٠ / ١٦٤٠ - ١٦٦٤
- (٧٤) دراسة في أحواله السياسية (اطروحة ماجستير . كلية الآداب - جامعة بغداد / ١٩٧٦ ص ١٢٨ - ١٢٧)
- (٧٥) د. عماد الجواهري : مرجع سابق من ١١٩ - ١٢٠
- (٧٦) د. علاء نورس : السياسة السوفيتية من ٢٢٣
- (٧٧) يراجع نص الكتاب الذي كتبه الصلايحي على أكبر يامر نادرشاه إلى ملكي الموصى بضم الـ ئى الفخرى سنة ١٧٤٢ م / ١١٥٦هـ في الملحق رقم (٢) من كتاب : العراق في العهد العثماني - لاستاذ الدكتور علاء نورس من ١٣٧ - ٣١٨ . علماً أن صورة الكتاب في مجموع محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بـ بغداد تحت رقم (٤)
- (٧٨) يراجع الملحق (٤) من كتاب (العراق في العهد العثماني) للدكتور علاء نورس وفيه نص الكتاب الذي أرسله السيد يحيى الفتري المخوري - ملكي الموصى - إلى ملا باشي على أكبر ودا على كتابه السابق بتاريخ ١٧٤٢ م / ١١٥٦هـ . علماً أن صورة من هذا الكتاب في مجموع محفوظ، محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب بـ بغداد تحت رقم (٤٤)
- (٧٩) د. علاء نورس : السياسة السوفيتية من ٢٢٢
- (٨٠) المترجم نفسه من ٢٢٢
- (٨١) (٧٨) منهل الأولياء ج ١ ص ١٥٤ .
- (٨٢) د. علاء نورس : المراجع السابق من ٢٢٣

ملامح من الحصار في الارث العراقي والتأثير العربي

إعداد ودراسة

عبد الحميد العلوجي

وصادق هامل

العربي والبقاء الإسلامية

وحبيب الشيطان الحصار لمن في قلوبهم مرض .. فهو يماثل الذي فرضه المجرم بوش باسم الشرعية الدولية تحت سقف الأمم المتحدة على العراق الأشم الذي يضم جناحيه على قائد الشهيد السيد الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله) وعلى شعبه الذي صنع أول حضارة إنسانية وليرجح كرامته ، فقد طبع هذا الحصار الجائر عدواهم الإمبريالي الصهيوني بطابع وحشى يتاجج بروح الانتقام ويستدز العذاب البشري ، وما يماثل هذا الحصار الشيطاني .. تلك الحصار الذي ضربه البربرية حول روما سنة ٤٠ للميلاد الذي انتهى بسقوطها في أيديهم فقد كان لهذا الحادث نوي بعيد في النفوس حتى ان القديس أيرونيموس انقطع عن متابعة عمله . أما الوثنيون من اعضاء الطبقة المسيحية فراحوا يرون هذا الحادث الى عمل انتقامي من جانب الآلهة بعد الذي اصابها من زهد الناس بعبادتها وانصرافهم عنها كما دأوا في هذه الذكرة نتيجة وخيمة لزواج المسيحيه ونواهيهما وغضبت قلوب المسيحيين هواجس مؤرقة من القلق والاضطراب فأخذوا يتسالون بشيء من الحيرة لماذا لم يحسن الله مدينة القدس بطرس ؟ وراح فريق منهم بعد أن وقعا فريسة الوساوس يتقدرون من الاصنام التي رتلوها منذ عهد بعيد ، كما اخذوا يروجون الشوائط بقرب نهاية العالم .

اما الحصار الذي استثنى الإنسان مضررياً حول نفسه وحقوقه فقد اندى صيفاً شتى كالاقامة الجبرية في مدينة ، او في البيت ، والارتفاع في السجون أو القوائم السود التي تدرج فيها اسماء الشركات والأشخاص ؟ وقيود الاستيراد والتصدير ، وجوازات

كان يوئلا لو نستهل النوازل الحصارية بدقة من ضوء قادرة برعاشاتها وهزائتها ان تتسع للقارىء تعرضاً ينتهك المفاهيم التي جاد بها نحو الاختصاص من الاكاديميين وفقهاء اللغة العربية .. ولكننا أخذنا فجأة بما يحير ، فقد وجدنا الحصار يرتدي اكثر من إهاب ، فالحصار .. كما ذاقت الإنسانية في عصور تاريخها - جراء ينطوى بين التواب والعقاب وقد كتبه الله عز وجل على المظلوم بفاعلاً عن حق أو عن وجود ، وزينه الشيطان للظالم المفتر عدواً أو غزواً أو توسعًا ، واستطابه الإنسان لنفسه امناً أو تحفظاً او منقاداً من هموم طوارئ .. وينظر الحصار لغوايا في بعض معاناته الى الوسادة التي تشد على ظهر البعير لتكون مقعداً للراكب .. ثم توسيع بعد سيادة النزعة العدوانية وسيلة حربية ليستقرن الموضع الذي يحصر فيه الإنسان ، وليستقيم وسيلة حربية في مواجهة الدول والمدن والقلاع والحسون والشوارع والبيوت ... وكذلك التجويع والمحظر الاقتصادي وخطوط التموين وأغلاق الانهار والرقابة على الملاحة بزوارق الدوريات والطائرات المروحية وآخرأ اقتحام الحصار علم النفس ليعبر عن حالة انفعالية معقدة تتحقق بالتوjis والخشية والفزع وليس تصر مرادفاً للقلق النفسي والشعور بالضيق والعناء .. ولا بد من التاكيد على ان الحصار الذي يباركه الله عز وجل هو الحصار الذي يضره المظلوم على الظالم في المدن والاماكن المفتسبة كالحصار الذي فرضه الرسول (ص) على بني قريظة واليهود في يثرب او الذي ضربه العرب المسلمين حول المدن والقلاع العربية التي استولى عليها الصليبيون ، والحصار الذي استتصل شافة الاسمااعيلية الحشاشين .. أوصان الكرامة العربية بالاجهاز على الفزاعة المفول بعد استيلائهم على بعض اجزاء الوطن

بعد استسلام الموقع للمهاجمين بسبب انقطاع موارد المياه والمزرونة عنه ، والوسيلة الثانية التي يلجأ إليها المهاجمون للاستيلاء على الموقع هو ضربة بالمدفع ونحوها حتى تنهار مقاومته ويتم الاستيلاء عليه عنوة مع مراعاة شروط دولية خاصة . والحاصار الحربي للمدن والمواصل من اقليم الوسائل التي استخدمت في الحروب وارتبطت هذه العمليات عادة ببعض البطلة الوطنية .

وقال رينهارت دوزي : في (تكميلة المعاجم العربية - ج ٢ - ترجمة د . محمد سليم النعيمي منشورات دار الرشيد بغداد - ١٩٨١ - ص ٢٦) « حصار ، منع ، حجز ، ضغط ، زحم ، ضيق ، حبس ، حند ، قيد ، قصر » حصر البلد : يقال ذلك حين يسد من في داخله كل أبوابه . حاصر لا يأتي بمعنى احاطة به وضيق عليه ومنعه من الخروج من مكانه فقط ، بل تعني ايضاً تام الحصار ، وثبتت في المكان الذي أحاط به .

وتحاصر : حاصر ويتحاصر : يمكن الهجوم عليه وانحصر : انزوى ، ودخل في موضع الدفاع عنه ، واستقر ، ولزم المكان . ويقول يوسف خياط : في (معجم المصطلحات العلمية والفنية - بيروت - لبنان ١٩٧٤ - ص ١٦٦) الحصار السلمي هو ان تقوم دولة بواسطة اسطولها البحري بعزل ثغر او شواطئ دولة اخرى بقصد حمل الدولة المحصورة على إجابة مطالب الدولة المحاصرة وهو لا يبعد من اعمال الحرب ولا يؤدي الى الاستيلاء النهائي على السفن التي تخرق الحصار إذ يتمنى الافراج عنها بعد انتهاءه .

و جاء في الصحاح : (معجم وسيط في اللغة والعلوم منشورات دار الثقائس - بيروت - لبنان / ص ٢٠٦) الخصي : المحبس قال الله تعالى : (وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) وحضرتني الشيء وأحضرتني ، اي حبستني والحاصار الحربي من وصول المؤمن والذخائر الى موانئ العدو عن طريق البحر في وقت الحرب اذا توافرت القوة للدولة التي أعلنت الحصار .

و جاء في الموسوعة العربية الميسرة : اشرف محمد شفيق غريال - نشر دار القلم - ص ٧٢٢ - ٧٢٣ « حصار : احاطة مدينة او حصن بقوات مسلحة للاستيلاء عليه ، قبل استخدام البارود استعملت البراج وقضب الكباش الثقيلة لتدمر اسوار الحصن وابوابه . واستخدم الرومان في حصار قرطاجنة ستة آلاف رجل في بناء سقيفة كبيرة تقيهم من السهام وقذائف الحجارة والزيت المفلي التي يرميها المحاصرون . كانت البراج اهم وسائل الهجوم وكانت تتحرك على عجلات أو ترتكب على مقربة من الحصن . يتألف البراج من عدة طوابق وتستعمل التضبان الثقيلة في احداثها لق جدران الحصن وتدميرها . وكانت توجد في أعلى البرج قلطرة خشبية يمكن خفضها ورفعها عند الوصول الى حافة شرفات الحصن يعبر عليها الجنود حين اقتحامهم الحصن . استعملت ايضاً درقات كبيرة من الاغصان المجدولة المغفرة بالمغطاة بالخشب

السفر والتنور التي تهاصر الذمة والحياة التي يعيشها الانسان في الاسر او في الاديرة ، والذنوب ، والكتب الممنوعة . وقطع العلاقات الدبلوماسية ، وحجز الاموال المنقولة وغير المقوله . وغير ذلك مما يشكل أبلغ صور الحصار الذي ارتضاه الانسان لازمة من لوازمه حياته وحضارته . وقد خشينا في هذا التعامل مع الحصار منه الاستطراد التي قد تقود القاريء الى الملل والتضجر .. وهذا التوقع اగرنا بأن نزور مالدينا من موسوعات وقواميس ومعاجم نرى على ما استقرت على الحصار تعريفاتها .. وبهذا النهج سيصبح القاريء على بصيرة من الحق عندما يجده فوق الحصار وحوله وتطبيقاً لهذا الاجتهاد اصدق ترحيب بما قيل استثناء له عما سيقال .

فالاستاذ الباحث محمد فتحي أمين يقول في كتابه قاموس المصطلحات العسكرية . الطبيعة الثانية (في الحصار) البحري قيام وحدات الاسطول البحري للدولة المحاصرة بالإضافة الى قواها الجوية بمنع الاتصال البحري مع موانئ عوسواحل بلاد الطرف المحاصر بغية شل حركة السفن الحربية الموجدة فيها والحواف دون تموينها بالمواد الغذائية أو المعدات الحربية لا اما الحصار الحربي فإنه يتم باقامة نطاق من القوات المسلحة حول موقع محصن كمدينة او قلعة او معسكر ومنع اتصالاته مع الخارج ، وحمل المحاصرين على الاستسلام بعد انتهاء تحريتهم او المواد الغذائية الباقية لديهم او المياه المخزونة .

وفي الحصار السلمي : تتخذ التدبير احدى الدول ضد دولة اخرى دون اعلان الحرب عليها فتكلّم اسطولها البحري بمنع الاتصال مع مراقيء تلك الدولة بقصد الضغط عليها او حملها على تحقيق بعض الاهداف الاقتصادية او السياسية أو تنفيذ التزاماتها الدولية .

اما الحصار فهو اسلوب تعديل التهاب بتأسيس حاصرة زائدة وناقصة على طول خط الرصد تم تنصيف الحاصرة الى النصف حتى يضرر الهدف او يتم الحصول على المحاصرة المطلوبة . فهو في بعض صوره ايقاف او مسكن او احاطة قوات العدو او اغامه على توجيه عملياته الى جهة معينة ومنع انسحاب اي جزء من قطعاته لاستخدامها في مكان آخر .

ويتمثل الحصار بالرشق : في مجموعة من الاطلاقات بحيث ان عدد الاطلاقات التي تقع زائدة عن الهدف يعامل العدد الذي يسقط ناقصاً عن الهدف .

وقال الدكتور خليل الجر : الحصار هو الموضع الذي يحصر فيه الانسان باحاطة وتنقيص .

ويقول احمد عطيه الله في كتابه (القاموس السياسي - الطبيعة الثالثة ١٩٦٨ - ص ٤٦٦) « الحصار الحربي احدى وسائل الحرب ، والمقصود به ضرب نطاق من القوات المسلحة المهاجمة حول موقع محصن كمدينة أو قلعة تمهدأ للاستيلاء عليه

للدفاع عن الموقع ضد اي هجوم . وكان المحاصرون (قبل اختراع البارود) يعمدون الى اقتحام الاسوار لينفذوا منها الى الموقع أما بوساطة الابراج المتحركة التي يفتحون بوسائلها ثغرات في السور أو سلام الحصار التي يتسلقون بواسطتها اطراف السور . أما الخنادق فكانوا يجتازونها بان يردموا الجوابيب الضعيفة فيها بالاخشاب والتراب كي تجتازها الجيوش الى الموقع المحاصر . ثم تطورت عملية الاقتحام بعد ظهور المدفع ، واصبح تدمير الاسوار بنيران المدفعية امراً ممكناً وهذا ما فقد الاسوار اهميتها وجعل التحصينات الدائمة والميدانية تحل محلها .

والحصار البحري عملية احاطة لشواطئ الطرف الآخر بسفن حربية^٩ ، بغية عزل تلك الشواطئ وما فيها من موانيء ، ومنع السن من ارتياهها ، بقصد حرمان العدو مما يحتاج اليه من نخادر واسلحة ومؤمن ومعدات ومواد استراتيجية .

يكون الحصار البحري اما سلبياً او حربياً والحصار البحري السلمي هو حصار يفرض في حالة السلم دون اعلان الحرب ، وتستطيع اية دولة ان تفرضه لتجبر دولة اخرى على الانصياع لمشيئتها وفي هذه الحالة يطبق الحصار على السفن الخاصة لدولة الحصار فقط ، ومن امثاله الحصار الذي فرضه الرئيس الامريكي جون كندي على كوبا في تشرين الاول عام ١٩٦٢ لارغام الاتحاد السوفيتي على سحب صواريخه الاستراتيجية من الجزيرة وبعد كثير من القوانين الدولية هذا الحصار غير شرعي . أما الحصار البحري العسكري فهو الذي يهدف الى تحقيق غرض عسكري مباشر (معركة ابي قير البحرية ١٧٩٨) ومحاصرة نلسون باسطوله للاسطول الفرنسي قبل تدميره) ولا يتحقق لایة دولة ان تعلن الحصار البحري مالم يكن لديها القوة الكافية لتنفيذها ، مع التقيد بالقانون الدولي الذي وضع وفقاً لاعلان باريس بعد حرب القرم (١٨٥٦) والقوانين الاخرى التي وضعت وفقاً لاعلان لندن (١٩٠٩) وهي تنص على أن الدولة التي ترغب بفرض حصار بحري ان تعلنه رسمياً ، وان تعلم الدولة المحايدة عنه ، وان لا يتتجاوز هذا الحصار الشواطئ والموانئ والتي تخص الطرف الآخر . ومن انواع الحصار البحري اللائحة السوداء وهو حصار استعملته انكلترا والولايات المتحدة الامريكية في الحرب العالمية الثانية ، وذلك عندما ادرجت هاتان الدولتان على لائحة اسماء الشركات والاشخاص الذين يتعاطون التجارة مع دول المحور ، فمنع هؤلاء من شراء البضائع من انكلترا والولايات المتحدة الامريكية . وحصار الورق (نسبة الى الاوراق الثبوتية التي تحدد حوية السفن) وهو حصار تنتهى دولة ليس لديها سلطة تنفيذ الحصار البحري العسكري وقد اعلن نابليون هذا النوع من الحصار ضد انكلترا (١٨٠٦) واعلناته انكلترا بدورها ضد فرنسا عام (١٨٠٧) ، وقد الحصار الالماني للجزر البريطانية في الحرب العالمية الاولى من هذا . كما اشتهر في خلال الحرب

أو الجلد لوقاية النقبين واللثامين من الضرب وكان المحاصرون والمحصرون يقيمون رقوات من التراب الفرض منها الوصول الى اعلاها للتحكم في الطرف الآخر وكشف حركاته للسيطرة عليه . كان اللقم من اهم اسلحة الحصار . وباكتشاف المفرقعات تأثرت جداً معارك الحصار ، مازالت الى اليوم آثار اسوار بعض المدن القديمة وابراجها والمحصون والقلاع .

وجاء في الموسوعة العسكرية (الجزء الاول - الطبعة الاولى ١٩٧٧ - بيروت لبنان بص ٨١٦ - ٨١٨) « بعد الحصار عملية حربية تهدف الى احاطة مدينة او قلعة او موقع محظي او محصن بقوات عسكرية ومحاصرته بحيث يعمد المحاصر الى التركيز امام هذا الموقع او المدينة او القلعة او المدينة به بقصد ارغام المحاصرين على الاستسلام .

ولقد عرف هذا النوع من القتال العسكري منذ أن نشأت الحروب ، ولعبت عمليات الحصار ادواراً هامة في التاريخ العسكري ، كما استعملت فيه انواع شتن من الاسلحه ، اختلفت باختلاف المصور والتقدم التكنولوجي لآلات الحرب ، ومن اهم اسلحة الحصار القديمة الابراج المتحركة والدبابة والکباش ، والمنجنيق ، والمرادات وسلام الحصار ، ثم تطورت اسلحة الحصار باستمرار ضمن المسار العام لتطور اسلحة القتال ، ففي الحرب العالمية الاولى استخدمت راجمات الالقابن والكرات المعدنية ، وقنابل المدفعية ، ومدافع الهاوتزر الخفيفية (٨ إنج) (والهاونات وقد استخدمت القوات الالمانية في هذه الحرب المدافع الرشاشة الطويلة (٦ إنج) كما استعملت القوات البريطانية في العام ١٩١٧ ثلاثة ملايين وخمسماية ألف طلقة في مدة عشرة ايام ، وذلك لقفز الواقع الالمانية في ماسين ريدج ، بالإضافة الى نزع حوالي ٢٠ منطقة بالالقابن مستعملة ملايين الارطال من المتجرفات . أما في الحرب العالمية الثانية فقد ظهر نوع جديد من المدافع هي مدفع عيار (١٧ إنج) وقد استعملتها القوات الالمانية ضد المحصون في فرдан ونول وايبيتال ولبيج وناموسيوز وانتورب واستولت القوات الالمانية بوسائلها على لبيج وتمار وموبيز .

وقد ادى اختراع الطائرات المقاتلة والمدفعية ذاتية الحركة والدبابات والعربات المدرعة والقاذف والصواريخ الى تسهيل مهمة المحاصر ، إذ اصبح باستطاعة هذه الالات الحربية الحديثة ان تدمر المركز المحاصر تدميراً كاملاً ، وذلك بقتصه من مسافات بعيدة .

وكانت المدن تت hazırlan عادة ضد الحصار بأسوار عالية وخنادق عريضة . أما في القرن السابع عشر فيعود الفضل في بناء الاسوار المعروفة بالباسقيان للمهندس الفرنسي فوبان أو بخنادق تحفر حولها وتتملاها ، أو بانشاء المحصون والقلاع المحصنة التي تبني من جهات مختلفة من الموقع المراد حمايته ويحيطها المقاتلون

ال العالمية الثانية إذ إستخدمته دول الحلفاء ضد دول محور لتشديد الرقابة على الشحن البحري (الرقابة على الوثائق والتراخيص) التي كانت تزود بها دولة محايدة سفنها لتدل على أن سفينتهما، هي تابعة لدولة صديقة أو محايدة ولا تحمل أية شحنات محظورة) وللحصار البحري شروط قانونية تستند إلى مبادئ ، وتنلخص بما يأتي :

- ١ - ان يعلن الحصار رسميا بأمر من حكومة محايدة، وعلى الضابط الذي يتولى امر الحصار ان يعلم السلطات المحلية والقنصليات الأجنبية عن الميناء الذي سيحاصر .
- ٢ - ان يكون الحصار قائما عملياً وفعلياً ،
- ٣ - ان يكون الحصار مستمراً وفرضياً على كل السفن على السواء ،
- ٤ - اذا ارتكبت سفينة ما مخالفة لا اامر الحصار وجهت اليها السفن، المحاصرة اذاراً بالامتناع للتفتيش، وفي هذه الحالة يجب ان يدرج الانذار في سجل السفينة المخالفة ،
- ٥ - يجب ان يكون لدى السفينة ما يدل على ان القائمين عليها (اصحابها - او شركة الملاحة التابعة لها) على علم بهذا الحصار.

وينتهي الحصار عندما ترفعه الحكومة التي كانت قد امرت به او يرفعه القائد الذي انيطت به تلك العملية . وقد اشار تقرير صدر عن محكمة العدل الدولية في لاهاي عام (١٩٢٢) الى ما يلي : عندما يقام حصار بحري في منطقة معينة، فإن اية سفينة تمر بالمنطقة المحاصرة وفي المجال العائد للقوات القائمة بالحصار، تكون بما فيها من معدات مشحونة ، عرضة للمصادرة .

ومن اهم الامثلة على الحصار البحري :

- ١ - حصار السفن البريطانية للموانئ الفرنسية والاسبانية من العام ١٨١٣ الى ١٨١٤ .
- ٢ - حصار بريطانيا وفرنسا وروسيا في (١٨٢٦) للشواطئ اليونانية والتي كانت تحتلها الجيوش العثمانية لمنع وصول الإمدادات الى هذه الجيوش واكراها على قبول وساطة الدول المذكورة لانهاء الحرب مع اليونان وقد ادى هذا الحصار الى اشتباك الاسطول العثماني الراسي في ميناء نافارين مع سفن الدول الثلاث التي كانت تقوم بالحصار في معركة حربية ادت الى تدمير هذا الاسطول .
- ٣ - فرنسا ضد البرتغال (١٨٢١)
- ٤ - حصار انكلترا ضد اليونان (١٨٥٠)
- ٥ - حصار الغرب وينفذ سكت، القائد العام للغیراليين ابان الحرب الاهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) للموانئ الجنوبية ، ومنع الجنوبيين من الاتصال بحراً باوروبا واستئثار الألات الحرب والسلع الأساسية منها .
- ٦ - حصار انكلترا والمانيا وايطاليا ضد فنزويلا (١٩٠٢)
- ٧ - حصار الاسطول الياباني لميناء بورت ارثر في الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ - ١٩٠٥) وتمهيد الاسطول الروسي فيه ، وقد مني الاسطول الياباني في هذا الحصار بخسائر جسيمة بسبب الالغام البحرية التي زعها الروس في تلك الميناء ،

٨ - في ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤ ، اعتربت بريطانيا بحر الشمال منطقة عسكرية ، وحظرت سفن الشحن من اجتيازه لما بث ذي من العام كما اعلنت المنطقة الواقعة بين اسكندنافيا والنرويج « منطقة ات حرية » .

٩ - في شباط (فبراير) ١٩١٥ رت ألمانيا على ذلك بان اعلنت القنال البريطاني والمياه المحيطة ببريطانيا وايرلندا « منطقة عمليات حرية » وانذرت بتحطيم كل سفينة تجارية تعبر فيها .

١٠ - حصار الاتحاد السوفيتي لسواحل فنلندا والجزر المجاورة لها في كانون الاول ١٩٣٩ .

وكيماً ما يكون الحصار البحري عنصراً من عناصر الخنق الاستراتيجي وخاصة اذا كانت الدولة الخاضعة للحصار مرتبطة مع العالم الخارجي بطرق بحرية فقط في ١٢ ايلول ١٩٥٥ املاً نفذ الرئيس جمال عبد الناصر حصاراً بحرياً سلبياً ضد الكيان الصهيوني ، عندما وضع قانوناً نظم بموجبه تخول السفن الأجنبية الى خليج العقبة بحيث جعل الدخول اليه مشروطاً بالاعلان المسبق (٦٢) ساعة وبالتصريح بالمرور من قبل السلطات المصرية المكلفة بذلك . وكان هذا الحصار احد اسباب حرب ١٩٥٦ .

في ١٦ ايار (مايو) ١٩٦٧ حاول الرئيس جمال عبد الناصر ان يفرض حصاراً بحرياً عسكرياً على الكيان الصهيوني عندما طلب سحب القوات الدولية من سيناء لتحول محلها قوات عسكرية مصرية تسيطر على شرم الشيخ وخليج العقبة ، وكان ذلك سبباً لاندلاع حرب ١٩٦٧ وفي حرب ١٩٧٣ حاصرت البحرية المصرية الكيان الصهيوني في جهة الجنوب عندما اغلقت مضيق باب المدب امام الملاحة الى الكيان الصهيوني ولم تفتحه الا بعد انتهاء الحرب .

وبعد هذا التمهيد يتاح لنا ان نقطع ابرز الملامح الحصارية على وفق سياق زمني وعرض موجز وفي اطار عراقي عربي يدوران مع الصبر والثبات والنصر والبسالة .. وهما يأهل المؤرخ 'وعاة بعض ما وقعنا عليه .. وهو :

الحصار في التاريخ القديم (قبل الميلاد)

بعد جولة في المصادر التاريخية والحضارية توصلنا الى ان الحصار القديم ، كان عملية حربية تهدف الى الاحاطة بمدينة او قلعة او موقعاً حصيناً ، ومحاصرتها بما يرغب المحاصر على الاستسلام ، فقد شهدت الاعوام التي سبقت ميلاد النبي عيسى (عليه السلام) نمو الامبراطوريات القديمة وانهيارها وخلال هذا النمو والانهيار تار الذراع على السلطات المدنية ، واندلعت الرغبة في تقسيم المقاطعات والمدن المتiformة وانتقال السيادة من موطن الى موطن .. وما رافق هذه الملابسات من تدمير ونبش ودمابح وحصار .

ففي سنة ١٥٨ حاصر أحمس (محرر مصر) حصن شاروهين في فلسطين واستولى عليه بعد حصار دام ثلاث سنوات .

وفي ١٤٧٩ حاصر تجسس مدينة مجبو في فلسطين واستولى عليها ونبشها بعد تجويعها

وفي ١٤٠٠ حوصرت مدينة القدس .

وفي سنة ١٣٩٥ حاصر الملك العبيسي سبليوليا ماما القوات الميتانية في

الرومانية مدينة قرطاجة .

وفي سنة ١٢٤ ق.م . حاصر سكيبو مدينة نومانтиبا واستولى عليها .
وفي سنة ٦٣ ق.م . حاصرت الجيوش الرومانية بقيادة بومبيي مدينة القدس واقتحمت الهيكل في معركة دامية .
ذلك هي أشهر حوادث الحصار التي اختزنتها أعوام ما قبل الميلاد في ذكرة التاريخ .

العراقيون والعرب ضحايا حصار عدواني

تعرض العراق لحصار لم يكن له مثيل في فجر الحضارة قبل ميلاد السيد المسيح وبين القرون التي تلت الميلاد .
انه حصار من نمط عجيب في تاريخ العالم وليس بينه وبين اي حصار افرزته القرون الاربعة بعد الميلاد ما يصلح قاسماً مشتركاً .. وسنعرض فيما يأتي بعض النماذج التي تعرض لها العراق والعرب بين وقائع اربعين سنة ميلادية :

في سنة ٧٠ حاصر العاهل الروماني تيتوس فسياسيان مدينة القدس ، فسقطت بعد حصار طويل ، فنهبها وخرابها ، وقد أقيم قوس تيتوس في روما تذكاراً لذلك .

وفي سنة ١١٥ حاصر الامبراطور الروماني تراجان مدينة الحضر في زمن ملوكها نصرو . وقاومه العثمانيون ببطولة اجبرته على الانسحاب .
وفي سنة ٩٥ حاصر الامبراطور الروماني سبيتموس سيفيروس مدينة المدائن وهدمها .

وفي سنة ٩٨ حاصر سبيتموس سيفيروس مدينة الحضر انتقاماً منها في زمن ملكها عبد سميلا الملقب بملك العرب . ودام حصاره عشرين يوماً دون جلوى ، تم جدد قائدته افديبيوس كاسيوس ذلك الحصار عبئاً .
وفي سنة ٢٤ حاصر الملك الفارسي اريشیر مدينة الحضر ولم يتمكن من احتلالها .

وفي سنة ٢٤٠ حاصر سابور الاول مدينة الحضر وبعد سنة كاملة استولى عليها .

وفي سنة ٢٦٣ حاصر اذينة ملك تمر مدينة المدائن ولم ينجح .
وفي سنة ٢٧٢ حاصر الامبراطور الروماني اوريانيوس مدينة تمر ، واستولى عليها واسر زوجها فسارت مقيدة بسلسل نهبية في موكب الامبراطور في روما .

وفي سنة ٣٣٨ حاصر سابور الاول مدينة نصبيين ثم رفع الحصار عنها .

وفي سنة ٣٤٦ حاصر سابور الاول مدينة نصبيين مرة ثانية وفشل في الاستيلاء عليها .

وفي سنة ٣٥٠ حاصر سابور نصبيين للمرة الثالثة .
وفي سنة ٣٥٩ حاصر الملك الساساني سابور الثاني (ذو الاكتاف) مدينة اربيل (عاصمة امارة حدياب) وقضى على استقلالها وقتل اميرها قرداخ في اثناء دفاعه عنها .

استعمار النزعة العدوانية

ذرى في القرنين الخامس والسادس ان الروح العدوانية لم تلق سلاحاً

مدينة ابزو (حمص في الوقت الحاضر) واستولى عليها .

وفي سنة ٨٢٤ حاصر الاشوريون مدينة اسانيو (احدى مدن آهارات)

وفي سنة ٨٠٠ حاصر الملك الاشوري الدنباري مدينة دمشق واستولى عليها .

وفي سنة ٧٧١ حاصر الاشوريون في عهد شلمانصر الخامس مدينة سمارية واستولى عليها .

وفي سنة ٧١٠ حاصر السوريون مدينة سمارة ،

وفي سنة ٧٠٣ حاصر سنجاريب مدينة (لبنة) قرب الحسوب المصرية .

وفي سنة ٦١٤ حاصر نبوخذنصر مدينة نينوى فسقطت بيده بعد ثلاثة شهور .

وفي سنة ٥٩٧ حاصر البابليون مدينة القدس .

وفي سنة ٥٨٩ حاصر نبوخذنصر مدينة القدس واستولى عليها .

وفي سنة ٥٨٧ حاصر نبوخذنصر مدينة صور واحتلتها بعد حصار دام

أكثر من عامين .

وفي سنة ٥٨٦ حاصر البابليون مدينة القدس فاستولوا عليها بعد ان انهارت مقاومة اليهود انهياراً تاماً واحرقوا هيكلها .

وفي سنة ٤٩٢ ق.م . حاصر الفرس ارتريا وبعد مقاومة عنيدة استولوا عليها .

وفي سنة ٤٥٦ ق.م . حاصر الفرس جزيرة بروسويتش .

وفي سنة ٤٢٢ ق.م . حاصرت جيوش لاكيديمونيا مدينة بوتيديا .

وفي سنة ٤٢٩ ق.م . حاصرت جيوش لاكيديمونيا مدينة بلاطايا .

وفي سنة ٣٩٧ ق.م . حاصر العاهل القرطاجي هيميلوكو مدينة سرقوسة ولم يفلح في احتلالها .

وفي سنة ٣٨٧ ق.م . حاصرت القبائل الكلتية مدينة روما واستولت عليها وقادوا الكابيتول حصارها سبعة شهور ولكن الغزاة انسحبوا بعد اخذ القديمة من المغلوبين .

وفي سنة ٣٢٢ ق.م . حاصر الاسكندر المقدوني مدينة سرقوسة ودام الحصار سبعة شهور ثم استولى عليها .

وفي سنة ٣٠٥ ق.م . حاصر القائد كاساندر مدينة اثينا وعجز عن اقتحامها وحاصر نيميتريوس الاول ملك مقدونيا جزيرة رؤوس اثني عشر شهرأ ، ولكن الحامية البطلية قاومته وhalt دون سقوط الجزيرة .

وفي سنة ٢٩٥ ق.م . حاصر الرومان مدينة سافيوم .

وفي سنة ٢٤٢ ق.م . حاصر الرومان مدينة قرطاجة ودمرواها .

وفي سنة ٢٣٢ ق.م . حاصر الاسكندر المقدوني مدينة قيليقية .

وفي سنة ٢١٩ ق.م . حاصر هانيبال مدينة ساغنثوم وبعد ثمانية شهور اقتحمها في هجوم عنيف .

وفي سنة ٢١٣ ق.م . حاصر هانيبال مدينة سيلينس ومدينة تارنتوم .

وفي سنة ٢٠٣ ق.م . حوصلت قرطاجة وخضعت لشروط الصلح التي املأها سيبيو .

وفي سنة ٢٠٢ ق.م . حاصر مرشلوس مدينة سرقوسة .

وفي سنة ١٤٧ ق.م . حاصر سكيبو ايميليا نوس قائد الجيوش

- جلواء .
- وحاصروا بقيادة سعد بن أبي وقاص مدينة المدائن واستولوا عليها .
 - وحاصروا مدينة القدس ودخلوها .
 - في سنة ٦٤١ حاصر المسلمون بقيادة النعمان بن مقرن مدينة نهاوند ودخلوها .
 - وحاصروا بقيادة عمرو بن العاص حصن بابلون في مصر سبعة أشهر وطهروه من الروم .
 - وحاصروا مدينة بلبيس المصرية شهراً كاملاً ثم سقطت باليديهم .
 - في سنة ٦٤٦ حاصر المسلمون بقيادة عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية للمرة الثانية واستولوا عليها وعفا عمرو بن العاص عن الروم وبنى فيها مسجد الرحمة تذكاراً للحربات .
 - في سنة ٦٥٦ حاصر بعض المعارضين لسياسة الخليفة عثمان بن عفان (رض) منزله وانقضوا عليه وهو يقرأ القرآن الكريم .
 - في سنة ٦٦٧ حاصر الأسطول العربي في خلافة معاوية بن أبي سفيان مدينة القسطنطينية ستة اعوام لكنه رفع الحصار .
 - في سنة ٦٧٤ حاصر المسلمون في أيام معاوية القسطنطينية أربعة اعوام ولم يفلحوا في تحريرها لأن البيزنطيين استعملوا النار الغيرية .
 - في سنة ٦٨٣ حاصر الجيش العربي بقيادة مسلم بن عقبة مدينة مكة المكرمة في خلافة يزيد بن معاوية ، ورفع الحصار عنها بعد مفاوضات فاشلة مع عبد الله بن الزبير .
 - في سنة ٦٨٧ حاصر مصعب بن الزبير قصر الامامة في الكوفة أربعة أيام انتهت بمصرع المختار الثقفي .
 - في سنة ٦٩١ حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي في خلافة عبد الملك بن مروان مدينة مكة المكرمة ستة أشهر ورماها بالمنجنيق من جبل أبي قبيس ثم اقتحمتها وقتل عبد الله بن الزبير ، وارسل رأسه إلى دمشق .
 - في سنة ٧٠٩ حاصر قتيبة بن مسلم في خلافة الوليد بن عبد الملك مدينة بخارى واستول علىها .
 - في سنة ٧١١ حاصر العرب حصن طوانة البيزنطي (وهو من الحصون المنيعة في اطراف تارونيا) .
 - في سنة ٧١٢ حاصر قتيبة بن مسلم مدينة سمرقند واستول عليها .
 - في سنة ٧١٥ حاصر سليمان بن عبد الملك مدينة عمورية ثلاثة شهور بدون طائل .
 - في سنة ٧١٦ حاصر مسلمة بن عبد الملك في خلافة أخيه سليمان بن عبد الملك مدينة القسطنطينية برأ وبحراً بحيث أربك وضع القائد البيزنطي ليو الثالث ، وقد ضاق أهلها من الحصار ،
- ولم ترفع راية بيضاء ، فالقداد يجتازون الرابن وينتقلون إلى إفريقيا الشمالية . وروما تسقط في أيدي الإريك ، اليابان تفتح كوريا الجنوبية ، والدن الصينية تنهب ، والهنون يغدون على خانقا والأمبراطورية الرومانية تموت والبربرية يعيثون فساداً في أفغانستان والهند وغيرها من الحوادث المرعية . فلا عجب إذا امتحن القرآن الخامس والساس بويارات الحصار وكوارثه :
- ففي سنة ٥١٤ حاصر الفرس مدينة القدس فخربوها وحملوا معهم الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح (ع) .
- وفي سنة ٥٢٦ حاصرت قبائل الهون ومهم البلافار مدينة القسطنطينية ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها .
- وفي سنة ٥٧٠ حاصر أبرهة الحبشي مكة وفشل .
- نعم لقد حوصل العراق ولكن القائد صدام حسين (حفظه الله) استطاع بآياته وشجاعته وتباته أن ينقذ عيني .
- الحاصر ويسعد أزد المحصور وحوصل أطفال العراق بما يسرق حليهم وحوصلت نساء العراق بما يجههن من الأمل والرجاء .
- ### أخطاء من الحصار خدشت الذاكرة الإنسانية
- إكان لمجرمي الحصار في أخطاء الحصار التي ازدحم بها القرنان السابع والتامن درس بلجيغ وعبرة أقوى من ان تنساهما أية ذاكرة .
- ان قوى الشر في مجتمعات الأرض لم تتخلى عن المنافسة السياسية والاقتصادية والتنافز على العالم .
- في سنة ٦١٤ حاصر الساسانيون مدينة القدس واستولوا عليها .
 - في سنة ٦١٩ حاصرت قريشبني هاشم في شعب أبي طالب .
 - في سنة ٦٢٧ حاصرت قريش بقيادة أبي سفيان مدينة يثرب وبعد عشرين يوماً من الحصار شعر مقاتلو الأحزاب بوطأة الحصار عليهم ودبب الملل إلى نفوسهم فانسحبوا إلى مكة .
 - وحاصر المسلمون بني قريظة اليهود في يثرب فاستسلموا بعد أسبوعين .
 - في سنة ٦٣٠ حاصر المسلمون بني ثيف في الطائف فاستسلموا وبذلك تفتت القاومة الوثنية .
 - وفي سنة ٦٣٣ حاصر المسلمون بقيادة عياض بن غنم مدينة يومة الجندي اثر حرب الربه .
 - في سنة ٦٣٤ حاصر المسلمون بقيادة أبي عبيدة بن الجراح لمشق سبعين يوماً وقد ضربوا حول اسوارها نطاقاً من الجندي تمهدأ لدخولها بكل وسيلة صلحاً أو عنوة ، وأخيراً سقطت باليديهم .
 - في سنة ٦٣٥ حاصر المسلمون بقيادة أبي عبيدة مدينة فحل في سوريا .
 - في سنة ٦٣٧ حاصر المسلمون بقيادة هاشم بن عتبة مدينة

- بعد حصار دام سبعة اعوام .
- في سنة ٨٧١ حاصر الزنج مدينة البصرة وخربوها وفتوكوا باهلها .
 - في سنة ٨٨٠ حاصر العباس بن احمد بن طولون مدينة طرابلس ودام حصاره ٤٢ يوماً واخنق في الاستيلاء عليها .
 - في سنة ٨٨١ حاصر الامير العباسي الموفق بمساعدة ابنه ابي العباس مدينة المختار (عاصمة الزنج في البصرة) (حصار أقصانها وسياسياً ونفسياً لثلاث سنوات .
 - في سنة ٩٤ حاصر الخليفة المعتمد مدينة ماردين واستولى عليها .
 - في سنة ٩٩ حاصر المهدى العبيدي مدينة فاس وارغم يحيى بن ابريس (زعيم الادارسة) على طلب الصلح .
 - في سنة ٩٣٩ حاصر الخليفة عبد الرحمن الناصر مدينة زامورا واخنق في الاستيلاء عليها .
 - في سنة ٩٦٢ حاصر البيزنطيون مدينة حلب بقيادة نافون نوكس ، وبخلوها ونهبوا وغادروها .
 - في سنة ٩٧٥ حاصر سعد الدولة الحمداني مدينة حلب واستولى عليها .
 - في سنة ٩٧٦ حاصر القائد الفاطمي جوهر الصقلي مدينة دمشق وفشل في احتلالها .
 - في سنة ٩٨٠ حاصر الملك بانكين بن زيري الصنهاجي مدينة سبعة لطرد الاميين منها ولكنه فشل .
 - في سنة ٩٩٦ حاصر الامير اطور البيزنطي بأسيل الثاني مدينة طرابلس .
 - في سنة (١٠١٢) حاصر الاسپانيون مدينة قرطبة .
 - في سنة (١٠١٥) حاصر المسلمين مدينة سالرنو الايطالية .
 - في سنة (١٠٢٠) حاصر المعتمد بن عباد مدينة باجة واستولى عليها .
 - في سنة (١٠٥٤) حاصر المعتمد بن عباد الجزيرة الخضراء برأ ويحرأ واجبرها على الاستسلام .
 - في سنة (١٠٥٧) حاصر مؤس بن يحيى الرياحي مدينة القيون واستولى عليها .
 - في سنة (١٠٦٣) حاصر المعتمد بن عباد امارة ثملب واستولى عليها .
 - في سنة (١٠٦٦) حاصر المعتمد بن عباد مدينة ملقا وفشل في الاستيلاء عليها .
 - في سنة (١٠٧٠) حاصر القائد السلاجوقى تzin اوq الخوارزمي مدينة دمشق وفشل .
 - في سنة (١٠٧٦) حاصر السلاجقة مدينة القدس .
 - في سنة (١٠٨٠) حاصر الايطاليون مدينة المهدية في الساحل الافريقي واستولوا عليها .
 - في سنة (١٠٨٦) حاصر القومنسو السادس (ملك فشتالة) مدينة سرقسطة وفشل .
 - في سنة (١٠٩٠) حاصر المعتمد بن عباد حصن اليبط في الاندلس واستولى عليه .
 - في سنة (١٠٩٦) حاصر السلاجقة مدينة دمشق وفشلوا .

- وعرضوا على العرب دفع الجزية ، ومع ذلك لم تسقط المدينة .
- في سنة ٧٢٠ حاصر المسلمين مدينة تولوز الفرنسية ولكن التوقي اويدو حال دون استسلامها .
 - في سنة ٧٥٤ حاصرت قوات الحليفين عامر بن عمرو القرشي والمحباب بن رواحة مدينة سرقسطة وانزلت الهزيمة بقوات العميل بن حاتم ، ودام الحصار سبعة شهور ولم يسفر عن احتلالها .
 - في سنة ٧٦٧ حاصر عيسى بن موسى قائد الخليفة ابي جعفر المنصور المدينة المنورة ، واقتحمها ليقتل محمدأ ذا النفس الرذكية .
 - في سنة ٧٧٨ حاصر شارلمان مدينة سرقسطة وفشل في احتلالها بفضل مقاومة حسين ابن يحيى الانصاري .
 - في سنة ٧٨٠ حاصر جيش الخليفة ابي جعفر المنصور قلعة سنم فيما وراء النهر وكان المقنع يعتزم فيها فما كان منه الا ان اضرم النار فيها فالتهمته والتهمت زوجاته واتباعه .

عندما يستدخل الحصار

ويكفي هنا ان نشير الى الاحداث والوقائع التي انحدرت اليها من القرن التاسع والقرن العاشر والقرن الحادى عشر حيث كانت حافلة بالكثير من الاحداث الجسام حيث فتحت تلك القرون صدرها للتوسيع والفتح والاستيلاء ومارافق ذلك من ملابسات ومن امثلة تلك الاحداث استيلاء الفاطميين على الشمال الافريقي وثورة الزنج واعلان خلافة قرطبة وتفاقم الحروب في اوروبا وتسلط البيهقيين على الخلافة العباسية واندلاع الحروب الكبرى بين البيزنطيين والحمدانيين وتتجزئ الامبراطوريات وسيادة المفدوه السلاجوقى على بغداد والدعوة الى الحملة الصليبية الاولى واستيلاء الصليبيين على القدس وتمزيق الحكم الاسلامي العربي في اسبانيا وهذه اهم احداث ووقائع هذه القرون :

- في سنة ٨٠٩ حاصر رودريك بن شارلمان مدينة طرطوشة واخنق في احتلالها بعد ان تصدى له عبد الرحمن بن الحكم .
- في سنة ٨١٤ حاصرت قوات الخليفة المأمون بقيادة خازم بن خزيمة التميمي مدينة بغداد وانتصرت على جيش الخليفة الامين .
- في سنة ٨٢٢ حاصر زياده بن سهلالمعروف بابن الصقليبة مدينة باجة ، ولكن زياده الله ابن الاغلب كسر حصاره واخذ ثورته .
- في سنة ٨٢٧ حاصر زياده الله الاغلب بقيادة اسد بن الفرات مدينة سرقسطة الصقلية برأ ويحرأ واحرق مراكبها .
- في سنة ٨٢٨ حاصر عبد الرحمن بن الحكم مدينة مردة الاندلسية ، وقضى على ثورة محمود بن عبد الجبار .
- في سنة ٨٣٤ حاصر الثائر منصور بن نصیر مدينة القيون وفشل في الاستيلاء عليها .
- في سنة ٨٣٦ ٨٣٦ حاصر الاشكن (قائد جيش الخليفة المتصم) مدينة البذ التي احتضن بها بابك الحرمي ، واستولى عليها بعد ان دارت فيها حرب شوارع ثم خربها وقبض على بابك وارسله الى سامراء .
- في سنة ٨٥٥ حاصر محمد بن فالع مدينة تاهرت ، واستولى عليها

- في سنة ١١٤٦ حاصر الصليبيون مدينة دمشق واضطروا الى رفع الحصار عنها .
- وحاصر عماد الدين زنكي قلعة جعبر . كما حاصر روجر المظلي مدينة طرابلس الغرب واستولى عليها .
- وفي سنة ١١٥٥ حاصر عثمان بن عبد الرحمن المودي مدينة المرية واحتلها .
- وفي سنة ١١٥٧ حاصر السلاجقة مدينة بداد في خلافة المقتلي امر الله ودارت فيها معركة كانت نهاية المطاف للنفوذ السلوجي في العراق .
- وفي سنة ١١٦٤ حاصر الافونج مدينة القاهرة .
- وفي سنة ١١٦٩ حاصر امطريك (ملك بانا وعسلة الصليبي) مدينة نبياط ففشل ورفع الحصار .
- وفي ١١٨٧ حاصر صلاح الدين الايوبي مدينة القدس اسبوعاً كاملاً واستولى عليها .
- وحاصر مدينة صور ورفع الحصار عنها .
- وفي سنة ١١٨٩ حاصر الصليبيون مدينة عكا في عهد حاكمها السلوجوقي ياغي سيان واستولوا عليها .
- وفي سنة ١١٩١ حاصر الجيشان الانكليزي والفرنسي بقيادة ريتشارد قلب الاسد عكا واستول علىها بعد حصار دام سنتين ، وقتل حوالي ثلاثة آلاف أسير من سكانها .
- وفي سنة ١١٩٦ حاصر الخليفة المودي يعقوب بن يوسف مدينة طليطلة ودام الحصار اكثر من عشرة ايام ولم يفلح في الاستيلاء عليها .

ويلات الحصار في القرن الثالث عشر

- أما اهم مواري الحصار التي حدثت في القرن الثالث عشر الميلادي فهي التي عنيت ابناءه باليوليات والمجاعات والامراض ، وخررت مدنهم ومساكنهم بالرجم والقذائف وحرمتهم من نعمة الامان .
- في سنة ١٢١٧ حاصر الصليبيون قلعة الطور في الشام .
- في سنة ١٢١٨ حاصر الصليبيون بقيادة جان بروين مدينة نبياط المصرية واستولوا عليها بعد حصار دام ٨٠ شهرأ .
- في سنة ١٢٢٦ حاصر المدول قلعة اربيل ولم يتمكنوا من احتلالها وحاصر فريديناند الثالث (حاكم قشتالة) مدينة قوبطة واستول علىها .
- في سنة ١٢٢٨ حاصر فريديناند الثالث مدينة اشبيلية واستول عليها .
- في سنة ١٢٣٩ حاصر ابن الاحمر النصري قلعة موتشر واستول علىها .
- في سنة ١٢٤٤ حاصر فريديناند الثالث مدينة غرناطة واحتلها .
- في سنة ١٢٤٩ حاصر الصليبيون بقيادة لويس التاسع مدينة نبياط واستولوا عليها .
- في سنة ١٢٥٠ حاصر بدورين بقيادة اميرهم ابي بكر بن عبد الحق مدينة فاس واستولوا عليها .
- في سنة ١٢٥٥ حاصر يوسف امير بني مرین مدينة تلمسان ولم

- في سنة (١٠٩٧) حاصر الصليبيون مدينة القدس .
- وحاصروا عاصمة السلاجقة واقتحمواها وحاصروا مدينة انطاكية وحاصروا مدينة عكا واستولوا عليها .
- في سنة (١٠٩٩) حاصر الصليبيون بقيادة ريمون الرابع مدينة القدس التي كان يحكمها افتخار الدولة الفاطمي واحتلواها وقاموا فيها الملكة اللاتينية وقاموا بمنحة مروعة .

الحصار يجرح القرن الثاني عشر

- للحصار ، ائمطاً مختلفاً وكل تمط اهداف بعضها مع الحق ، وبعضها مع الباطل .. ويستطيع الوقوف على جلية مقاصده في الانماط التي برزت خلال القرن الثاني عشر .. هذا القرن الذي كان شاهداً على ظهور مدرسة باريس الاستنسابية واستمرار الرغبة في تأسيس الادبية ودخول زراعة الشاي الى اليابان وتصميم صلاح الدين الايوبي على القاء الخلافة الفاطمية وغيرها من الحوادث والمؤشرات التي زخرفيها هذا القرن ومنها :
- في سنة ١١٠١ حاصر الصليبيون بلدة قيسارية .
- في سنة ١١٠٢ حاصر الصليبيون بقيادة ريمون الرابع مدينة طرابلس التي كانت تحت سيطرة القاضي فخر الملك ، فتقليدوا على يديه عمار ولكنهم نشلوا في احتلال المدينة لمقاومتها البطولية .
- في سنة ١١٠٢ حاصر الفاطميون حصن الرملة بقيادة شرف المعالي فاحتلوا وطهرواها من الصليبيين .
- وحاصر الاسطول الفاطمي مدينة يافا لكنه فشل في استوائها من الصليبيين .
- وحاصر الصليبيون مدينة طرابلس ودخلوها .
- وفي سنة ١١٠٤ حاصر الصليبيون مدينة حلب وعجزوا عن بطيولها .
- وفي سنة ١١٠٥ حاصر الاسطول الفاطمي مدينة يافا وفشل .
- وفي سنة ١١٠٦ حاصر محمد السلوجوقي قلعة شاهوز وانتصرا من الاسماعيلية .
- وفي سنة ١١٠٩ حاصر الصليبيون مدينة طرابلس ودام الحصار عدة سنوات .
- وفي سنة ١١٠٩ حاصر تنكارد الانطاكي حصن الاكراد على حدود طرابلس الشام واستول عليه .
- وفي سنة ١١٠٩ حاصر محمد السلوجوقي قلعة أموت مركز القيادة الاسماعيلية وفشل .
- وفي سنة ١١١٠ حاصر الصليبيون والبنادقة مدينة صيدا .
- وفي سنة ١١١٨ حاصر الحشاشون في قلعة أموت ورفع الحصار .
- وفي سنة ١١٢٤ حاصر الصليبيون والبنادقة مدينة صور .
- وفي سنة ١١٢٦ حاصر السلطان مسعود مدينة بقداد .
- وفي سنة ١١٣٧ حاصر عماد الدين زنكي مدينة حمص ولكن رفع الحصار .
- وفي سنة ١١٤٢ حاصر عماد الدين زنكي مدينة الرها واستول علىها بعد ان قاومه القائد الصليبي جوسليني الكورناري .
- وفي سنة ١١٤٣ حاصر سنجر السلوجوقي مدينة خوارزم وانتهى

- وفي سنة ١٢٢١ حاصر ابو عبد الله محمد (ملك غرناطة) جبل طارق برأ وبحراً واستولى عليه بالرغم من امدادات ملك قشتالة الغونسو الحادي عشر .
- وفي سنة ١٢٤٥ حاصر الغونسو الحادي عشر (ملك قشتالة) جبل طارق ولكن تفشي الوباء في جبهة حال دون سقوطه .
- وفي سنة ١٣٩٣ حاصر تيمور لنك بغداد واستولى عليها بعد مقاومة باسلة . وحاصر مدينة تكريت فقاومت اربعين يوماً ثم استولى عليها .
- وفي سنة ١٣٩٨ حاصر تيمور لنك مدينة بغداد بقيادة ابنه ميران شاه اربعين يوماً وقد قاسى سكانها من الجوع وارتفاع الاسعار ثم رفع عنها الحصار .
- وفي سنة ١٤٠١ حاصر تيمور لنك مدينة بغداد من جميع جوانبها اربعين يوماً واستباحها وقتل من اهلها مائة الف واقام من جمامهم عدة مآذن ، واستحالت المدينة الى مدافن .
- وفي سنة ١٤٤٥ حاصر جهان شاه القره قويتشي مدينة بغداد ووضع السيف في اعنق اهلها .
- وفي سنة ١٤٥٣ حاصر السلطان محمد الفاتح مدينة القسطنطينية خمسين يوماً واستسلمت في الدفاع بقيادة الامبراطور قسطنطين الحادي عشر الذي بقيت جثته بين اكتاف القتلى دون ان يقدر لها على اثر وبنمل ذلك ظل الشرق الاذني مقللاً بوجه الاوربيين اكثر من قرن .
- وفي سنة ١٤٦٤ حاصر جهان شاه القره قويتشي مدينة بغداد ثم رفع حصاره عنها .
- وفي سنة ١٤٨٧ حاصر فريديناند (ملك قشتالة) وزوجته ايزabella مدينة ملقة واستوليا عليها .
- وفي سنة ١٤٩١ حاصر فريديناند وايزabella غرناطة في عهد الامير ابدي الله وبنمل انتهت آخر مملكة عربية اسلامية في الاندلس .
- وفي سنة ١٤٩٥ حوصلت مدينة نابلس في الضفة الغربية من نهر الاردن .
- ولا شك ان حصيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر من الحصار لا تختلف عن الحصائل السابقة التي تكتب الانسانية في ديارها المختلفة فما بينهما في استحقاق اللعنة ثبات ملحوظ .

هزائم الحصار في القرن السادس عشر

لم يتخل القرن السادس عشر عن مقاصد الحصار القديمة فهو كالقرون السالفة كان اداة للتوسيع والمنافسة والانتقام ، ففي هذا القرن تفاقمت الحروب الدينية واعلن الملوك القوميون في اوروبا مذاهب كانت في الواقع اوسع من حروب العصر الاقطاعي . وفيه انفرد البرتغاليون بوجودهم في الخليج العربي وقد افضت هذه الحوادث الى انماط اخرى من الحصار :

- ففي سنة ١٥٣٥ حوصلت مدينة تونس وكذلك حدثت عدة حصارات لمدن اوربية وعالمية .

ستراتيجية الذئاب تدمر اوربا في القرن السادس عشر
حصار القرن السابع عشر يتبين ان يشار الى انه كان الشاهد الاصدق

- يطلع في الاستيلاء عليها .
- في سنة ١٢٥٦ حاصر المغول بقيادة هولاكو قلعة الموت واستأصلوا شامة الحشاشين .
- في سنة ١٢٥٨ حاصر هولاكو مدينة بغداد وكان جيشه يتالف من اربعة القسم اطبقت على بغداد من جانبها واقام المغول ، عبر بجلة ، بأعلى المدينة واسفلها جسرين قائمين على السفن إمعاناً في تضييق الحصار فاستسلمت ، واطلق هولاكو اصحابه لهب بغداد فاستباحوها سبعة أيام ، وقدر عدد القتل مليون و ٨٠٠ ألف كما حاصر المغول بقيادة ارقيو نويان قلعة اربيل وفشلوا في احتلالها .
- في سنة ١٢٦٠ حاصر المغول قلعة دمشق ونهبوها .
- في سنة ١٢٦١ حاصر المغول مدينة الموصل وقاومتهم بالرغم من الماجاعة التي تهربت اهلها على اكل الميتة ولحوم الكلاب ، واحسأوا استباحوها .
- وحاصروا ايضاً جزيرة ابن عمر واستولوا عليها .
- في سنة ١٢٦٣ حاصر الظاهر بيبرس مدينة عكا وانقضها من الاحتلال الصليبي بعد خمسة ايام من الحصار .
- في سنة ١٢٦٨ حاصر الظاهر بيبرس مدينة انطاكيه واستولى عليها .
- وحاصر ايضاً حصن الاكراخ واستولى عليه .
- في سنة ١٢٦٩ حاصر الظاهر بيبرس مدينة يافا واستولى عليها .
- في سنة ١٢٧٠ حوصلت مدينة تونس .
- في سنة ١٢٧٥ حاصر الاسپانيون مدينة الشبيلية واتسروا عنها .
- في سنة ١٢٩١ حاصر السلطان خليل بن قلاون مدينة عكا ونصب حولها ٩٢ مجنضاً ودام الحصار ٤ يوماً وفاض الملك هنري (قائد جامحة عكا) ولكن السلطان وذهب الملاويات ، فسلطت وكان سقوطها في النهاية العملية للحروب الصليبية .

طفهان الحصار في القرنين الرابع عشر والخامس عشر

يبدو لنا ان الحديث الذي استوعب اصنافاً مختارة من الحصار الذي فرضه البداء المستبدين على الشعوب غزواً أو تأديباً أو اذلاً أو انتقاماً أو استعماراً قد يستثير باهتمام الذين يستهمنون التاريخ مايفتن نفاثتهم العامة .

- وقد شجعنا هذا الاحتمال على القيام بجولة قصيرة حول عدد من التوازل القاسية التي عانتها البشرية حصاراً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ووفق السياق الزمني لها :
- ففي سنة ١٣٠٦ حاصر الاستبارية (وهم فرسان القديس يوحنا) جزيرة روس وطربوا منها السلاجقة .
 - وفي سنة ١٣١٠ حاصرت جبيوش فريديناند الرابع جبل طارق واستولت عليه .
 - وفي سنة ١٣١٩ حاصر ملك قشتالة مدينة غرناطة واحتفق في الاستيلاء عليها

- في سنة ١٧٧٩ حوصل جبل طارق ثلاث سنوات وسبعة شهور خمسة عشر يومياً ولم يسقط.
- في سنة ١٧٨٢ حاصر الإسبان جبل طارق.
- في سنة ١٧٨٣ حوصلت مدينة مدراس.
- في سنة ١٧٩٧ حاصر المتمانيون قلعة الاحسأ.
- في سنة ١٧٩٩ حاصر نابليون مدينة عكا سبعين يوماً ثم رفع الحصار عنها.

الحصار يبارك السيطرة على مصادر الشعب في القرن التاسع عشر

من خصائص القرن التاسع عشر انه كان محكماً بالتصدع السياسي والمصحوب بهزات اجتماعية واقتصادية وكان ساسة هذا العصر يهددون الدنيا بجيروت رأس المال . ويسيطرُون على مصادر الشعب بتهاويل التجارة والصناعة .
ففي هذا القرن اندلعت حروب عدّة وحصلت منْ وأنْيَقَ أهلها الجوع والمرض .
● في سنة ١٨٠١ حاصرت القوة البحرية الامريكية مدينة طرابلس الغرب حصاراً غير فعال .
كما حاصر الوهابيون مدينة كربلاء ونهبوا وفتحوا بأهلها .
● في سنة ١٨٠٣ حاصر الوهابيون مدينة مكة المكرمة واستولوا عليها .

- في سنة ١٨٠٦ حوصلت مدينة نابلس .
- في سنة ١٨١٢ حاصرت قوات طوسون بن محمد علي باشا المدينة المنورة خمسة وأربعين يوماً واستولى عليها .
- في سنة ١٨١٦ حاصرت القوات الفرنسية مدينة الجزائر .
- في سنة ١٨١٨ حاصر ابراهيم بن محمد علي باشا مدينة الدرعية عاصمة الوهابيين وبكتها .
- في سنة ١٨٢٧ حاصرت القوات الفرنسية الجزائر حصاراً بحرياً ثلاثة شهور انتقاماً للاهانة التي وجهها الرأي الى القنصل الفرنسي بوظال وذلك بضرره بمنشأة نباب ومن هنا بداية الاستعمار الفرنسي .
- في سنة ١٨٣٠ حاصر علي رضا (والى حلب العثماني) بقداد في زمن داود باشا تسعمين يوماً واستولى عليها بالدخول من الباب الشرقي واعدم جميع المالك ورحل داود باشا بصحبة اسرته الى استانبول .
- في سنة ١٨٣١ حاصر ابراهيم باشا مدينة عكا ستة شهور واستولى عليها وطرد المتمانيين منها .
- في سنة ١٨٣٧ حاصرت قوات عبد القادر الجزائري مدينة تلمسان وأخافت .
- وحاصرت القوات الفرنسية مدينة قسطنطينية في الجزائر واستولت عليها .
- في سنة ١٨٨٣ حاصر محمد المهدي (مؤسس الحركة المهدية في السودان) مدينة العبيد ومدينة بارا واستولى عليهما .
- في سنة ١٨٨٤ حاصرت قوات المهدى مدينة الخرطوم ففتحتها

على تميم اوريا الوسطى في حروب الثلاثين سنة وعلى ان حروبه اتسمت باستراتيجية الكتاب وفي ظلال هذا الواقع عرفنا ضرباً اخرى من الحصار :

- ففي سنة ١٦٢٤ حاصر الفرس مدينة بغداد واستولوا عليها .
- وفي سنة ١٦٢٥ حاصر الصوفيون مدينة قندهار وانتزعوها من المغول .
- في سنة ١٦٢٦ حاصر الفرس مدينة البصرة فقاومتهم وأنشأوا حصارهم .

● في سنة ١٦٢٠ حاصر الشاه عباس الصفوي مدينة الحلة ب نحو اربعين الف جندي ثلاثة شهور ، وقد نهبها وقتل عدداً كبيراً من اهلها .
● وفي سنة ١٦٢١ حاصر السلطان مزاد الرابع مدينة بغداد اربعين يومياً لاستعادتها من الفرس وقد «سيطر على ثلاثين الف مقاتل فارسي ولم ينجو منهم سوى ٣٠٠ جريح وصلوا الى جيش الشاه أشبه بالاموات وما عدا هؤلاء ابتدوا» .

- في سنة ١٦٨٢ حاصرت القوات الفرنسية مدينة الجزائر وضريوها بالقنايل .

● في سنة ١٦٩٣ حاصر مولاي اسماعيل مدينة سبتة ودام الحصار ٢٧ سنة وانتهى بتراجعه امام القوات الانكليزية بقيادة المركيز دي ليف .

- في سنة ١٦٩٦ حاصر العرب قلعة مومباسا في ساحل افريقيا الشرقي .

اوريا تفتح العالم بالحصار

الحصار الامريكي الذي عز نظيره في الموروث العسكري منذ فجر الحضارة ، ما يزال في اذاء وعدوانه ولم اجد له مثيلاً بين حصارات القرن التامن عشر . لقد واصلت اوريما في هذا القرن فتح العالم واحتلاله وكانت بولها المتقدمة تتتابع العالم وتتحارب في المحيطات والقارات كافة :

- في سنة ١٧٠٤ حوصل جبل طارق .
- في سنة ١٧٠٦ حوصلت مدينة قرطاجة .
- في سنة ١٧٠٩ حوصلت مدينة نابلس .
- في سنة ١٧٢٢ حاصر نادر شاه مدينة كركوك اربعة ايام وقصفها ببابل من القنابل .
- وحاصر ايضاً مدينة بغداد سبعة شهور ولكنه اخفق في احتلالها بفضل المقاومة التي ابداها طوبال عثمان باشا . وقد جمع هذا الباشا من الفنانين ما يكفي لتحسين وتسلیح مدينة جديدة .
- وحاصر نادر شاه ايضاً مدينة البصرة بتسعمين الف مقاتل واضرم النار في جانبها ولكن لم يفلح في الاستيلاء عليها .
- في سنة ١٧٤٢ حاصر الشاه طهماسب مدينة الموصل .
- في سنة ١٧٤٣ حاصر نادر شاه مدينة الموصل اكثر من اربعين يوماً وقاومه اهلها مقاومة بطولية اجبرته على الانسحاب .
- كما حاصر مدينة البصرة اكثر من ثلاثة شهور واجتفق في الاستيلاء عليها .
- في سنة ١٧٧٥ حاصر محمد ابو الذهب مدينة عكا واستولى عليها .

- الصهيونية في الجليل الأعلى .
- وفي سنة ١٩٤٨ حاصرت المصايبات الصهيونية مدينة الفالوجة لتنعم القوات المصرية .
 - كما حاصرت المصايبات الصهيونية (الارغون و زفاي ليومي و شترين والباناخ) قرية نير ياسين وأبانت جميع سكانها ولم ينج من وحشيتها حتى النساء والأطفال والشيوخ .
 - وفي سنة ١٩٦٧ حاول الرئيس جمال عبد الناصر أن يفرض حصاراً بحرياً وعسكرياً على الكيان الصهيوني عندما طلب سحب القوات الدولية من سيناء لتحول محلها قوات مصرية تسيطر على شرم الشيخ وخليج العقبة وكانت تلك المحاولة سبباً لاندلاع حرب ١٩٦٧ م كما حاصر المليكيون اليمنيون مدينة صنعاء سبعين يوماً ثم فك الحصار .
 - وفي سنة ١٩٧٢ حاصرت البحرية المصرية الكيان الصهيوني من جهة الجنوب عندما أغلقت مضيق باب المندب أمام الملاحة الصهيونية .
 - وفي سنة ١٩٨٢ حاصر النظام السوري بقواته المسلحة مدينة حماة وقصفها بالقذائف .
 - وفي سنة ١٩٩٠ حاصرت الاساطيل الاوية مدينة بيروت لتجبره ميشيل عون على التخلي عن السلطة .
 - وفي سنة ١٩٩٠ حاصرت أمريكا والمعارضون معها شعب العراق الشامي بقرار سايسمى بمجلس الامن الرقم ٦٦ الصادر في (٦ آب) . ويحق لنا أن نتسائل : أين الضمير الدولي ؟ وماذا أعد للحصار الفشوم الجائر الذي مايزال مضرورياً حول الشعب العراقي بالرغم من انتقاده الى المسوغ القانوني والأسائد الأخلاقية ؟ فذعن بين عام ١٩٩٥ و ١٩٩٠ قد بلونا الحصار موقعاً سياسياً حقوقاً تشبت به الدول المتسلطة على مجلس الامن الدولي والامم المتحدة لاوشيجة له بالشرعية الدولية الحقة وإنما بشرعية اختبرها دعاه كذابون يتسلقون بالديمقراطية ويلهجون بحماية حقوق الإنسان فوي لهؤلاء من نكال يوم عظيم وألف ويل عندما يصنع القرن العشرون على وجودهم مياسم العار .
 - وفي الختام نقول ان القرارات النازية التي افترعها مجلس الامن مايزال ناشطة في حرمان الشعب العراقي من مقومات حياته ولكن شجاعة قائدنا المنصور بالله صدام حسين (حفظه الله ورعاه) وايمان الشعب العراقي بقدسية حقوقه ، وهلاهل وصمود الماجدة العراقية في اوقات الشدة بكل ذلك سيقود الحصار الى اقتر مذلة . فلقد كسرنا بعلامنا الذي لم يتعبه الدفاع عن مستقبل العراق في مواجهة المخطط الاستعماري الهايف الى تجزئة العراق .. وكسرناه ايضاً بالاغنية التي اطلقناها صرخة مقاتلة .. ويسيرنا الجميل على ما اصابنا ، وبالاعتراف التي احتضنها بغداد ، وبالمشاركة في الندوات المقودة خارج قطربنا .. كما كسرناه بحملات الادانة والاستنكار التي تصاعدت في ارجاء العالم ، والاصوات الداعية الى وقفه تاريخية مع العراق ، والى مساندته في الغاء القرارات الجائرة التي صاغها مايسمنى بمجلس الامن . واخيراً كسرناه باعادة البناء والاعمار ، وان نصر الله بالعبور الى ... الضفة الاخرى لقرب وقرب جداً ومنه التوفيق .

بعد قتال مريم خاصه الجنرال عوزيون وقتل خالله وادي المهدى الصلاة في جامعها الكبير وكان مقتل عوزيون عاملاً مهمّاً في سقوط وزارة غلام ستون عام ١٨٨٥ م .

الحصار في القرن العشرين يرتدي الشرعية الكاذبة

ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين اقلم الbagian بشوش وكلنتون على ان يضريرا باسم الامم المتحدة حول العراق الاشم حصاراً شاملـاً، يصعب نعنه بغير المهرلة المأساوية .. انها حاصرت العراق عربياً ودولياً، وأغرياً الشرعية الكاذبة باقتراف أشنع الجرائم بين تخريب وتجمیع وتقطيل .

لقد أرادوه حصاراً اقتصادياً واعلامياً وثقافياً . حصاراً يفتت الارادة العراقية الصلبة ، ويفتال معنويات المؤمنين الصابرين .. حصاراً ينافي الحياة ويمادي الطموح الحضاري . وكفى به احتقاراً ان يكون السبب الم悲哀 في وفيات الكثير من المواطنين العراقيين بضمthem اعداد كبيرة من الأطفال نتيجة الحرمان من النواة والتجهيزات الطبية ، وشحة المواد الغذائية . وهذا مالم نجده في أيها حصار على امتداد التاريخ .

● ففي سنة ١٩١٣ حاصر اسكندر وهو أحد أحياه استانبول .

● في سنة ١٩١٦ حاصر الجيش العثماني بقيادة فون درغو لترز مدينة الكوت وضيق الخناق فيها على القوات البريطانية فاضطررت الى الاستسلام مع قائلها طارزند .

كما حاصر الامير عبد الله بن الحسين مدينة الطائف ثلاثة شهور واثني عشر يوماً واستسلمت وتخلىت من السيطرة التركية .

● وفي سنة ١٩١٩ حاصر رمضان شلاش القوات البريطانية في نير الزور واستولى عليه .

● وفي سنة ١٩٢٠ حاصرت كتاب الثورة السورية مزعجه السيجري واستولت عليها .

● وفي سنة ١٩٢٠ حاصر العراقيون في ثورة العشرين المجيدة عدداً من الحاميات البريطانية ومقرات الحكم السياسي الانكليزي واستولوا عليها وقتلوا بعض هؤلاء الحكماء ، كما حاصر رجال الشیع صالح العلي حامية التنسوس الفرنسية واستسلمت لهم .

● وفي سنة ١٩٢١ حاصر الامير محمد بن عبد الكريم الخطابي مدينة اجرين وطرد منها الحامية الإسبانية وقد تقدم قائد القوات الإسبانية سلفستر لفك الحصار ولكنه وجد المدينة ساقطة .

● وفي سنة ١٩٢٦ حاصرت القوات الفرنسية والاسبانية حصن ترجست الذي كان محمد بن عبد الكريم الخطابي يعتزم فيه فاستولت عليه ولكن الامير الخطابي افلت منهم .

● وفي سنة ١٩٢٠ حاصر القائد الایطالي غرازياني التوار الليبيين الذين يقودهم عمر المختار في الجبل الاخضر وتكل بهم .

● وفي سنة ١٩٤٢ حاصر الجيش الالماني بقيادة رومل مدينة طبرق .

● وفي سنة ١٩٤٤ حاصر المجاهدون العرب مستمرة راحات نفتالي

دور الموصل والجزيرة الثقافية في

مواجهة التحدي المغولي

٦٦٠ - ٧٣٦ هـ / ١٣٦٢ م

بقلم : علي شاكر علي وعلاء محمود خليل قداوي

جامعة الموصل

توطئة :

الاولى في امور المنطقة^(١) فانهزم الملك الصالح اسماعيل هزيمة المغول في معركة عين جالوت ١٢٦٠ هـ / ٥٦٨ م^(٢) فأعلن ثورته ، بعد ان حصل على دعم المصريين . وقد استبس السكان في الدفاع عن المدينة مسخرين كل امكاناتهم الذاتية ، لذا استمرت الاشتباكات بين الطرفين شهراً كاملاً . وقد خدم الحظ المغول ، عندما هبت عواصف رملية حالت دون وصول القوات العربية من الشام لمساعدة الموصليين . استمر حصار المدينة ستة كاملة^(٣) . اضطر السكان بعدها الى الاستسلام للغزاة فوضع المغول « السيف بال المسلمين تسعة ايام وقتلوا أغلب اهلها^(٤) وكان ضمن القتل الملك الصالح اسماعيل وابنه ، ولم ينج من القتل الا من اخطاته المذبحة او وجد سبيلاً للهروب الى الجبال .

بعداحتلال الموصل ، توجهت القوات المغولية نحو جزيرة ابن عمر التي قاومت الغزاة طيلة فصل الشتاء ، برغم الحصار القاسي الذي فرضه المغول ولم تفتح المدينة ابوابها الا بعد ان توسط مطران الجزيرة بين السكان والقوات المغولية ، فدخل قائد الحملة المغولية سنداغو المدينة التي لم تتعرض للاستباحة وفقاً للعرف المغولي في ترك السكان و شأنهم عند الاستسلام ، ثم دانت للمغول بقيمة مدن الجزيرة صلحًا^(٥) .

ان المقاومة الباسلة التي ابداها الموصليون سكان الجزيرة في ثورة ٦٦٠ هـ ومعها محاولات التحرير التي قام بها المماليك لطرد الغزاة من العراق^(٦) دفعت المغول الى تشديد قبضتهم على الموصل والجزيرة واعتبارها من المناطق الخطيرة عليهم . غير ان ذلك لم يزد السكان الا اصراراً في رفض التواجد الاجنبي ، وقد عبر هذا الرفض عن نفسه في صورة تقديم الدعم للمساعي المملوكية لطرد المغول من العراق وفي ادارة التواصل الثقافي من خلال بث الروح في المؤسسات الثقافية والتعليمية مرة اخرى ، بعد ان تعرضت للخراب والتدمير عند استباحة ائمتة (الموصل) والجزيرة من قبل المغول مثلما ذكرنا سابقاً ، وكان الاصرار في استمرار التدريس بمدارس المنطقة ووضع التصانيف والتاليفات باللغة العربية دون رغبة

تعرض الوطن العربي الى اشكال شتى من التآمر والتحدي الاجنبي ، طيلة العصور التاريخية وكان الهدف من التحدي والتآمر ، الحيلولة دون قيام وحدة الامة العربية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبعد الفزو المغولي لجناحه الشرقي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري من اشد اشكال التحدي وأخطره ، فالغزو لم يستهدف المؤسسات السياسية في المشرق العربي ، بقدر ما استهدف الوجود الحضاري والهوية الدينية للأمة العربية والغزاة المغول في الاصل هم من الاقوام الرعوية البدائية ، التي انطلقت من مواطنها في اواسط آسيا لتنشر الذعر والخراب في ارجاء المعمورة بعدما نجح زعيمهم تيموجن بن يوسكاي المقب بجنكيز خان (١١٥٤ - ١٢٢٧ م)^(٧) . في توحيد صفوفهم وتنظيم احوالهم السياسية والعسكرية بسنة قانوناً مركزاً لهم .

قدات لجنكيز خان - اواسط آسيا وشرق اوريا وغرب ايران واجراء من الصين ، وبعد وفاته ، استمر خلفه في سياسة التوسيع والاندماج نحو الغرب ويقدر تعلق الامر بالعراق . فقد بدأ خطفهم يلوح في الافق منذ سنة ٦١٦ هـ / ١٢٩ م عندما شنوا هجوماً على حدود العراق الشرقية . وقد ميزت المصادر سنوات معينة ، كسنوات غارة مفهولة على شرق وشمال العراق : وهي ٦١٨ هـ ٦٢٨ هـ ٦٢١ هـ ٦٢٢ هـ ٦٤٢ هـ^(٨) ولم يكن رد فعل الخلافة العباسية بالمستوى المطلوب بل إن العلاقات السياسية بين الخلافة والكيانات العباسية القائمة في بلاد الشام والموصل واربيل كانت متذبذبة .

وعند تولي الملك الصالح اسماعيل تحكم ٦٥٧ - ٦٦٠ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٦٢ ، والذي قدر له ان يقود ثورة ضد المغول ، تعدد من اقوى الثورات التي واجهت المغول بعد احتلالهم للعراق . فقد ادرك الملك الصالح اسماعيل بعد وصوله الى السلطة ، ان المغول ، لا يكتفون بمجرد الولاء بل يخططون لازاحتة من الامارة ، عندما عينوا في الموصل شخصاً له كلمة

تشير الى رفض السكان ومعهم العلماء والمشايخ بطبيعة الحال الاحتلال المغولي الذي لم يقف على ارض سهلة^(١٤) وقد اتخذ هذا الرفض اشكال شتى ، فمن العلماء من آثر الهجرة الى بلاد الشام ومصر ، ومنهم من بقي في البلاد ، ليواصل نشاطه العلمي ، دون ان يابه بالسلطة الاجنبية وتهديداتها ، فكانوا بحق انموذجا رائعا في تقديم صورة ايجابية لتجربة معرفية تاريخية ، رغم الكتب والتشويه والجمود الذي حاول الغزاة فرضه على الواقع التقافي في الموصل والجزيرة .

علماء الموصل والجزيرة في فترة الاحتلال المغولي

على اثرغم من الواقع السياسي المزير الذي خيم على الموصل والجزيرة في فترة التسلط المغولي فقد برع في الموصل والجزيرة عدد كبير من العلماء والمشايخ وفي مختلف الاختصاصات الفقهية واللغوية والفلكلورية والطبية وغيرها ، انكروا على الدراسة وعقد الحلقات الدراسية في المساجد والمدارس حتى تربعوا على عرش السلطة المعرفية ، وحفروا خندقا عميقا امام السلطة السياسية الاجنبية للحيلولة دون نيلها من هويتهم القومية والدينية وهكذا فأنهم بعلمهم هذا تحدوا الغزاة تقافيا واجتماعيا وشكلوا سياجا امنيا حال دون اختراق الغزاة لجدار المعرفة التراكمية للموصل والجزيرة .

وإذا تتبعنا نتاجات علماء الموصل والجزيرة في هذه الحقبة التاريخية نجدها قد امتازت بالمميزات الآتية :

-
١- القتواع في التصنيف والتاليف في مختلف العلوم الفقهية واللغوية والأدبية والطبية وغيرها .

٢- الحرص على استخدام اللغة العربية الفصحى ، اذ قلما نجد كلمة دخلية في تصانيفهم وتاليهم الا التي اقتضى سياق التطور الاجتماعي والاقتصادي تسللها الى اللغة وهذا الحرص اثنا يعبر في جانب منه عن الرفض الواقع السياسي التقليدي واعتذار بالشخصية القومية من خلال المحافظة على مقوم مهم من مقوماتها ، يقول المرحوم عباس العزاوي بهذا الصدد « ان العلماء لم يتراكوا اللغة ، وانما انكروا على مؤلفاتها ، وحفظوا اصولها وشارع شيوعا كثيرا وكثر المتعلمون في مختلف عناصر الثقافة . ولكن اللغة تمتاز بجدة لا عهد لها بها ، وهي التدوينات عن لغة المغول وعلومهم وأدابهم وتاريخهم فتعينت فيها حالات لا ينكر وجودها ولا يهمل امرها ، وعلى كل حال نرى الاتر ظاهرا في تجدد اللغة ... ان الرغبة العلمية والحرص على تكامل هذه اللغة وتمكيلها ساق الفيارى من ابناها الى ان يسعوا سعيهم الحثيث في اتقانها من وجوهها المختلفة واجدوا ثقافة راقية كانت تقرب مما كانت عليه ايام نهوض الدولة العباسية »^(١٥) .

اما في مجال الشعر برع عدد كبير من الشعراء في الموصل

و حاجات الحاكمين الاجانب ، يشكل تحديا حقيقيا للمغول . ولعل من المناسب ان نشير هنا اتنا لانعني في هذا البحث الثقافة بمفهومها الواسع ، اي جملة السمات واللامع الخاصة التي تميز مجتمعنا او زمرة اجتماعية معينة ، سواء كانت روحية او مادية او فكرية او عاطفية »^(١٦) بل نهدف التركيز على البعد الفكري للثقافة وللالات القومية ، لما لهذا البعد من دور ملحوظ في مواجهة التحديات ، والمحافظة على الشخصية العربية في اطارها التاريخي . اضافة الى انه ينصح عن المكنون الحقيقي للسكان - وهي يتعاملون مع واقع سياسي قاتم ، طارئ على البلاد لا يتزدد الماسكون بزمامه في استعمال ابشع الاساليب الاجرامية في خنق اي صوت معادي لهم .

الثقافة العربية الاسلامية والاحتلال المغولي للموصل والجزيرة :

لقد شكلت العمليات العسكرية التي قام بها المغول عند احتلالهم للموصل والجزيرة ، تحديا خطيرا للثقافة العربية الاسلامية ، فقد تعرضت المؤسسات التعليمية والثقافية الى التدمير الكلي او الجزئي كما نجم عن المقاومة التي ابداها السكان تجاه الغزاة . استشهاد عدد من العلماء ، الذين جادوا بالنفس تلقاء عن هويتهم الوطنية والقومية والدينية فالشاعر المقاتل ، محبي الدين يوسف بن يوسف بن سلامة ابن ابراهيم الموصلي المعروف بابن زيلاق من جملة الذين استشهدوا عند استباحة المغول لمدينة الموصل سنة ٦٦٠ هـ /^(١٧) كما ان عمليات التخريب والهدم التي كانت الصفة المرافقية لهجمات المغول على العراق قبل احتلاله منذ سنة ١٦٨ هـ - حتى ٦٥٦ هـ خاصة وان هذه الهجمات ركزت كما هو معروف على المنطقة الشمالية^(١٨) التي ضمت مراكز ثقافية مهمة مثل مدينة سنمار وجزيرة ابن عمر وغيرها . ان هذه الهجمات ادت الى فقدان عدد كبير من المخطوطات ، سواء من جراء الممارسات العشوائية لجندي المغول ، او من طريق السطو عليها فيما بعد^(١٩) كما لا ينسى في هذا المجال ، ما فعله بعض من وضع نفسه في خدمة المحتلين ، من تخريب مقصود للمرافق الثقافية ، يضاف الى ذلك ان الدولة الإيلخانية المغولية لم تكون متعاطفة مع الثقافة العربية الاسلامية فقد كانت الفارسية هي اللغة الرسمية المعتمد عليها في مؤسساتها ، وما يقال في هذا المجال من أن اعتناق المغول للإسلام^(٢٠) قد اثر في سلوكهم - اتنا نعتقد أن هذا الاعتناق لم يؤد الى تغيير في سلوكهم ، فقد ظلت التعاليم الوعوية البوذية ، والتي هذبت بعد تشرع قانون الياسا هي التي تتحكم في قيمهم وتوجه سلوكهم كما ان الاعتبارات السياسية والمذهبية - هي التي دفعت بعض سلاطينهم الى اعتناق الاسلام ، الامر الذي جعلهم بعيدين عن فهم عمق الحياة الاجتماعية والثقافية في الموصل والجزيرة، في الواقع ان المصادر المتيسرة لدينا

٢ - العلماء المهاجرون :

هاجرت اعداد كبيرة من المفكرين والعلماء الى مصر والشام وغيرها تعبيراً عن رفضهم للسياسة التعسفية للحكام الایلخانيين الغربياء الطارئين على البلاد ، والابتعاد عن جو الاضطهاد الذي خيم على العباد ، وان متابعة كتب الترجم التي اهتمت بشخصيات ورجالات هذه الحقيقة والتي تلتها تظهر اصولاً عراقية لکثير من هؤلاء العلماء والمشايخ الذين أسهموا في دفع الحركة الفكرية العلمية في تلك البلاد الى الامام ، ومن متابعتنا لكتب الترجم والمساير المتاحة استطعنا الوقوف على اسماء لکثير من هؤلاء العلماء والمشايخ ونثاجتهم الفكرية .

ولعل من المناسب ان نشير هنا ان نسبة كبيرة من المهاجرين كانت من الفقهاء ثم يليهم المحدثين والشعراء وان الهجرة حدثت في السنوات العشرين التالية لاحتلال المغول لمدينة الموصل والجزيرة ولإيصال الماء الى عناة كبير في تفسير ذلك فالفقهاء المحدثين والشعراء من اكثر الناس تأثراً بوطاة الاحتلال المغولي للمحدثين والجزيرة بوصفهم النخبة المتنكرة في المجتمع يضاف الى ذلك ان المعتقد الوثني للمحتلين الغزاة ، دفع بعضهم الى ترك البلاد والتوجه الى الدولة المملوكية التي أقيمت الخلافة العباسية في القاهرة ،

٣ - العلماء الوافدون الى الموصل :

رغم الجهد الكبيرة التي بذلها المحتلون الایلخانيون الغزاة لابراز حواضنهم السياسية كالسلطانية وتبريز ومراغة وجعلها مراكز علمية تستقطب العلماء والفنانين سواء من طريق الترحيل القسري للعلماء او تقديم اغراءات مادية ونقل الكتب من المدن العراقية الى هذه الحواضن فان المراكز العلمية في العراق ظلت لها سمعتها العلمية تربو عليها عيون العلماء والشيوخ من كل حدب وصوب بل ان بعض من العلماء كان يفتخر انه تلقى علومه في الموصل ويميز نفسه بـأضافته الموصلي الى لقبه الاصلي فقد استقبلت مدينة الموصل اعداد كبيرة من العلماء ومتابعة كتب الترجم لرجالات القرن السابع الهجري توکد هذه الحقيقة التاريخية .

الهوامش

٤ - للاستزادة عن معركة جالوت انظر دراسة : عماد عبد السلام رؤوف . معركة عين جالوت دار الحرية للطباعة . بغداد . ١٩٨٦ .

٥ - نوري عبد الحميد خليل : التحدي المفوي و موقف الامة العربية منه - مجلة دراسات الأجيال العدد / الثالث . السنة السادسة ١٩٨٦ ص ٦٤-٦٥

٦ - ياسين بن خير الله العمري . زيادة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية . انتخب زيدته . داؤد الجلبي . تحقيق . عماد عبد السلام

والجزيرة ، واللاحظة الجديدة بالانتباه هنا ان موضوعات الشعر في هذه الحقبة قد تحددت ، فقد اقتصرت على الغزل والتصوف ووصف الطبيعة ، فوجد البعض من الشعراء في شعر التصوف املاً وعزاءً وبليساً لجرائم العميق ، ولم تكن الحببية في قصائد بعض الشعراء الا مدينة الموصل او احدى مدن الجزيرة المكتوية بنار الاحتلال ، ولم يكن امام الشعراء الا التطرق الى هذه الموضوعات بعد ان احكم الغزاة قبضتهم على الوضع السياسي في البلاد ومن يتبع كتب الترجم يجد اسماء عدد كبير من الشعراء .

واذا ما انتقلنا الى العلوم العقلية والعلوم الدينية الذين يربوا في هذا المجال فنلاحظ ان عددهم قليل قياساً الى علماء الفقه واللغة والادب فالاشارات القليلة مثلاً عن علم الهيئة « الفلك والنجوم » هو العلم الذي اهتم به العلماء المسلمين اهتماماً كبيراً لما له من صلة بتأدية الفرائض ومعرفة اوقات الصلاة ، وضيبي بدائية شهر الصوم « رمضان » - لا تثير فضول (الباحث في متابعة من اختص بهذا العلم ، ويعتقد ان من كان يهتم بهذا العلم اخذ قسراً الى مرصد مراغة او الى حواضر المغول الاخرى^(١) اذ من المعروف ، ان علم الفلك قال اهتماماً استثنائياً من لدن المغول لاعتقادهم باهمية هذا العلم في معرفة طالعهم او ما يخبره لهم الغد من مشاكل وويلات .

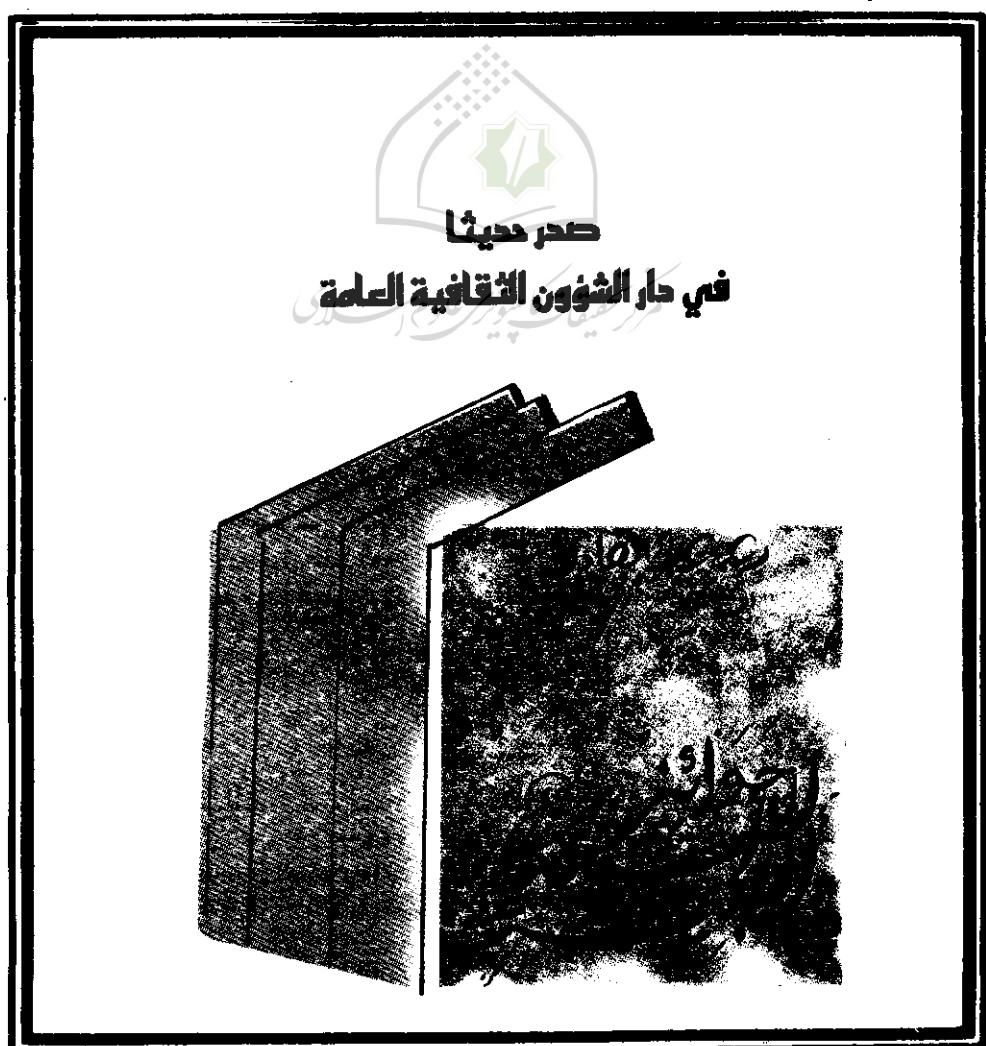
اما في مجال الطب ، فاننا نجد اسماء عدد من امتهنوا هذه المهنة وادعوا معرفتهم بها وقد قال الطب عنابة المغول ، لحماية انفسهم من الامراض التي انتشرت في البلاد بفعل عمليات حصار المدن ، والقتل الجماعي الذي ارتکبوه بحق اهل المدن عند احتلالها ، وانتشار البرك الاسنة والمستنقعات التي كانت تغطي مساحة واسعة في كل مدينة ، وهي مرتع خصب لكثير من الامراض وقد برع اطباء الموصلي والجزيرية في معالجة كثير من الامراض ، اعتقاداً على المستحضرات المستخرجة من النباتات والاعشاب اما في مجال الفلسفة فليست لدينا معلومات اكيدة عن وجود الفلسفة في الموصلي والجزيرية ، ويعتقد ان سوق الفلسفة لم يكن رائجاً في دائرة الاجهزة القمعية ومن اهتم بهذه العلم ، رفض ان يكون بوقاً لدعائية الغزاة المحتلين .

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : عبد القادر احمد اليوسف . علاقات بين الشرق والغرب (بيروت) ١٩٣٦) . ص ٢٤١-٢٤٣

(٢) محمد صالح داؤد القرزا : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية مطبعة القضاء . (النجف الاشرف ١٩٧٠) ص ٧٢-٧٧

(٣) سعيد الديووجي : تاريخ الموصل . المجمع العلمي العراقي / بغداد ١٩٨٢ ص ٣٢١

- العاني التحدى المغولي . ضمن كتاب . العراق في مواجهة التحديات (بغداد ١٩٨٨) : ج ٢ ص ٢٦٤ .
- ١٢ - سالم المولى : العراق في السياسة المملوکية ص ١٩
- ١٣ - عن اعتناؤ بعض السلاطين من المغول الاسلام انظر... للزال الحياة السياسية في العراق ص ٢٨٦ - ٢٩٤ .
- ١٤ - يجد الباحث في ثنايا الروايات التاريخية اشارات تتطوّي على دلالات مهمة فالفارات المملوکية التي كانت تصل احياناً الى عمق المدن في الموصل والجزيرة ما كانت تتم لولا وجود تنسيق مسبق بين الممالیک والسكان خاصة وان هذه الفارات كانت تستهدف الحامية المغولية والعناصر المتعاونة معها ، انظر ، سالم المولى العراق في السياسة المملوکية ص ٧٦ - ٧٧ .
- ١٥ - تاريخ الادب العربي في العراق . مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد ١٩٦١) ج ١ ص ٢٠
- ١٦ - الكتبی : فوات الوفیات والذیل علیها ، تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة بيروت ج ٣ ص ٢٥١
- رزوک . مطبعة الاداب النجف الاشرف ١٩٧٤) ص ٥٠ .
- ٧ - لمزيد من التفاصيل انظر : علاء محمود خليل . المغول في الموصل والجزيرة (٦٥٦ - ٦٧٣٦ - ١٢٥٨ - ٢١٣٣٥ - ١٩٨٥) . اطروحة ماجستير غير منشورة . كلية الاداب . جامعة الموصل ص ٩٣ - ٩٧ .
- ٨ - عن هذه المحاولات انظر : سالم يوسف محمد المولى . العراق في السياسة المملوکية (٦٥٦ - ٧٨٤) . اطروحة ماجستير غير منشورة . كلية الاداب جامعة الموصل ص ١٩٨٩ - ٩٧ - ١١٨ .
- ٩ - عبد الله عبد الدايم . في سبيل ثقافة ذاتية (بيروت ١٩٨٣) .
- ١٠ - انظر ترجمته في : يونس : ذيل مرآة الزمان : ج ٢ ص ١٨١ .
- ومحمد شاکر الكتبی عيون التواریخ . تحقيق . فیصل السامر ونبيلة هبیه المتنم . (بغداد ١٩٨٠) ج ٢ ص ٢٨٩
- ١١ - يهدو من سیر الحوادث التاريخية . ان تحدي التتر (المغول) في تلك الفترة انصب على مناطق ومدن شمال العراق ... متخدًا شكل هجمات عسكرية خطيرة اولى تلتها هجمات باتجاه العاصمة بغداد .
- للتفاصيل عن هذا الموضوع : انظر : حسن فاضل زعین وعبد الرحمن



تكريرت في العهد العثماني

١٩١٨ - ١٧٣٣

بين الحصار والمقاومة

علي شاكر علي

جامعة الموصل

١- اوضاع تكريت قبل السيطرة العثمانية

وقد وقعت المقاومة ، بعد ان قطع تيمورلنك جميع الطرق المؤصلة اليها ، واذاء تحدى السكان للحصار امر تيمورلنك باستخدام العرادات^(٨) في قصف بيوت القلعة بهدف التخل من عزيمة المدافعين ، فاستمر النصف ثلاثة ايام فدمر بعض البيوت تدميراً كاملاً واذاء استمرار الحصار والقصف الشديد قرر حاكم المدينة حسن يولتمور الاستسلام ، غير ان السكان استمروا في الدفاع عن مدینتهم ، فسلحوا انفسهم بدروع خشبية كبيرة لصد التوغل التيموري داخل القلعة ، حيث وقعت معركة رهيبة بين الطرفين ، الحق السكان خلالها بالغزة خسائر فادحة واخيراً تمكّن الغزاة من انهاء المقاومة في ٢٥ محرم ١٢٩٦هـ / ٢١ تشرين الثاني ١٣٩٣ م^(٩) واستباحة المدينة لمدة معلومة . على اية حال فإن الحكم التيموري لم يستمر طويلاً ، فقد تمكّن السلطان احمد الجلائري من طرد التيموريين من العراق سنة ١٤٠٤هـ / ٨٠٨ م^(١٠) غير ان الحكم الجلائري سنة ١٢٨٣هـ / ٧٨٥ م^(١١) عندما اتصل حاكمها حسن يولتمور بالسلطان الملاوكى «الظاهر برقوق طالباً الدخول تحت حكمه والخطبة باسمه فاجيب سؤاله وكتب له بذلك تقليداً»^(١٢) والملحوظة المثيرة للتأمل اشارة المصادر الى ازدهار الحياة الاقتصادية في تكريت واطرافها مثل حربى ودجيل^(١٣) هذه المناطق التي امتازت بوفرة انتاجها الزراعي وجودة صناعة الزجاج في المدينة^(١٤) وكذلك دفع التجار الضرائب والرسوم لحاكم المدينة^(١٥) غير ان هذا الاستقرار لم يستمر طويلاً فقد تعرضت المدينة سنة ١٢٩٦هـ / ١٣٩٣ م الى غزو مدمر على يد تيمورلنك حاكم ما وراء النهر في فترة غزوه للاراضي العراقية غير ان المدينة قررت الصمود وتحدى الحصار المفروض عليها رغم مرارته

على امتداد قرون عديدة للغزو المغولي للعراق ١٢٥٦هـ / ١٢٥٨ ، كانت تكريت شأنها شأن المدن العراقية الاخرى ، تعاني الغوض والاضطهاد بسبب تسلط القوى الاجنبية عليها ، هذه القوى التي سخرت مواردها البشرية والمادية لخدمة ماكانتها العسكرية . فقد عاشت المدينة طيلة التسلط الایلخاني في العراق ١٢٣٧هـ / ١٢٥٨ م^(١٦) في حالة رفض للوجود الاجنبي وقد عبر هذا الرفض عن نفسه باشكال شتى من رفض للتعاون مع المحتلين ، الى التعاون مع المماليك في مصر وبلاط الشام الذين رفعوا شعار تحرير العراق من الغزاة^(١٧) اما في فترة التسلط الجلائري على العراق ١٢٣٨هـ / ٧٣٨ م^(١٨) - ١٢٣٧هـ / ١٤١١ م فقد خضعت تكريت للجلائريين سنة ١٢٦٥هـ / ١٣٦٥^(١٩) غير انها مالت بعدها الى خروجها عن دائرة التفود الجلائري سنة ١٢٨٣هـ / ٧٨٥ م^(٢٠) عندما اتصل حاكمها حسن يولتمور بالسلطان الملاوكى «الظاهر برقوق طالباً الدخول تحت حكمه والخطبة باسمه فاجيب سؤاله وكتب له بذلك تقليداً»^(٢١) والملحوظة المثيرة للتأمل اشارة المصادر الى ازدهار الحياة الاقتصادية في تكريت واطرافها مثل حربى ودجيل^(٢٢) هذه المناطق التي امتازت بوفرة انتاجها الزراعي وجودة صناعة الزجاج في المدينة^(٢٣) وكذلك دفع التجار الضرائب والرسوم لحاكم المدينة^(٢٤) غير ان هذا الاستقرار لم يستمر طويلاً فقد تعرضت المدينة سنة ١٢٩٦هـ / ١٣٩٣ م الى غزو مدمر على يد تيمورلنك حاكم ما وراء النهر في فترة غزوه للاراضي العراقية غير ان المدينة قررت الصمود وتحدى الحصار المفروض عليها رغم مرارته

اسس الادارة العثمانية في العراق، هذه الاسس التي اتخذت طريقها الى التطبيق في السنوات العشر التالية، فأخذت تكريت سمة سنjac ضمن ولاية الموصل.

٣- سنjac بكية تكريت.

تشير الوثائق العثمانية الخاصة ببايالة (ولاية) الموصل، التي يعود تاريخها الى ٩٥١/١٥٤٤ - ٩٥٦/١٥٤٩ الى تقسيم الايالة الى خمسة مناقق وهي : اسكندر موصول ، تكريت ، زاخو ، عانة ، كشاف ، موصل^(١) ويفكك الرحالة التركي اوليا جلبي بتبعة تكريت لايالة الموصل. والادارة العثمانية في سنjac تكريت هي تجسيد لفلسفة الدولة العثمانية المالية في اعتبار النظام الاداري ، نظاماً حربياً ، وهناك مسألة جوهيرية مهمة ، وهي ان سنjac تكريت هو أبعد سنjac ولاية الموصل ، كما انه اقرب سنjac الى ولاية بغداد من جهة الشمال ، الامر الذي ترتب عليه انتقال تكريت في التبعية الادارية بين ولايتي الموصل وبغداد حتى القرن الثامن عشر ، حيث أصبح تابعاً لولاية بغداد.

لقد برزت أهمية تكريت في القرن السابع عشر الميلادي من الناحيتين العسكرية والسياسية بسبب تطور الاحداث في بغداد لغير صالح العثمانيين ، بعد تمرد بكر صويashi احد قواد الانكشارية على سيد العثماني يومـ^(٢) باشا والى بغداد سنة ١٦٢٣ م^(٣) واستئمار الفرس هذا التمرد لاحتلال بغداد ، فجهزت الدولة العثمانية عدة حملات استرجاعية لاسترداد بغداد «ابل مدن آسيا» فأهمية تكريت برزت من الناحية العسكرية بكونها اقرب منطقة ادارية عثمانية في شمال بغداد ثم هي عقدة عسكرية ذات طبيعة مزدوجة فهي الخط الدفاعي الشمالي اولاً ، كما انها تشكل مصدر تموين لایة حملة عسكرية تتجه الى بغداد فخلال حملة الصدر الاعظم خسرو باشا سنة ١٦٢٩ م/ ١٠٢٨ لاسترجاع بغداد ارسلت المعدات والتجهيزات العسكرية عن طريق النهر (رحلة) الى تكريت^(٤) ، ويبدو لي ان قلعتها استخدمت في خلال هذه الفترة كمستودع للاعتمدة والمواد الغذائية كما برزت اهمية سنjac تكريت في اثناء حملة السلطان مراد الرابع ١٦٤٠ - ١٦٢٢ على بغداد ، اذ بادر الصدر الاعظم مصطفى باشا المرافق للحملة الى منح الشیخ درویش من شیوخ آل العزة تیتمار في اطراف تكريت مخمنا بستة الاف اقجة ، على ان يتمهد بتزوید (البارود خانة في بغداد بخمسة مائة كلک من الاطحاب سنتوايا وذلك لصناعة البارود ، كما كان السلطان مراد الرابع في اثناء وجوده في الموصل ، قد امر بارسال تسعه مدافع عن طريق نهر دجلة الى بغداد وذلك لأن حیوانات الخدمة التي كانت تسحب هذه المدفع قد انهاکها طول الطريق وقوسوته ولم يبق بمعية السلطان سوى عشرين مدفأ^(٥) ويعتقد احد الباحثين^(٦) انه ربما يكون احد هذه المدفع ما اصطلاح عليه في العراق باسم (طوب ابو خزامة) والذي حیكت

صفحة الاق قويتلوي عن العراق سنة ١٥٠٨ م ، وبدأت فترة الاحتلال الصفوی للبلاد ويقدر تعلق الامر بتکريت قلم نجد في المصادر المتيسرة لدينا الى خضوع المدينة للمحتلين الجدد بل يبدو من سياق الاحداث وظروف احتلال الشاه اسماعيل الصفوی لبغداد واطرافها الغربية سنة ١٥٠٨ م ومقاومه البغداديين للاحتلال الصفوی^(٧) ان مدينة تكريت ظلت بعيداً عن التسلط الفارسي حتى سنة ١٥١٧ م حيث دخلت في الفضاء العثماني .

٢- تكريت في العهد العثماني ١٥١٧ - ١٧٣٣

١- دخول تكريت في المجال العثماني : شهد مطلع القرن السادس عشر الميلادي صراعاً عنيفاً بين الدولتين العثمانية والصفوية وكانتا في اوج قوتهم ، وعنفوان شبابهما ، والصراع العثماني - الصفوی هو المسؤول عن توقي سليم الاول ١٥٢٠ - ١٥٢٤ العرش ، فقد ارغم والده بايزيد الثاني ١٤٨١ - ١٥١٢ على التنازل عن العرش ، وبasher على الغور بتبعة امكانات الدولة العثمانية لمواجهة الصوفيين ومنازلتهم في معركة جالديران ٢٣ آب ١٥١٤ م ودخول العاصمة الصفویة تبریز ، غير انه لم يتغلب في العمق الايراني ففشل راجعاً الى بلاده على امل ان يعود في العام القائم لاستكمال احتلال ایران^(٨) وقد وفر بذلك للشاه اسماعيل الصفوی ١٥٠٢ - ١٥٢٤ م فرصة جيدة لاعادة تنظيم قواته . والعمل على استرداد الاراضي التي خرجت من دائرة نفوذه في جهات ديار بكر والجهات الشمالية الشرقية من العراق ، الامر الذي دفع سليم الاول الى منازلته مرة اخرى مكانته معركة قرة غنی نده بعد مايس ١٥١٦ م جنوبي ماردین التي حسمت جميع الاضطرابات والمواقف المتباينة بين الطرفين لصالح العثمانيين الذين سقطت اثر المعركة المذكورة باديهم مناطق كثيرة ، اذ دخلت منطقة شمال العراق تحت المظلة العثمانية هذه المنطقة ذات الامنية الاستراتيجية البالغة الخطورة ، بوصفها مفتاح الاتصال بالمسالك التجارية البرية والنهيرية ، اضافة الى بمتابة العقدة العسكرية التي تتحكم في بلاد الشام من جهات الغرب الاعلى . فكانت حملة سليم الاول على بلاد الشام من ١٥١٦ م نتيجة منطقية لافرازات السيطرة العثمانية على شمال العراق في خط يمتد محوره الجغرافي على النحو الآتي :

خوى/ كركوك/ اربيل/ الموصل/ سنجار ، اضافة الى ما يعلو هذا الامتداد او يتدايني عنه ، وقد دخلت هذه المناطق تحت السيطرة العثمانية كمناطق مكتسبة عسكرياً ، في حين دخلت مدينة تكريت كمنطقة تابعة^(٩) .

على الرغم من دخول تكريت تحت السيطرة العثمانية سنة ١٥١٦ م غير ان هذه السيطرة ظلت اسمية حتى حملة السلطان سليمان القانوني (١٥٦٦ - ١٥٢٠) على بغداد وطريق الفرس منها فقد قرر السلطان سليمان القانوني في اثناء موته في بغداد

حوله حكايات كثيرة .

على اية حال فبعد نجاح السلطان العثماني مراد باشا في طرد الفرس من بغداد تم التوقيع على معاهدة زهاب ١٦٣٩ م ، قامت الدولة العثمانية باعادة النظر في الهيكل الاداري في العراق ويندر تعلق الامر بتكرير فقد ارتبطت بولاية بغداد ، بدلاً من ولاية الموصل وكان ذلك سنة ١٦٤٣ م (٢٠) اكثر هذه الغزوارات خطورة اذ اصبح العراق خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر خاصة مسرحاً للصراع بين العثمانيين والفرس ، تجرع العراقيون خلالها انواع المأساة الاقتصادية والاجتماعية وهم لا ناقة لهم ولا جمل فيما يدور بين الطرفين ، ففي سنة ١٧٢٣ م شن نادر شاه حاكم ايران (٢١) هجوماً واسعاً على العراق ، ومن مختلف الجهات ، وكانت ضخامة الحملة تؤكد نوايا المحتل في احتواء كامل التراب العراقي في المرحلة الاولى ، تم الزحف الى الاراضي العربية الاخرى ، وقد جوبهت الحملة الفارسية في الاراضي العراقية بمقاومة نادرة كشفت عن الوعي المبكر لمخاطر الاحتلال الفارسي الذي يستهدف الهوية والقومية للمغارقين . ومن بين المدن العراقية التي تصدت لنادر شاه مدينة تكريت التاريخية ، ولكن تتوضح ابعاد المقاومة التكريتية في الاطار العثماني علينا ان نقف عند الخطة العسكرية الفارسية في احتلال بغداد والاراضي العراقية الاخرى ففي مطلع سنة ١٧٢٢ م زحف نادر شاه عن طريق درنة نحو الاراضي العراقية حتى وصل الى طوزخورماتو ، وهناك عقد اجتماعاً حربياً مع قادة جيشه ، والاتفاق على خطة الهجوم على المدن العراقية ، ويندر تعلق الامر بخطة المحتل نادر شاه الخاصة بولاية بغداد ، فقد تضمنت احتلال كافة المدن الرئيسية في اطرافها ، والتتحكم كذلك بالمسالك الحربية المؤدية الى بغداد مثل المسلك البري شرقي مجلة ، وهو المعروف بالطريق السلطاني ، كذلك المسلك النهري غربي بحلة هكذا هاجمت القوات الفارسية مناطق كركوك والموصل وداقوق وكفرني وقرهتبه (٢٢) كما تقرر في الاجتماع نفسه ان تتحرك قوات فارسية اخرى لاحتلال الحلة وتكرير وهما من مراكز تموين بغداد ، الاولى في جنوب بغداد والثانية الى شمالها اما نادر شاه فقد زحف نحو بغداد وفرض عليها حصاراً قاسياً لقد نجحت القوات الفارسية في احتلال المناطق في ضوء الخطة العسكرية ، فاحتلت كركوك وداقوق وكفرني وقرهتبه (٢٣) كما نجحت القوات الفارسية في احتلال مدينة الحلة «وقد نجحت الطرق وقوافل الحبوب والاغذية الى بغداد وبقيت القوة الایرانية في الحلة» (٢٤) اما القوة الفارسية التي زحفت نحو تكريت ، فقد جوبهت بمقاومة باسلة قل نظيرها . يقول المؤرخ الشیخ رسول حاوی الكرکولي : فتصدى لها مصطفی باشا (حاکم المدينة) بجنوده يشارکهم السكان الغياری على اعراضهم ودينه ودارت بينهما حرب ضروس تمكن اخيراً من نحر الاعداء ، ولكنهم عانوا والتحموا ثانية وابدى كل منهما من الضراوة ما اثار الاعجاب ، ويسبب ثبات الجيوش العثمانية والاهلين لم يرى الاعداء مفراً من التراجع في وجههم

وعانوا من حيث اتوا (٢٥) وللباحث ان يتسائل ما هي ابعاد مقاومة تكريت للقوات الفارسية ، خاصة واننا نعتقد ان السبب الاكثر في التصدي للغزوة ، قد وقع على السكان (٢٦) وان مصطفی باشا كان يسند الى ارضية صلبة ، هي سكان المدينة .

في الواقع ان ابعاد مقاومة تكريت للقوات الفارسية قد تجاوزت اطار الالتزامات التي فرضتها التبيعة السياسية للعثمانيين (٢٧) الى الادراك الواعي لطبيعة الصراع العثماني الفارسي لهذا لم يكن رد هذه المقاومة الولاء العراقي للحكم العثماني ، يقدر ما كان تعبيرا عن الشعور الوطني والقومي للسكان ضمن الاطار العثماني ، اولاً ولأن هذا الاحتلال يعبر في جانب منه عن العداء التاريخي الفارسي للعرب ، (٢٨) ومن جانب اخر فان فشل الفرس في احتلال مدينة تكريت قد رفع معنويات البغداديين ، وقتها عزائهم في التصدي ومقاومة الحصار ، بانتظار وصول قوات عثمانية اليهم كما جعل هذا الانتظار سكان اطراف بغداد يعيشون في حالة تهافت وترقب ، مما اضطر المحتل نادر شاه الى الرحفل نحو غرب بغداد ، بعد ان ترك لاحصار بغداد اثنى عشر الف جندي كما امر برحفل قوات فارسية نحو الكاظمية وسامراء ويدو لي ان الفشل كان نصيب هذه القوات ، وان مقاومة قد حصلت فيها ، لأن المصادر الفارسية (٢٩) تلزم الصمت بشأنها ، كعادتها في التعتمد على اية مقاومة عراقية للقوات الفارسية .

كفت الدولة العثمانية احد المع القواد العسكريين البارزين وهو طوايال عثمان

(الاعرج) (٣٠) القيادة العسكرية لمعارضة الموقف غير الاعتيادي في بغداد ، وتقدر المصادر عدد افراد الحملة باكثر من ثمانين الف مقاتل وقد ذكر بيان معظم الوحدات المشتركة في الحملة كانت سوريا وعراقة واناضولية . قضى عثمان الاعرج نصف عام في اعداده (٣١) وعند الحملة العسكرية الى كركوك عقد القائد العثماني اجتماعاً حرياً للوقوف على اخر اخبار الموقف الاستخباري (٣٢) فاستقر رأى القائد العثماني على مواجهة نادر شاه في اطراف بغداد ، وتحديداً في اطراف تكريت . وانما كانت الاعتبارات الطبوغرافية مثل وجود السهل وتتوفر المياه ، قد املت على القيادة العثمانية اختيار ساحة القتال ، فان المقاومة الشجاعة لتكرير القوات الفارسية لم تكون غائبة عن انهان عثمان الاعرج هكذا شهدت صبيحة التاسع عشر من تموز ١٧٣٢ معركة عنيفة بالقرب من سامراء ، تعد من اعنف المعارك ضراوة في التاريخ واكثرها قسوة . بسبب الظروف الجوية الصعبة فمن حرارة مرتفعة الى تصاعد غبار كثيف من اجواء القتال . وبعد تسع ساعات من القتال الشرس دارت الدائرة على القوات الفارسية فهو نادر شاه من ساحة القتال تاركاً جثث قتلاه (٣٣) يتبعه من حالفه الحظي في الفرار ومن اخطائه السيف ، وما ان سمعت بغداد بالهزيمة الفارسية حتى خرجت ومعها احمد باشا واليها ١٧٤٧-١٧٢٢ م لهاجمة القوات

- ١٢- عن مقاومة بغداد والمدن العراقية الأخرى انظر : د . عمار الجواهري . العراق والتسع المصوّي ١٥٣٠ - ١٥٠٢ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد العشرون / تشرين الأول / ٩٧٩

الكويت ص ٦٨-٧٤

١٣- لمزيد من التفاصيل عن معركة جالديران ١٥١٤ انظر : حسين محمد القهواتي العراق بين الاحتلالين العثماني والثاني ١٥٣٤-١٦٣٨ دراسة في أحواله السياسية والاقتصادية رسالة ماجستير في التاريخ الحديث كلية الآداب / جامعة بغداد ١٩٧٥ ص ٨٤-٢٤ كذلك د . أحمد عبد الرحيم مصطفى . في أصول التاريخ العثماني ، دار الشرق / بيروت ٩٨٢ ص ٨٠

١٤- للوقوف على تفاصيل أكثر انظر : د . سيار كوكب الجميل . استراتيجية العراق وائرتها في نشوء الصراع العثماني - الإيراني . مجلة آفاق عربية السنة السادسة ، العدد العاشر . حزيران ٩٨١ وزارة الثقافة والاعلام بغداد / ص ٢١-١٤

١٥- بـ ٩٧ . Ba, e ve kahve Arir Dairies . ozal No . ٩٧ . منها نسخة مصورة في مكتبة الدراسات العليا / كلية الآداب / جامعة بغداد . سجلات الدولة العثمانية ولاية الموصل ١٢٥٣

١٦- عن حادثة بكر صوياشي في بغداد ١٦٢٣ انظر : علي شاكر علي . تاريخ العراق في العهد العثماني دراسة في أحواله السياسية . بغداد ١٩٨٥ ص ٣١-٣٦

١٧- محمد مراد . تاريخ أبوظاروق ، مطبعة أمد ١٣٢٩ ، طبع أول ٣١٦ ص ٥

١٨- إبراهيم بجوي : تاريخ بجوي / ايتانبول ١٢٨٢ هـ / ج ٢ ص ٤٦

١٩- حسين محمد القهواتي ، المراجع السابق ص ٢٦٢

٢٠- خليل علي مراد . المراجع السابق ص ٤٩

٢١- نادر شاه : ولد نادر شاه في كيكان في ٢٢ تشرين الأول ١٦٨٨ ونشأ في خراسان وامتهن في حدااته رعي الاشتات ، ثم وقع في الاسر على يد قبائل الاوزبك ، غير انه تمكّن من الفرار ، وبدأ يعيش كفاحم طريق ، وفي سنة ١٧٢٦م التحق بخدمة الأسرة الصفوية غير انه خان سيده فقضى على العائلة الصفوية ليتنصب نفسه حاكماً مطلقاً على ايران Laurence, lokhart. Nadr shah . London 1938

٢٢- من خطبة نادر شاه انظر : ميرزا مهدي خان الاسترابادي ، جهانكشاي نادری اهتمام سید الله انوار ، تهران ، ١٣٣١ هـ ص ٩٤-١٩٢

٢٣- لمزيد من التفاصيل انظر : علي شاكر علي ، تاريخ العراق ص ١٨٤ وما بعدها

٢٤- يوسف كركوش الحلبي ، تاريخ الحلة القسم الأول في الحياة السياسية ، الطبعة الأولى (النجف الاشرف ١٩٦٥ ص ١٢٢)

٢٥- الشیخ رسول حاوی الكرکوکی : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، نقله عن التركية موسى كاظم نوري ، بيروت ٩٦٣ ص ٣٠

١- عن فترة التسلط الایلخانی المغولی انظر : د . محمد صالح داود القزاز . الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف الاشرف ١٩٧٠)

٢- لمزيد من التفاصيل عن خطط المماليك لتحرير العراق انظر : دراسة سالم يونس محمد المولى . العراق في السياسة المملوكية ١٥٧٨-٦٥٦ . رسالة ماجستير غير منشورة / قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة الموصل ٩٨٩ ص ٦٦-٩٦

٣- نوري عبد الحميد العاني . العراق في المعهد الجنائزي والاقتصادية ، دار الحرية للطباعة / بغداد ١٤١١-١٣٣٧ هـ / ٩٨٤-٧٣٨ دراسة في اوضاعه الادارية

٤- ابن حجر العسقلاني . اباء القرم بابنا العمر . تحقيق حسن حبشي . القاهرة ١٩٦٩ ج ١-٢٧٦

٥- حربی : مدينة متوسطة الحجم في أعلى دجلة بين بغداد وتكريت . اشتهرت في المعهد الجنائزي بكثرة يسايتها وكانت واراداتها منها تقدر بـ ٢٥ الف دينار وقد اتخذها تيمورلنك مقراً لعملياته الحربية سنة ١٣٩٣ هـ / ٩٣٥ وذلك لوفرة الملح والاحراش للخيل انظر : نوري العاني . المراجع السابق الصفحات ٤٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١

٦- تشير الباحثة هنا عبد الخالق الى ان تكريت وواسط كانتا من مراكز صناعة الزجاج في المعهد الجنائزي وفي مديرية الآثار العامة ببغداد شملاً من زجاج الشبابيك وقناني ومحابر ودواوين من الزجاج صنع هاتين المدينتين . انظر : الزجاج الاسلامي في مخازن ومتاحف الآثار في العراق رسالة ماجستير في الآثار الاسلامية . جامعة بغداد ١٣٦٣-١٣٦٢ هـ / ٩٦٩-٩٦٩ كذلك : نوري العاني ، المراجع السابق . ٢٥- ابو العباس احمد بن علي القلقشندي . قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان . حققه وقدم له ابراهيم الباري (بيروت ١٩٨٢) ص ١٣٠

٧- العروادة : الة خشبية اصغر من المجنثنة تستخدم لرمي الاهداف بعيدة المدى . انظر عبد الله البستانی اللبناني . البستان . معجم لفوي (المطبعة الامريكية . بيروت ١٩٣٠) ج ٢-٤ ص ١٥٤٧

٨- للوقوف على تفاصيل حصار تيمورلنك لقلعة تكريت ومجاراته واستباحته للمدينة وأسرافه في القتل بحيث اقام مئارتين وثلاث قبات من جمامن القتل ، وهدمه اسوار القلعة عدا سورا واحد ترك ذكرى لمناعة القلعة وحضارتها وقوتها جيشه الذي تمكّن من اقتحامها . انظر : جاسم مهاوي حسين . تاريخ الفزو التیموري للعراق والشام واثاره السياسية ١٣٨٥-١٤٠٥ . رسالة ماجستير في التاريخ الحديث (غير منشورة) قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة بغداد ١٥٣-١٦٣ ص ٩٧٦

٩- عن الحكم القره قويتلي انظر : علي شاكر علي . العراق والقرة قويتلي في القرن الخامس عشر الميلادي ، مجلة المؤرخ العربي . العدد ٢٨ لسنة ٩٨٦

١٠- عن الحكم القره قويتلي في العراق انظر : علي شاكر علي . دولة الاق قويتلي في العراق والاناضول بحيث مقدم الى قسم التاريخ / كلية الآداب / جامعة الموصل لسنة ١٩٨٦ م

- الحملة العسكرية وقد التصدق به لقب الاعرج بعد اصابته في رجله وهو يحارب الاسبان انظر : ترجمته محمد ثريا سجل عثماني ، ياخود تذكرة مشاهير عثمانية . ستانبول ١٣١١ هـ ج ٢ / ص ٤٢٨
- ٣١- رضا نور، تورك تاریخی رسمي و خریطة لي ، استانبول ١٩٢٤ ج ٥ ص ١٣٧
- ٣٢- عماد الجواهري ، العراق و مواجهة التوسيع النااري ص ١١٧
- ٣٣- ستيفن همسلي لونكرينك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، الطبعة الرابعة بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٥
- ٣٤- هناك مصادر كثيرة عالجت المâuج بين عثمان الاعرج و نادر شاه سنة ١٧٣٢م ، غير ان دراسة الدكتور لوکھارت الالماني من احسن الدراسات : انظر Laurence lockhart, The fall of the sefavi Dynasty and the Afghan occupation of Persia . (Cambridge 1958) . PP. 27. 39.
- ٢٦- للوقوف على ابعاد المواجهة العراقية للقزاة الفرس انظر : د. عماد الجواهري ، العراق و مواجهة التوسيع النااري ١٧٤٢ / ١٧٣٣
- ٢٧- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية . العدد ٢٠ لسنة ١٩٧٩ د. ابراهيم خليل احمد ، تاريخ الوطن العربي في المعهد العثماني ١٩١٦-١٥١٦ ، الموصل ١٩٨٦ ، ص ٩٠
- ٢٨- عبد الرحمن شرف ، فذلکة تاريخ دولة عثمانية ، قربت ، مطبعة س ، استانبول ١٣٢٥ هـ ص ١٣٦
- ٢٩- انظر على سبيل المثال ، محمد حسين قدسي ، نادر نامہ ، خراسان ١٣٣٩ هـ ، میرزا مهدی خان الاسترابادی ، المرجع السابق ص ١٤٤
- ٣٠- طویل عثمان : اي عثمان الاعرج ولد في موته عام ١٦٩٢ وتلقى تعليمه في مدرسة سرايی غیر انه عزل بعد سنة وأصبح والياً على طرابیزون و تظیس ، وفي سنة ١٧٣٢م كلفته الدولة العثمانية لقيادة

* * *



حصار النجف

قصاص المحتلين من ثورة التحرر سنة ١٩١٨

بتلهم الباحث

علي كاشف الغطاء

ولما كانت الدجف في تلك الفترة خالية من القوات العسكرية ، شعرت سلطات الاحتلال ، على أثر ذلك الخلاف ، بضرورة وضع حاميات عسكرية في موقع معينة من منطقة الكابتن بلغور ، وقام يرسى كوكس الحاكم السياسي في العراق مع ثلاثة من الضباط في أوائل كانون الأول ١٩١٧ بجولة إستطلاعية لذلك الفرض^(١) . وقد وزعت تلك الحاميات في أوائل عام ١٩١٨ على مناطق الغرات الأوسط ، ووضعت إحداها في « شريعة أم البنين » في مدينة الكوفة التي تبعد سبعة أميال عن الدجف ، تحاشياً من وضعها في داخل المدينة المقدسة ، لئلا يسبب ذلك ردود فعل في الأقطار الإسلامية^(٢) . وأخذت الحامية تجري تمارينها العسكرية في الصحراء بين الكوفة والدجف .

وفي صباح ١٢ كانون الثاني ١٩١٨ إقتربت مفرزة من ثلثمائة من الخيالة الهندو من الجيش البريطاني ، من سور الدجف ، تصدى لها النجفيون فغيرت معركتها أسفراً عن قتل أحد الجنود الهندو وجرح الجندي آخر ، فولت المفرزة الأذبار وعادت من حيث أتت .

ولم تمض إلا ساعات قليلة حتى ظهرت في السماء طائرة إنكليزية لم يتوان بعض المسلمين النجفيين عن رشقها بدنان أسلحتهم بينما إنطلق بعضهم الآخر مهاجماً سراي الحكومة ، مما حمل معاون الحاكم السياسي حميد خان أن يُخليه ويقارب الدجف مع موظفيه إلى الكوفة^(٣) .

ونتيجة لهذه الحوادث قرر الإنكليز تعيين الكابتن مارشال الذي كان معاوناً للحاكم السياسي في الكاظمية ، الذي اعتبرته المس بيل : « فريداً في لياقته للمهمة السعيدة التي كلف بها » في الدجف^(٤) .

وقد وصل الكابتن مارشال إلى النجف في اليوم الأول من شباط سنة ١٩١٨ ، واتخذ مقر عمله وسكناه في خان عطيه أبو كل ، خارج البلدة ، الذي سبق أن أستولى الجيش البريطاني عليه . وكانت باكورة أعمال مارشال إعادة تشكيل جهاز الشرطة الذي

النجف قلعة العروبة العاصمة في ثغر الصحراء ، فقد عُرفت بالتعلّق إلى الحرية والنزوح إلى الاستقلال على مدى العصور ، فلم تطأها رأسها للغزا ولم تستكين للمحتلين ، فتَهَبُ للجهاد هبة رجل واحد ، كلما دعتها نواهيهم وخَنِمَ على سمائها شرورهم ، على الرغم من كونها مهبط العلم ومدينة العلماء ، ولذا نجد أنها استرعت ، بهذه الطياع إهتمام معظم دول العالم المتحضّر وشعبيه خاصّة تلك الدول ذات المطامع الاستعمارية التي تحظّط للاستيلاء على دول المنطقة العربية وفي طليعتها العراق وتأتي في مقدمة تلك الدول دولة بريطانيا . التي أولى كثير من سياساتها وأساليبها المعنيين بشؤون العراق في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ، عناية خاصة ، للاسياب ذاتها فضلاً عن مذلتها الدينية والروحية ، الأمر الذي أدى أن يشد بعضهم الرحال إليها ، ليطلع على أوضاعها الاجتماعية ، ويدرس ما كان سائداً فيها من إتجاهات سياسية وفكرة ، إذ كانت الدجف في تلك الفترة على مستوى عال من النهضة العلمية والفنية والفكرية ، وعلى إتصال بأذكار التحرر والاستقلال التي ظهرت عند المثقفين العرب في أعقاب إعلان الدستور المثماني في سنة ١٩٠٨ ، لذا لم غرّياً أن تزور النجف المس جيروتوبيل في ٧ آذار سنة ١٩١١ تمهيداً للأطلاع عليها والتعرف على مجتمعها ، كجزء من إهتمام السياسة البريطانية .

وهكذا لم يمض وقت طويٍ على وقوع بغداد في قبضة الجيش البريطاني في ١١ آذار عام ١٩١٧ ، حتى بدأ أفعوان الاحتلال ينساب إلى مدن العراق الواحدة بعد الأخرى ، وسرعان ما عنيت سلطة الاحتلال الكابتن بلغور ، الذي كان يحسن اللغة العربية ، حاكماً سياسياً ، لمنطقة الشامية والنجف ، وعندما وصل بصحبة الميجور بولي حاكم الحلّة ، وقفت له مشادة وجدل مع رئيسين من رؤساء المحلات في البلدة هما ، عطية أبو كلل وكاظم صبي ، حول الآثار التي كان يفرضها عطية أبو كلل ، على القوافل التي كانت تتمون بالحبوب من النجف .

طرق الحاج نجم الباب ساله الحارس ، من أنت ؟ فاجابه الحاج نجم بأنه حامل البريد « حسن الكصراوي » ، قلت له مطردوفاً كان يحمله معه فلما تسلمه الحارس عاجله محسن أبو خذيم بطعن خنجر أرسته قتيلاً في الحال ، فاسرع الرجال يتبعهما الآخرون إلى الدخول إلى الحاج ويدأت معركة حامية الوطيس ، اشتد فيها تبادل إطلاق النار بين المهاجرين والحراس ، أسفرت عن قتل أحد المهاجرين وجروح ثلاثة منهم ، وعلى الرغم من مقاومة الحراس الشديدة تمكّن المهاجمون من قتل الكابتن مارشال وجروح ضابط آخر كان معه .

وحيينما سلط الحراس النيران الكثيفة على المهاجمين من برج الحاج قرروا الانسحاب بجرحاتهم الثلاثة ، وفي طريق عودتهم إلى البلدة ، تصدى لهم أحد الشبان وأطلق عليهم النار التي أصابت صاحب الأدب منهم الذي توفي بعد ثلاثة أيام من إصابته^(٩) . وما أن علم الكابتن بلغور الحاكم السياسي بمصرع مارشال حتى أسرع متوجهها إلى النجف على رأس قوة عسكرية من الجنود ، نشرها داخل المدينة وخارجها .

وعندما وقعت علينا القائد العسكري على جنة مارشال ملطخة بالدماء ، لم يتمالك نفسه وإنفجر قائلاً : « إن كل قطرة من هذا الدم الفالي نساوي أربعين نجفي »^(١٠) . كما فقد الكابتن بلغور هدوءه وإتزانه وراح يكيل السباب واتهام رؤساء المحلات في النجف : الذين حضروا لمقابلته ، وعلى الأثر تجمع عدد من النجفيين المسلمين (المشاهدة) وطفقوا يجوبون الشوارع للبحث عن الجنود والشرطة ويستحوذون على أسلحتهم ويتحجّرون بعضهم ويطلقون سراح بعضهم الآخر . ثم هجموا على سرّاي الحكومة القديم الذي كام مقراً للحرس فولى الحرس الإليار ، تاركين المهاجمين يقلعون أبوابه ويشعلون فيه النيران لتأتي على ما فيه من أثاث وأوراق^(١١) ، فكان ذلك إيداناً باعلن الحرب بين انكلترا والنجد .

ويعد يومين من مقتل مارشال إقتربت كتيبة من الخيالة الانكلزيز من سور النجف فخرج إليها جمع من النجفيين المسلمين وأخروا يصلونها ببابل من الرصاص ، وأستمروا يطاردونها ، حتى أجبروها على الانسحاب ، وقد قوت هذه الحادثة عزيمة النجفيين وزالت من تصميهم على الثورة ، وأثارت فيهم الذلة والحبمة ، متذمّسين خلافاتهم وصار بعضهم يحمس بعضاً ويحثه على القتال ، وقد أشار الشيخ محمد رضا الشبيبي ، الذي عاصر الثورة ، إلى ذلك قائلاً .

« إن النجفيين كانوا قبل ذلك مختلفين في كلمتهم وأدائهم ، فلما وقعت واقعة الخيالة ، رأى بعضهم على بعض / تعاطفوا وتبناوا الخلاف ، فعمد فتيان المحلات الأربع إلى حمل سلاحهم وهم يقطرون حماسة ونحوه ، وصرت لا تسمع إلا قولهم : إن الضرورة تقضي بالاتفاق »^(١٢) .

وفي اليوم الرابع من الثورة في ٢٢ آذار ١٩١٨ ، وصلت إلى

كان معظم أفراده من أبناء النجف نفسها وأبنائهم بأخرين من خارجها ، لاعتقاده بأن الشرطة من أبناء المدينة كانوا ضالعين مع التوار ويساعدونهم ، تم شرع في القيام ببعض الإجراءات في الادارة المحلية ، كجباية رسوم البلدية والبدم بتنظيم البلدية التي كانت مهملاً وفي حالة مزرية .

لقد تصور الانكلزيز أنهم بذلك الاجراءات الادارية يستطيعون أن يمتّعوا نقاوة النجفيين الذين سلبوه حرريتهم واستقلالهم ، وينسّوهم قضية بلدتهم ، وبذلك يحلون مشكلة الثورة فتتم لهم السيطرة على النجف وما جاورها من مناطق الفرات ، ولكن هنّيات دون ذلك خرط العتاد ، إذ لم يرضخ النجفيون ولم يستسلموا إلى إدارة المحظيين فتناادي الرجال إلى حمل السلاح وإشهاره في وجه المعتدين الغزا .

يعزوا بعض الكتاب ، العداء للأنكلزيز في النجف إلى أن : « هناك تيار عدائي .. قائم على أساس الدين ومستمد من حركة الجهاد ، وهو تيار كان يضم عدداً كبيراً من الملائكة (رجال الدين) والعموم ، فقد ظل هؤلاء ينظرون إلى الأنكلزيز نظرتهم الى كافر يجب محاربته ، وكان الكثير من هؤلاء بالإضافة الى ذلك ، يؤمنون بمحتمية إنتصار الأتراك وخلفائهم الالمان في العرب ... »^(١٣) وينكر ولسن الحاكم السياسي في العراق في ذكرياته قائلاً : « إن الأشاعات أخذت منذ أوائل آذار ١٩١٨ تتتابع باستمرار وفيها الكثير من التفاصيل عن قرب حلول هزيمتنا وعدة الأتراك الى العراق » ، ويمضي ولسن في وهمه هذا فيقول : « إن ثورة النجف ما كانت لتتحقق لو أنها تأخرت عن موعدنا أياماً قليلة ، ففي ٢٦ آذار تم أسر القوات التركية بأسرها في الفرات الأعلى »^(١٤) .

إن الزعم بأن ثورة النجف كانت تَقْوِي على إنتصار الأتراك في الحرب وتحسب له حساباً ، ولو لا ذلك لما قامت الثورة ضد الانكلزيز ، زعم يفتقد إلى الدليل ، بل على العكس ، إذ من المعلوم أن النجف ثارت مواطنة عديدة ضد الأتراك وطردت موظفهم وكان آخرها ثورة ٨ رجب ١٢٢٢ هـ - ١٩١٥ م ، وأخذت تحكم نفسها لبعض سنوات قبل الاحتلال^(١٥) .

ثم توالى الأحداث مسرعةً حين ظهرت جماعة من أبطال النجف الأشداء على رأسهم الحاج نجم البقال^(١٦) ، الذين خططوا لتفجير الثورة ، بمحاكمة مقر الحاكم السياسي في خان عطية في خارج البلدة .

وكان في رأيهما أن الاستيلاء على المقر سيؤدي حتماً إلى إنتشار الثورة في النجف ، وعندئذ ستتبني العشائر المجاورة ، نداء الثورة وتنظم إليها .

وفي فجر يوم ٩ آذار ١٩١٨ إنطلق الحاج نجم مع جماعة من أصحابه نحو المقر ، « وعند شروق الشمس تقدم نحو باب الحاج إننان من المهاجمين مما الحاج نجم البقال ومحسن أبو غنيم ، وكانا متذمّسين بذري الشبيبة (الشرطة) للتضليل وعندما

لا يبرر سلطقاً فرض الحصار على المدينة باكملها وحرمان سكانها من مقومات الحياة، الغذاء والماء، هذا فضلاً عن إجراءات التشديد لتضيق طوق الحصار وإعلان الرغبة في الامتصاص والثار من النجف، فقد جاء في برقية القائد العام، جواباً عليه برقية علماء النجف التي قالوا فيها « إن النجف زاوية دينية لا ميدان حرب » قوله: « إن التصميم لهو تصميم بريطانيا ، وإن تصميم البلدة لم يبتدئ بعد وأنهم (أي الانكليز) لن يرفعوا الحصار حتى يشاروا بالمشانق ونسف البيوت والمنافي وتتقلل الغرامات »^(١٨).

لقد رفض النجيفيون الشروط جملةً وتفصيلاً، وصموا على مواصلة الثورة والوقف صفاً واحداً في وجه المحتلين حاملين أسلحتهم استعداداً للقتال.

أما الانكليز فقد حشروا قوات كبيرة في الكوفة ، بقيادة الجنرال سالدريز وتمركزت طلائع تلك القوات في مقام كبيت بن زياد الذي يبعد كيلومترتين عن سور النجف ، وشرعت بحفر الخنائق ووضع المخاريس ونصب الأسلاك الشائكة حول سور المدينة ، فاحكمت طوق الحصار على النجف فأنقطع كل اتصال لها مع الخارج ، فلم يعد بالأمكان أن يدخل إليها أو يخرج منها أي أحد.

كان نطاق الحصار المضروب حول السور في بداية الأمر على بعد ألف باردة تقريباً ثم تقلصت هذه المسافة وجرى تكريبه لمسافة أقصر بكثير وعزز بنطاق آخر من الأسلاك الشائكة . وللإمعان في تشديد الحصار قام الانكليز بسد جدول « السندي » الذي يأخذ مياهه من نهر « جفات » في مدينة أبي صخيه ويمر بالقرب من سور النجف ، حيث كان الناس يستسقون منه ، ولم يدخل الانكليز وسعاً في إتخاذ شتى الوسائل لمنع وصول آية كمية من الأطعمة أو العيوب أو الماء المعنى إلى النجف من الخارج.

لقد إستمر الحصار مدةً تزيد على الأربعين يوماً لاقت خلالها الأهالي الأمرين وكابدوا أقسى حالات الحرمان وندرة الماء وقلة الغذاء ، وأضطر الناس إلى الاعتماد في مشريهم على مياه الآبار المائلة التي لا تستساغ والتي تمجها الأفواه وتعافها النفوس وقد وصف الشيخ محمد رضا الشيباني ، ذلك بقوله : الذي كان يعيش في النجف أثناء الحصار .

« وأنقطع آثاره - يقصد آثار الحصار - إنقطاع الماء ، فقد التجأ الجمهور إلى مياه الآبار الملح الزعاق وهو يدعونه (ماء العديدة والملو) . وماء هذه الآبار من الأقنية القديمة ، ... وقد بيع حمل الماء العنبر بيته ومجيدي (بالعملة العثمانية) هذا اليوم - يقصد ٢٥ آذار ١٩١٨ »^(١٩).

في مساء يوم ٣١ آذار ١٩١٨ أمطرت السماء وبألا غزيراً لم تشهده المدينة منذ سنين ، فاسرع الناس لجمع ما أنعم الله عليهم من الماء العنبر الذي حرموا منه من جراء الحصار ، بعد أن يأسوا من الحصول عليه ، مما حاولوا ، حتى أن عوائل كاملة

علماء ورؤساء النجف ، رسالة من بلفور ، تطلب اليهم الاجتماع به لأجل المفاوضة فتائف وفند المفاوضة من عدد علماء النجف ووجهائهم^(٢٠) ، فاستقبلهم الكابتن بلفور في مقره خارج المدينة ، وقد قدم الوفد إليه طلب التنجيفيين أن يتخلّى الانكليز عن حكم النجف ويتركوها لأهلها ليحكموها بأنفسهم^(٢١).

فكان جواب بلفور: « إن الحكومة الانكليزية تحترم النجف وعلماءها وأهاليها كل الاحترام ، وهي تؤيد كل الخير لهم (!!) ولكن هناك جماعة من المفسدين هم الذين سببوا الفتنة وأخلوا بأمن البقة المباركة الشريفة وسلمة العلماء الأعلام المحاربين لهذا البلد الطاهر ، وليس لدى الحكومة سوى مطلب يسير هو تسليم هؤلاء المفسدين إليها ليذالوا جزاءهم .. » فكان رد الوفد ، بأن الوفد جاء لصلاح ذات البين وتنليل العقبات التي تقف حاجز عثرة في سبيل الصلح بين الفريقين ، أما هذا الطلب الذي قد تمتمه ، فهو لا يساعد على الصلح ، فقال بلفور « إن هذه هي إرادة القائد العام ، وهي لا تُرد » ، فلما طلب إليه الوفد التساهل وعدم التصلب ، أجاب بأنه سيخابر القائد العام ويببلغ الوفد الجواب في اليوم التالي .

وفي اليوم التالي حسب الوقت المحدد سلم بلفور عضوين من أعضاء الوفد الشروط التالية :

- أولاً : تسليم القتلة ومن أشتراك معهم بالفتنة بلا قيد أو شرط .
- ثانياً : غرامة ألف بندقية وخمسين ألف روبيه ، يجمعها الشیوخ المخلصون من محلات البلدة التي كانت لها يد في الفتنة .
- ثالثاً : تسليم مائة شخص من المحلات الثائرة إلى الحكومة البريطانية لسوقهم من النجف كاسرى حرب^(٢٢) .

وعند تقديم هذه الشروط للوفد صرخ قائلًا : « إن النجف ستبقى تحت الحصار الشديد فيمنع عنها الطعام والماء إلى أن تستجيب للشروط وتتنفيذها بحذافيرها^(٢٣) .

وهذا لا بد لنا من الإيضاح أن بريطانيا العظمى ذات السلطة والقوة قد لجأت إلى وسيلة الحصار الذي هو من وسائل الإكراه التي تتكون من أعمال غير مشروع ، يحررها القانون الدولي العام بصورة عامة وأن علماء القانون يرون أن الحصار بهذه الوسيلة مدعاة للشك والريبة في مشروعيته^(٢٤) ، وينهبون علماء القانون الدولي إلى أن القانون ، قد يجيز القيام بها إستثناء على أن يكون ذلك ردأ على عمل غير مشروع يكون قد وقع قبل الدولة من الدولة الأخرى التي تستعمل هذه الوسائل ضدها ، وذلك بشرط منها :

- ١ - أن تكون قد فشلت جميع الوسائل الودية في فض النزاع القائم .

- ٢ - أن لا يكون هناك عدم تناسب غير عالٍ بين العمل الذي فرضت من أجله أعمال الإكراه ، وبين أعمال الإكراه نفسها .

وإن عدم التناسب هذا هو ما حدث فعلًا في فرض الحصار على النجف عقاباً لها على ثورتها المشروعة من أجل التحرر من الاحتلال الأجنبي ، فإن قتل بضعة أفراد عساكر السلطة المحتلة

والارشاد ، وكيف وهو من واجباتهم الدينية . ولكن لا تكاد تتحسر المادة بصرف الوعظ والنصح فقط حتى تتضم إليها مساعدتكم بالمعفو والسياسة الازمة في مثل هذا الوقت ولذلك أمل فكم أكيد باصلاح هذه الفائلة بالتدابير الحازمة بالقرب العاجل إنشاء الله «^(٢٢)».

لقد أغضبت هذه البرقية القائد العام أيها إعذاب وحملته على التنسف والتشدد في منع وصول آية كمية من المونى إلى النجف فندرت الأطعمة وأرتفعت أسعارها إلى درجة تفوق الخيال ، فاصبح القوت في تمنيات الناس وأحلامهم كالياقوت ، ونفذ جميع ما كان مخزوننا لديهم من حبوب وتمور ، وصار الناس يقتاتون بلحوم حيوانات ، ليست من الماشية ولا من الطائرة التي إعتماداً على أكلها .

وفي صباح يوم ٥ نيسان ١٩١٨ أذاع قائد جيوش النجف والковفة المنشور التالي :

- ١ - إن اطلاق النيران المستمرة من الأشقياء على المساكير البريطانية لا يمكن أن يحتمل أكثر .
- ٢ - وبالنظر إلى هذا ستتخذ الإجراءات التي أجدتها ضرورية ، غير أن هذه الإجراءات ستسري في باديء الأمر على بعض المحلات الخارجية عن البلدة ، فعلى الأهالي أن يبتعدوا عن الأسوار وعن بوادي البلدة كي يسلموا من الضرب ، وأنصحهم أن يختبئوا داخل السراديب بينما المدافع (الطواب) تطلق نيرانها .
- ٣ - وليتناكن حضرات العلماء الأعلام والأهالي الخاضعون أنه لا يحصل أي ضرر للمحلات المقدسة داخل البلدة^(٢٤) .

قائد جيوش
النجف والkovفة

وفي أعقاب إذاعة المنصور في أعلى ، بدا للجيش الأنكليزي أن الحصار قد فعل فعله الذي كانوا يستدفونه في إنهاء أهالي النجف وتوارها من جراء الجوع والعطش ، وإضعاف قوتهم في المقاومة وقدرتهم على القتال ، فقرروا الهجوم على المدينة ، بدءاً بالاستيلاء على تل « المقلاب » ذي الموقع الاستراتيجي في الجهة الغربية بالقرب من محلية الحويش في المدينة فلم يمض فجر يوم ٧ نيسان سنة ١٩١٨ ، حتى أطروا التل بوايل من القتال والرصاص الكثيف حتى تمكنا من التل فاحتلوه وأخنو يتغلغلون في المدينة تحت من نيران مظلة مدافعيهم ثم شرعوا في هدم البيوت كما قرروا هدم السور في الجهة الغربية بتعصمه بالقنابل لارهاب التوار وإجبارهم على الاستسلام .

ويعد أن تبنى للجيش الأنكليزي الاستيلاء على أحياط المدينة المهمة وبيت علائهم لكي يتبعوا أخبار رجال الثورة وأماكن وجودهم ، بقصد القاء القبض عليهم ، وقد تمكنا من ذلك وتم تنفيذ حكم الاعدام بأحد عشر من أبطال الثورة ، في الكوفة في التاسع عشر من شعبان ١٣٣٦ هـ - (٣٠ أيار ١٩١٨ م) وهم ١ - كريم حاج سعد ٢ - أحمد حاج سعد ٣ - محسن الحاج سعد

لاقت حتفها برصاص الجنود الحرس ، عند محاولتها عبور السور ، سعياً وراء صفيحة من الماء العذب .

وقد جاء في عريضة الإحتجاج على الحصار التي وجهها عدد من كبار علماء النجف إلى القائد العام للجيوش البريطانية في العراق ، قوله :

« وأشد البلاء قطع الماء فإنه من العقوبات التي لا تُسْوغ في جميع الأديان البشرية ، فإن لم تكن رحمة للرجال فالرأفة على النساء والأطفال وقد أشرفت النفوس على التلف والهلاك من الجوع والعطش وتعطيل الأسباب . وهذه المعاملة ضريرة على جملة العالم الإسلامي ، جارحة لعواطف عامة المسلمين ... »^(٢٠) ولكن القائد العام لم يكتُر بإحتجاج العلماء ولم يعط بالألا إلى التواحي الإنسانية التي أشاروا إليها وبخلاف عن ذلك ، طلب إليهم أن يساعدوه في إزالة المقاوم بالثار ، قائلاً .

« في إستطاعة النجف الأشرف أن تخرج سالمة من مأزقها الحالي إذا خضعت للشروط التي سبقت وعرضناها ، ففي إمكان حضرات المجتهدين والعلماء الأعلام حكام النجف المسلمين ، لا بل الآخرى عليهم أن يطهروا بلدتهم من مفسديها . كما وعليهم مساعدتنا على إيقاع العقاب !!) باولئك الذين إفترقوا تلك الجريمة^(٢١) وعلى من حرضوا على إرتكابها ... »^(٢٢) .

لقد كان البرقية القائد العام ، أثرها السسي في نفوس المجندين بمختلف طبقاتهم وأستنكر العلماء فبادرت جماعة منهم إلى الرد التالي بتاريخ ٣٠ آذار ١٩١٨ .

« لحضور حضرة القائد العام للجيوش البريطانية في العراق تلقينا تلغرافكم نمره ٢٨٠ ٢٦ آذار ١٩١٨ وأخذنا ما فيه بنظر التدقيق ، تذكرون أنكم لم توقعوا العقاب بالأهالي الذين لم يخالفوا القانون ، ونحن نرفض بالصراحة ، أن البلاء والعقاب ما وقع ولن يقع إلا على الأبرياء والضعفاء الذين لا جنائية لهم ولا تقصير وقد نشرنا لعدتكم .. طالبين رفع الحصار والأسر عن الأبراء والضعفاء بأصدار العفو العام وعسى أن لا يكون خفي عليكم عجز العلماء وعامة الأهالي عما تقدّر عليه دوله معظمها كالدولة البريطانية التي وعدت بحفظ حرمات الإسلام ورميمه المسلمين ، كما أعلن القائد الفاتح مود في أوائل فتح بغداد ، وآكده الحاكم الملكي العام ، بحفظ توانيس معابدنا التي صارت منذ أكثر من عشرة أيام هدفاً لرصاص المترالبيوز ، وشون العلماء مهتوكة بهذا الحصار الشديد . وبالنهاية نقول بكل صراحة بداع النصيحة للدولة الفخيم أن هذا الحصار الذي أوجب تلف عدة من نفوس الأبرياء من الغربياء والمجاوريين كل يوم بالقتل والجوع والعطش ، كل هذا فضلاً عن مغاييرته للرأفة والعدالة ، ومخالف للنواويس الإنسانية وحفظ حقوق البشرية وموجب هتك الحرمات الإسلامية ، وهو ضد المصلحة المرعية لمثل هذه الدولة الوحيدة بالسياسة التي لا يعجزها مثل هذه المسألة الطفيفة . أما العلماء فلم يقصرو ولا يقترون بالقيام بوضيحتهم في الوعظ والنصح

٤ - سعيد مملوك الحاج سعد ٥ - كاظم صبي ٦ - محسن أبو
غذيم ٧ - عباس علي الرماحي ٨ - علوان علي الرماحي ٩ -
الحاج نجر البقال ١٠ - جوري ناجر ١١ - عبد الحاج دعبل ،
وأُلفي مائة وخمسة وعشرين شخصاً إلى الهند ، اثنان منهم
استلهموا الشيخ خزعل أمير عربستان .
وعلى أي حال بدأ الانكليز فك الحصار عن النجف منذ اليوم
الثاني عشر من نيسان ١٩١٨ فشرعوا بسمحون لبعض الأسر
والأشخاص بالخروج من المدينة بعد الحصول على رخصة منهم ،
وقد إستذكر أهالي النجف الطريقة التي إتبعتها الانكليز في التمييز

الهوامش

- ولسيد عباس الكليدار والسيد هادي الرفيعي النقيب والسيد مهدي
السيد سليمان ، راجع ، الوردي ، المصدر السابق ص ٢٢٤ ، وأورد
عبدالرزاق الحسني في « ثورة النجف » في الصفحة ٩٥ ، أسماء
الوفد مع بعض الاختلاف .
- (١) محمد رضا الشبيبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٧ ، وعلى
الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .
- (٢) حسن الأسدی « ثورة النجف » المصدر السابق ، ص ٢٦٧
راجع كذلك : الوردي ، « لمحات من تاريخ العراق الحديث » المصدر
السابق ص ٢٢٥
- (٣) الوردي « اللصمات » المصدر السابق ، ص ٢٢٥
- (٤) الدكتور محمود سامي جنبلاط ، « القانون الدولي العام »
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٣٨
ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ .
- (٥) علي الشرقي « الأحلام » المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .
- (٦) محمد رضا الشبيبي ، المصدر السابق ، ص ٢٩٨
- (٧) راجع نفس المريضه في : الوردي ، المصدر السابق ص ٢٣٤
- (٨) يقصد قتل الكابتن مارشال معاون الحاكم السياسي في
النجف .
- (٩) نفس برقية القائد العام في الوردي ، المصدر السابق
ص ٢٣٥ .
- (١٠) محمد رضا الشبيبي ، « ثورة النجف » المصدر السابق ،
ص ٣٠٢ .
- (١١) الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
- نادر شاه ، طهomas ، الموصى مناطق المبور الموصل ١١٥٦ هـ ،
م ١٧٤٣

- (١) حسن الأسدی ، « ثورة النجف » دار الحرية للطباعة - بغداد
١٩٧٥ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ راجع كذلك ، الدكتور علي الوردي ،
« لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث » مطبعة الأدباء -
بغداد ، ١٩٧٨ ، المجلد ٣ ص ٢١١
- (٢) عبدالرزاق الحسني ، « ثورة النجف » دار الكتب - بيروت
١٩٧٨ ، ص ٢١ .
- (٣) Wilson, Loyalties London, 1838, Vol. 2 P. 78
- (٤) المس بيل « فصول من تاريخ العراق القديم » ترجمة ، جعفر
الخياط ، دار الكتب - بيروت ، ١٩٧١ ، ص ١٢٢ .
- (٥) الوردي ، المصدر السابق ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .
- (٦) ولسن المصدر السابق ، م ٢ ص ٧٤ P. 74
- (٧) حسن الأسدی ، « ثورة النجف » المصدر السابق ، ص ٥ ثم
ص ١٦٦ ، ١٦٧ .
- (٨) هاجرت عائلته إلى النجف من الدليم
- (٩) الوردي ، « لمحات من تاريخ العراق الحديث » المصدر السابق
ص ٢٢٠
- (١٠) علي الشرقي « موسوعة الشيخ علي الشرقي البتيري -
الأحلام » القسم الرابع ، مطبعة العمال - ١٩٩١ ، ص ٣٢٠
- (١١) محمد رضا الشبيبي ، (ثورة النجف) مجلة الثقافة
الجديدة - عدد خاص تموز ١٩٦٩ - ١٩٧٠ .
- (١٢) محمد رضا الشبيبي ، « ثورة النجف » المصدر السابق ،
ص ٢٩٥ ، ٢٩٦ .
- (١٣) هم الشيخ محمد الحسني كاشف الغطاء والشيخ محمد جواد
الجوادري والشيخ جعفر الشيخ راضي ، والشيخ محمود أملا الهندي ،

الفداء أيام المحن والحسار في التراث العربي

بقلم :

الباحث د. عماد محمد ذياب الحفيظ

عضو اتحاد المؤرخين العرب

والباحث عادل محمد علي الشيخ حسين

عضو اتحاد المؤرخين العرب

المقدمة :

على البقاء والحياة هي الحبوب والتمور وحيواناتهم المستدامة لضمان معيشتهم .

فالفداء يعتبر من اهم الاحتياجات في استمرارية الحياة الذي يأتي بعد الهواء والماء وهو حق اساس من حقوق الانسان ، وان عدم توفره يؤدي الى المجاعات وعدم الاستقرار بكافة انواعه الاجتماعي والسياسي والاقتصادي^(١) . ولذلك ظل العرب معروفيهم بكونهم شعب حضارة ورقي على اختلاف المراحل الزمنية التي مروا بها ابتداء من انسان ما قبل التاريخ حيث بدأية الاستيطان وتتجهين الحيوانات وتأسيس القرى الزراعية ووصولاً الى قيام حضارات عريقة بدأت من الحقبة السومورية فالبابلية فالاشورية وانتهاء بالحقبة العباسية حيث كانت اكبر امبراطورية عربية اسلامية عرفها التاريخ وعاصمتها بغداد .

تطرقنا في بحثنا هذا الى الفداء ودوره أيام المحن والحسار في التراث العربي ، وذلك بما توفر من مصادر ومراجع قديمة وما تيسر لنا من معلومات ، خاصة وان هذا الموضوع يكاد ان نقول اذ لم يكتب عنه الا النذر اليسير ومن الله التوفيق .

الفداء وحضارات العرب القديمة .

لم تسعفنا المصادر في التعرف على الفداء الشائع لدى سكان بلاد الرافينين ووادي النيل واتمامط الطعام السائد لدى شعوب المنطقة خلال الحقب السومورية والبابلية والاشورية والمصرية . وانما المؤكد ان مصادر الفداء في تلك الفترة كانت نباتية وحيوانية فلقد عرفوا انواع مختلفة من الحبوب كالقمح والشعير والذرة والبقوليات فضلاً عن معرفتهم بصنع الخبز من هذه الحبوب فذاعت شهرة العراتين في معرفتهم يذلون

ان النظرة الفاحصة في التراث العربي هي عملية للانتقام والابداع حصلتها عملية نسوج مفاهيم علمية ما زال البعض لا يجهل عنها الكثير ، ومن اهم هذه المفاهيم التي أدت الى نشوء حضارات ما زال التاريخ الانساني يدخل بمفاهيم نموها وتطورها فهو الفداء وكيفية تأميمه وتوفيه لتلك الشعوب . وخاصة خلال الحضارات التي سادت في الوطن العربي الا وهي حضارة وادي الرافينين وحضارة وادي النيل .

لقد كان الفداء هو المنصر الاساس في بناء الحضارة وتوفير حياة شعب - يجب ان تتوفر مصادر الفداء الرئيسية وينبعها بالنباتي والحيواني^(٢) .

ولذلك نجد ان الحسar الفداء ومصادره كان هو السبب الرئيسي في هجرة القبائل العربية قبلآلاف السنين والذي كان سببه حصول التغيير الكبير في طبيعة بلاد العرب وعلى وجه التحديد الجزيرة العربية . وهذا التغير هو السبب الأول والرئيسي في هجرة هذه الاقوام وانتشارها في ارض المعمورة ، وان ما حصل على اطراف هذه الارض وتصحرها كان له الدور الكبير في ذلك .

ان المؤرخين لا يذكرون اثر التدهور الاقليمي من الخصب الى الجفاف في هذا التحول الخطير . وهذا ما أكدته موسكاتي^(٣) فقد قال : لو تتبعنا تاريخ الموجات البشرية التي انتقلت في هجرات تاريخية معروفة ببيتين نحو ما نسميه الان بالشرق العربي لوجدنا ان هذه الهجرات كانت دائمة وأبداً تنطلق من شبه الجزيرة العربية .

وكانت للعرب اثناء هجراتهم هذه افضل وسيلة من الحفاظ

العرب لمدة أربعة عشر عام وبأساليب عملي شامل ادى الى الحفاظ على حياة الشعب خلال سنتين المحن والجذب العجاف . اي يمكن القول ان يوسف (ع) يمكن ان تعتبره المخطط الأول للامن الغذائي في تاريخ البشرية ، وقد حفظنا القرآن الكريم هذه القصة ذات الحكم والعلم كي يتعلم منها العرب والمسلمين ما يمكن ان يهيءه ل أيام القحط والمحصار

والتي يمكن ان تلخصها ببنقتين :

- ١ - زيادة الانتاج الزراعي تحقيقاً للاكتفاء الذاتي .
- ٢ - توفير خزين استراتيجي يضمن استمرار الاستقرار والنفو الحضاري .

ان أهمية الغذاء وسبل توفيره أيام المحن والمحصار ظل متواتراً عبر الأجيال في بلاد العرب وقد تجسد ذلك من خلال كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية والذي تحدث فيه عن أنواع الغذاء وسبل توفيرها والحفظ عليها عند ترجمته لكتاب بيته قديم مكتوب بالنبطية عن غذاء أهل بابل وكيف اعتنوا الزرع والضرع غذاء وسواه على اختلاف مراحل التطور وظروف الدلوان والمحصار .

اي ان هذه المعرفة تناقلها العرب عبر اجيالهم حفظاً عن ظهر قلب او مكتوبة وتناقلوها مشافهة خلال مراحل النفو العربي وحتى في المرحلة التي سبقت ظهور الاسلام والتي سميت من قبل البعض بالفترة الجاهلية .

الغذاء والحقيقة العربية الاسلامية .

بعد نزول القرآن الكريم الذي اشار الى العديد من انواع الغذاء من لحوم الماشية والاسماك والحبوب والخضروات والفاكهة والتي جاء ذكرها في العديد من السور والآيات القرآنية الكريمة فنجد ذكر العديد من الاشارات التي تتحدث عن طيبات ما رزقناكم) اي الغذاء الجيد النافع والمفيد لصحة الانسان ونموه من اصناف اللحوم والمزروعات وعمل النحل الذي فيه شفاء للناس . كما حرم الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه السيء من الطعام كالسمينة والدم ولحم الخنزير والمربيضة والنمطية وغير ذلك من سيء الغذاء الذي قد يضر بالانسان ويؤثر على صحته سلباً .

في هذه الفترة من الزمن والاسلام ما زال في مرحلة نشوء الاولى نجد ان محمد (صلعم) واهله واصحاحه يتعرضون لمراحل جديدة من مراحل المحصار في التاريخ العربي الا وهو حصار المسلمين في شعب أبي طالب ، والذي حدث على اثر اتفاق كفار

قریش على صحة حقيقة المحصار والتي جاء فيها :

« ان لا يجالسونهم ، ولا يخالطوهم ، ولا يبايعوهم ، وفي رواية لا يبايعونهم ولا يتعاونون منهم ، ولا يدخلوا بيوتهم ، وان لا يقبلوا من بني هاشم ابداً صلحًا ، ولا تأخذهم بهم رأفة ولا رحمة ولا هوانة حتى يستلموا رسول الله محمد (صلعم) للقتل ، والا ينأكلوهم

ولا ينكحوا اليهم ، ولا يدخلوا بيوتهم »^(١)

ولقد اتخذ المشركون عدة اجراءات لانجاح حصارهم على

الزراعة وتربية المحاصيل الزراعية وتحسينها ، فنجد هيرونوتيس (مؤرخ اغريقى عاش في القرن الخامس قبل الميلاد) يتحدث عن عظمة المحاصيل الزراعية في بلاد الرافينين وغزاره انتاجها وبديع منتجاتها . ولقد عرف سكان بلاد الرافينين ايضاً الفاكهة والخضروات فكانوا يأكلون الرمان ويكترون من أكله معتقدين ان الرمان يزيد من كمية الدم في جسم الانسان . كما كانوا يقدسون النخلة وعندما شجرة الحياة لأن منها مسكنهم وما كلهم وملبسهم ، فبلغ مجموع منتجات النخلة أيام البابليين ٣٦٥ فاصلة اي ان فوائدها بعدد أيام السنة . لذلك نجد ان لها عيداً في أيام البابليين والذي كان يعرف بعيد قطاف التمر^(٤) ، كما واعتبروا النخلة هو الخزين الاستراتيجي لغذاء المجتمع وقد ترك ابن بابل اخباراً منقوشاً عن تمرين الاعداء لبساتين تحليل بابل عند الحروب والمحصار . ويتبين ذلك من خلال النقش الآثارى التي تصوّر جنود الاعداء وهو يقطعون اشجار التحليل المثمرة بواسطة الفرس . ولاغرة اذا عرفنا ان البابليين تمكنوا من صناعة الخبز من لب التحليل (الجقار) أيام المحن والمحصار تمويضاً لمادة الخبز التي تصنع من الحبوب والتي ينحصر انتاجها أيام العذاب والمحصار^(٥) .

اما عن اساليب اهل الرافينين في تحضير الطعام والغذاء وهل كانوا يتبعون طرقاً صحيحة وصحية في تحضير الغذاء وحفظه فهذا مالم يمكن معرفته من خلال المصادر المتوفرة لدينا ، باستثناء قصة يوسف (ع) التي ذكرها القرآن الكريم والتي جرت احداثها أيام حكم فراونة مصر اي قبل عدة قرون من ميلاد نبى الله عيسى المسيح (ع) . فلقد اوتى يوسف (ع) العقل والحكمة قبل النبوة فقد اجتباه ربه وعلمه من تأويل الاحاديث^(٦) ، « ولما بلغ اشته اتيناه حكماً وعلمماً وكذلك نجزي المحسنين »^(٧) « يوسف ايتها الصنف افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سبلات خضر وأخر يابسات »^(٨) فجاء قوله تعالى على لسان يوسف :

« قال تزعنون سبع سنين دأباً فما حصدتم فثروه في سبله الا قليلاً مما تأكلون ، ثم يأتي بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلاً مما تحصون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يفات الناس وفيه يعصرون »^(٩) .

فاجاب النبي يوسف (ع) في تفسير الرؤيا ، بأن السبع بقرات السمان والسبع سبلات الخضر هي سبع سنين من الخصب والذماء وخير وفيه . اما البقرات العجاف والسبلات اليابسات فهي سبع سنين من الجدب والتحطط تم يتلوكها عام ينزل فيها المطر الغزير وينبت الزرع وتصفر فيها الاعناب والزيتون فيكثر الغذاء والزيت وينمو الضرع ليزيد عظام الحليب^(١٠) .

ولذلك اشار يوسف (ع) على حاكم مصر ان يجمع مصادر الغذاء من الحبوب لزيادة انتاجها خلال سنتين الذماء بالإضافة الى اشارته ببناء الاهوار والمخازن لخزن الحبوب بستبله والطعام ليكون الحب غذاء الناس والقطش والتبين غذاء الحيوان فضلاً عن خزن الحبوب في سبله سيعيقه من الفساد والتلف والتتسوس وقد اثبت العلم ان هذا الاسلوب في خزن الحبوب هو كفيل في حفظها من الاصابات بالاعغان والسوس وغيرها من حشرات الحبوب . وبذلك تمكن يوسف (ع) من وضع خطة استراتيجية لتأمين الغذاء لشعب مصر وماجاورها من بلاد

وهكذا تمكن المهاجرين والأنصار من مواجهة حصار الكفار بالتكافل حيث تقاسموا المسكن وإنماكنل وأغان غنائم فقيرهم فكان الفتح .

وفي حقب الحكم العربي الإسلامي اللاحقة نجد ان العديد من مؤلفات العرب أيام الدولة العربية الإسلامية تحدثت عن أهمية الغذاء . ومن اول هؤلاء الذين تحدثوا في هذا المجال الحorth بن كلدة التقى ايام الرسول محمد (صلعم) وغيرة كثيرون نذكر هنا اهم من برع منهم ومؤلفاتهم التي كتبوها في مجال الغذاء والتغذية وصحة الإنسان والذين عاشوا خلال القرون الخمسة الأولى من التاريخ الهجري ، اي منذ حوالي ألف عام :

- ١ - جبرائيل بن بختيشوع وله رسالة الى المامون في المطعم والمشرب .
- ٢ - سابور بن سهل وله كتاب قوى الأطعمة ومضارها ومتناعها .
- ٣ - يوحنا بن ماسويه وله كتاب في الأغذية وكتاب دفع مضار الأغذية .
- ٤ - حنين بن اسحق وله كتاب في طبائع الأغذية وتدبير الابدان .
- ٥ - عيسى بن ماسة وله كتاب قوى الأغذية .
- ٦ - يعقوب بن اسحق الكلبي وله رسالة في تدبیر الأطعمة .
- ٧ - ابن رين الطبری وله كتاب منافع الأطعمة والأشرية والمقايير .
- ٨ - ابو بكر الرازی وله كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها .
- ٩ - ابو الحجاج يوسف وله رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكتينة .
- ١٠ - سدید الدین بن رقيقة وله كتاب الغرض المطلوب في تدبیر الماكول والمشروب .

هؤلاء العلماء العرب هم بعض من كتب في أهمية الغذاء وغيرهم كثيرون أغنوا المكتبة العربية والانسانية بمؤلفاتهم ، وبذلك اثبتت العرب انهم اول من وضع اسس الغذاء والتغذية الصحيحة ودورها في حفظ صحة الإنسان في مختلف الظروف سواء كانت أوقات رحاء او محن وحصار .

و بذلك يكون العرب هم اول من اعتمد اسلوب التخطيط الاستراتيجي في مواجهة العيون والمحصار ، واول شعب استخدم اسلوب التكافل الاجتماعي ايام المحن والمحصار فاصبح له المجد والنصر المبين عبر المراحل التاريخية المتعاقبة .

محمد (صلعم) وقومه والتي تمثلت بالاعتداء على من اسلم ، وضروهم في كل طريق وقطعوا عليهم الأسواق والغذاء ، فكانوا لا يتركون طماماً او ببعاً الا بادروا اليه فيشترون الغلة وينمونبني هاشم عنها ، ولم يدعوا احداً يدخل على شعب ابي طالب ، ولم يصل الى محمد (صلعم) وقومه شيئاً من الغذاء الا سراً او مستخفياً وسمعت اصوات صبية يبني هاشم من وراء الشعب يتضاغون من الجوع وقد استمر هذا الحصار ثلاث سنوات الا انه باه بالفشل بفعل تكافل القوم وتعاونهم وتعاونهم وصبرهم حتى جاءهم النصر من عند الله .

ولعل افضل غذاء تناوله محمد (صلعم) وقومه في هذا الصحار التمر لما كان له من منزلة كبيرة ، فقد قال رسول الله (صلعم) : كلوا البلح بالتمر : فإن الشيطان إذا نظر إلى ابن آدم يأكل البلح بالتمر يقول : يقي ابن آدم حتى اكل الحديث بالعقل(١٢) .

وللحديث النبوى الشريف هذا دلالة واضحة عن أهمية التمر كغذاء في الحفاظ على بني آدم واستمرار بقائهم من خلال ما يتحققه التمر من غذاء على مدار السنة .

وكان صحابة رسول الله (صلعم) ايام المحن يأتي كل واحد من اصحاب التخييل يقتلو (أي عنق) عند جذانه ثم يعلقه على باب المسجد يأكل منه من يشاء(١٣) . وهذه ممارسة تبين اهتمام العرب المسلمين في القضاء على آية فجوة غذائية في المجتمع وهو ما يعرف اليوم بالتكافل الاجتماعي لحماية المجتمع من أخطر آفة عرفتها البشرية وهي آفة الجوع والمجاعة ..

كما واوجز ابن قيم الجوزية أهمية تخلة التمر في توفير الغذاء وانها بمنزلة محاصيل الحبوب في أهميتها عند العرب فقال(١٤) وهو من افضل الأغذية في البلاد الباردة والحرارة واما اهل المدينة فالتمر لهم يكون بمنزلة الحنطة لغيرهم ، وهو فوتهم وما دادتهم ، وقال الطاطني وربما قطعت الذخيلة فاكل جمارها ، او انهم يصنعون منه انواع مختلفة من الماكولات والخبز ، فقيل : وربما جتوا الجذع بعد ما يجد الجمار فيشقق ثم يضرب جوفه فيتدفق كهيئة الدقيق ، فانا أستن الناس صنعوا منه عصيدة او خبزاً ، ويسمى النبعة(١٥) .

وان دل ذلك على شيء فانما يدل على عقدار المعرفة التي توصل اليها العرب في تأمين غذائهم ايام المحن والمحصار وفي تطوير المحاصيل الزراعية كبدائل للحبوب في صناعة الخبز ، والذي يعتبر من الركائز الأساسية في استراتيجية الأمن الغذائي في وقتنا الحاضر .

الهوامش والمصادر

- ٨ - نفس المصدر، الآية ٤٦ .
- ٩ - نفس المصدر، الآيات ٤٧-٤٩ .
- ١٠ - ابن كثير ١٩٣٣ . البداية والنهاية . ج ١-٢ ، ص ٢١٠ .
- ١١ - ابن كثير ١٩٧٨ . السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد . دار الفكر ، بيروت .
- ١٢ - ابن قيم الجوزية ١٩٨٥ . الطبع النبوي ، تعليق وتحقيق عبد الفتاح عبد الخالق . دار العلوم الحديثة ، بيروت ، ص ٢٢١ .
- ١٣ - السباعي ، مصطفى ١٩٥٩ . الزراعة في مصر الإسلامية . وزارة الزراعة ، القاهرة ، ص ٤٦ .
- ١٤ - ابن قيم الجوزية ص ٧٦-٧٧ .
- ١٥ - أبو حاتم السجستاني ١٩٨٥ . كتاب النخلة ، تحقيق حاتم الصامن . مجلة المورد ، مجلد ١٤ عدد ٣ من ١٦٧ .
- ١- الحديث ، عماد محمد دياب وحسين السعدي ١٩٩٣ . الهيئة والفتاء في ظل العذوان والحضار على العراق . دار الشؤون الثقافية ، بغداد .
- ٢- Moscati , S. 1965. Histoire Des Peuples Semitiques . Paris , P. 32-330
- ٣- التكريتي ، هيلان حمادي ١٩٨٧ . الأمن الغذائي وعلاقته بانتاج وتصنيع وتجارة القداء . مجلة الأجيال ، العدد ١٢ .
- ٤- Dowsor , V. H. W. 1921. Dates And Date Cultivation Of The Irag . Cambridge P.63.
- ٥- الحديث ، عماد محمد دياب ١٩٨٩ . نكبة التمر في التراث العربي . مركز احياء التراث العلمي العربي ، جامعة بغداد .
- ٦- القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية ٢١ .
- ٧ - نفس المصدر ، الآية ٢٢ .



مركز تطوير علوم زراعي



مختصر عن حل
الشؤون الثقافية
العامة

صور من مقاومة العراقيين لقوى الاحتلال البريطاني في الحرب العالمية الأولى

ترجمة وتقديم : كاظم سعد الدين

مجلة التراث الشعبي - بغداد

تقديم

[تكشف هذه الوثائق التي ترجمناها من مجموعة ملحق قوانين مناطق العراق المحتلة [الاديقام من ١٦ - ٦ من عام ١٩١٥ حتى ١٩١٨ التي اصدرتها باللغة الانكليزية قوا .. الاحتلال البريطاني وطبعتها في البصرة وبوبني في الاعوام ١٩١٧، ١٩١٨، ١٩١٩] ، تكشف صوراً كثيرة من مقاومة العراقيين ومجابهتهم لقوى الغزو البريطاني في اثناء الحرب العالمية الاولى على الرغم من احكام الاعدام التي اصدرتها على ابناء الشعب العراقي ونفتها في قادتهم شنقاً ورمياً بالرصاص ونفيها الى خارج البلاد .

ان العراق كله من شرق كتيبة عند ملتقى جدول الصقلاوية بنهر الفرات وجنوب العاشق على بعد خمسة أميال شمال نهر دجلة في سامراء يكون تحت الاحتلال الفعلي لقوى بريطانيا العظمى المسلحة ، وان سلطة الحكومة التركية في تلك المنطقة يتوقف سريان مفعولها وقد حل محلها سلطة القائد العام لجيش الاحتلال .

ان سياسة قائد الجيش ورغباته أصبحت معروفة لدى شعب العراق في الانظمة والبلاغات والبيانات الصادرة عنه او سلطته بين حين وآخر . وقد بلغ علم قائد الجيش انه ما زال بين ابناء شعب العراق وبخاصة اهل ولاية بغداد شيء من الجهل وسوء الفهم في ما يتعلق ببعض القضايا التي لا تقل اهمية في صالحهم من ذلك الذي [يجدونه] في جيش الاحتلال .

لذا فليكن معلوماً لدى كل من يهمه الامر : اولاً : ان سكان البلاد المسلمين لهم مطلق الحرية في ممارسة اعمالهم الاعتبادية بقدر انسجامها مع رغبات جيش الاحتلال والمطلوب منهم فعل العمل بذلك . وبناء على المعاملة الممنوعة لهم التي تراعي مشاعرهم فإنه يتوقع منهم مقابل ذلك تقديم فروض الطاعة للموظفين البريطانيين ، وعدم الاشتراك في الاعمال العدائية والاحجاج عن جميع الافعال التي تهد ضارة بسلامة جيش الاحتلال ويعملياته .

نجد في هذه الوثائق ان حكم الاعدام يحال اي شخص يقوم باختفاء الحيوانات والمركبات والمؤونة والوقود وغير ذلك ، والتقاط الصور الفوتوغرافية وتدمير او طمس او تغيير البلاغات والاعلانات واللافتات الصادرة عن سلطات الاحتلال وحتى تقديم الشكاوى ضد الجندي كما يطال الحكم كل ما يهدى إشاعة او تقريراً من طبيعته إثارة الامن العام .

وسنجد أن هذه الوثائق تستعمل كلمة « أجازة » ومعلوم ان منع الاجازات ، مهما كان نوعها ، كان يعطى الى علماً القوات البريطانية وكانت تعرف بـ « الياسات » ، كانت تمنع الى الجواسيس والمتعاونين مع قوات الاحتلال كي تستطيع هذه القوات الفارسية ارباك صفوف القوات الوطنية والسيطرة على المناطق المحتلة وضمان وصول المواد الغذائية وغيرها الى قواتها . وهذه الاجازات ليست من قبل تنظيم التجارة اطلاقاً ولا المحافظة على ثروات البلاد بل السعي الى حيازتها وسرقتها بهذه التزيمة كما نرى في البلاغ المسمى باسم الحفاظ على الآثار وهو في حقيقته سرقة آثار العراق واعتبار جميع الآثار والنصب القديمة وغيرها من العادات المتنقلة وغير المتنقلة او التي ستكتشف فيما بعد ملكاً لادارة المناطق المحتلة .

ثانياً : ان جميع الاعمال الاجرامية او الناجمة عن الاعمال المبيأة في ادناه تشكل جرائم ضد القائد العام لجيش الاحتلال ويعاقب عليها عنده ادانة مرتکبها من محكمة خاصة بعقوبة الاعدام او عقوبة اقل كما ترى محكمة التجريم او قائد الجيش اينما ومتى ما اقترفت تلك الاعمال حتى ولو كان الاشخاص ابراء من اي قصد شرير ، وانقاداً له من الموت او المقاضاة نتيجة افعال طائفة جاء الغرض من اعادة هذا البيان في شكل مناسب للجرائم التي تعد عدائية في حق جيش الاحتلال وهي :

(١) حمل السلاح او حيازة السلاح او العتاد .

(٢) قرب قطعات الجيش داخل اي منطقة حيث تجري عمليات عسكرية إلا باجازة تحريمية من ضابط برتبة عميد او رتبة اعلى ، او اي ضابط لا يقل رتبة عن رائد في أمرته رتل .

(ب) في اي ظروف تدعو الى الشك وسوء الفهم .

(ج) في مدن وقسبات ولائية بغداد التي تحت الاحتلال البريطاني .

(د) في مدن وقسبات ولالية البصرة التي تحت الاحتلال البريطاني إلا باجازة تحريمية من أمر اداري او أمر قاعدة او في الفاصرية من القائد العام .

(٢) اعطاء او حمل معلومات مهما كان نوعها الى العدو أو حمل وسائل بين العدو واشخاص يسكنون في المنطقة المحظلة .

(٣) تعمير المواد العسكرية او السكك الحديد او التلغراف او وسائل المواصلات الأخرى باي طريقة كانت .

(٤) مساعدة اسرى العرب على الهروب او الاتصال بهم .

(٥) التآمر ضد جيش الاحتلال او اي عضو فيه او ضد الحكومة البريطانية .

(٦) تضليل قطعات الجيش عن عمد عند الاشتباك أذلاء او مترجمين .

(٧) مساعدة العدو لتسهيل عملياته بالعمل أذلاء او بتقديم المأوى .

(٨) اغراء او السعي لاغراء اي عضو من جيش الاحتلال لاعطاء معلومات ذات فائدة للعدو .

(٩) اغراء او السعي لاغراء او مساعدة اعضاء جيش الاحتلال للهروب او الاستسلام الحصول عليها

(١٠) ارشاء او السعي لارشاء او تقديم اي اغراء الى اعضاء جيش الاحتلال للقيام بعمل من الاعمال او الامتناع عن القيام به .

(١١) تدمير او طمس او تغيير البلاغات والاعلانات الصادرة عن السلطة المختصة وتدمير اللافقات وغيرها التي تتصبها السلطات البريطانية .

(١٢) تلویث مخزون المياه او التدخل فيه باي شكل من الاشكال .

(١٣) اخفاء اسلحة العرب والحيوانات والمركبات والمأوى والوقود ، الخ .

(١٤) مساعدة تقدم او تراجع قوات العدو عن علم .

(١٥) نشر الاعلانات والبلاغات ، الخ ... لمصلحة العدو .

(١٦) التسبب او المحاولة في التسبب في الفوضى والاغراق عن عمد .

(١٧) تدمير او إجهاص ، عن عمد الوسائل التهوية من اي نوع كانت .

(١٨) تدمير ممتلكات الآخرين عن عمد .

(١٩) حيازة اي ممتلكات حكومية مهما كانت كالمخازن والأسلحة والملابس والتجهيزات (المعدات) باي طريقة وفي اي وقت يجري

الحصول عليها .

(٢٠) النهب والسلب بالقوة ، تدنيس الموتى او القبور .

(٢١) انتهاك اي اجراءات لاي تعليمات او بلاغات او بيانات او اعلانات او اوامر السلطة المختصة التي تفرض بين حين وحين في اي منطقة خاصة او عامة وما يأتي جرائم ايضاً يعاقب عليها عقوبات اعتيادية عند الادانة بالحبس او باي عقوبة اقل .

(٢٢) عدم اطفاء او اظهار الانوار كما تفرض اوامر السلطة المختصة من وقت لآخر .

(٢٣) عدم استحصال جوازات كما هو مذروض او تقديم تقرير في الوقت والمكان المفروضين او بدون رخصة تحريمية لمقدرة اي منطقة تفرض الاقامة فيها .

(٢٤) بيع اي سلعة باسعار تزيد عن الاسعار المفروضة من السلطة المختصة بين حين وحين .

(٢٥) تقديم المشروبات الكحولية للجندي .

(٢٦) طمس او محاولة طمس تعليمات الرقاقة .

(٢٧) تقديم شكاوى مبالغ فيها او كاذبة ضد الجندي .

(٢٨) تقديم ادعاءات مبالغ فيها او كاذبة بخصوص تمويلات عن اضرار حاصلة .

ملاحظة (١) :

يطبق هذا البلاغ ويكون نافذ المفعول في جميع اتجاه المنطقة المحظلة دون استثناء وبعد ساري المفعول من تاريخ نشره .
وسوف يتم تنفيذه الى اي منطقة تدخل فيما بعد تحت نفوذ الاحتلال القوات المسلحة البريطانية العظمى في العراق .

ملاحظة (٢) :

سوف تجري محاكمة الجرائم المذكورة آنذاً في المقام الاول فيمحاكم عسكرية ومن قبل حكام عسكريين ونواب حكام عسكريين وجميع الضباط المخولين تخيولاً عاماً او خاصاً سلطات حكام عسكريين ونواب حكام عسكريين ولكن اذا كان اي عمل اجرامي او ناجم عن الاعمال مندرج في الخلاصة الالتفافية الذي على انه جريمة ضد سلطة القائد العام لجيش الاحتلال فإنه يعد جريمة منافية للقانون الجنائي الاعتيادي المتعلق في بعض اقسام المنطقة المحظلة بتعليمات قائد الجيش او غيره ، فإنه سيكون ضمن اختصاص المحاكم الجنائية الاعتيادية المشكلة لمنطقة مثل هذه التعليمات التي لها صلاحية النظر بذلك واجراء محاكمة مثل هذه الجرائم ان لم يكن اعتراض عسكري على عملها ذلك .

مذكرة في الاول من ايلول ١٩١٧

بلاغ من قائد الجيش

(عن التقاط الصور)

تقتضي الضرورة للمصالح العسكرية لجيش الاحتلال البريطاني في العراق الى وضع القيود على التقاط الصور الفوتوغرافية ضمن حدود المناطق المحظلة من قبل اشخاص غير مجازين بـ

ترويج الاشاعات بلاغ من قائد الجيش

أني الفريق وليم وين مارشال ، كي سي بي ، بناء على السلطة المخولة في قائد أعلى لقوات صاحب الجلالة البريطاني في العراق أعلن بهذا ما يأتي :

كل من يروج أو ينشر أي بيان أو إشاعة أو تقرير من طبيعته اثارة الامن العام أو يؤدي إلى خوف أو فزع الجمهور فإنه يعاقب عند ادانته بالموت أو أي عقوبة أقل إذا ارتكب محكمة قائد الجيش ذلك .
تنطبق أحكام المادة (١) والمادة (٢) من البلاغ المرقم (١٢) في الأول من أيلول ١٩١٧ على هذه الجريمة .

كتب ببغداد في ٢٥ نيسان ١٩١٨

الفريق د . و . مارشال
القائد العام لجيش الاحتلال



مركز تحقيق تكميم للعلوم العسكرية

لذا فاني الفريق سير ستانلي مود ، كي . سي . بي ، سي . أم ، جي ،
دي . اس . او ، بناء على السلطة المخولة لي قائدًا عاماً لجيش الاحتلال
في العراق ، أعلن بهذا لاعلام كل من يهمه الامر ما يأتي :

١ - ان التقاط الصور الفوتوغرافية من أي نوع كانت مهما كانت ، عدا الخاصة للشروط أدناه ضمن حدود المناطق المحظلة ، من قبل اي شخص ليس عضواً في جيش الاحتلال البريطاني ، يشكل جريمة ضد سلطة الحكومة العسكرية البريطانية ويمنع .

٢ - ان اي شخص ليس عضواً في جيش الاحتلال يلتقط صوراً فوتوغرافية
مهما كان نوعها او صنفها وفق شروط ضمن حدود المناطق المحظلة ، عند ادانته أمام محكمة الحاكم العسكري او اي محكمة عسكرية تعقد يامر سلطة مختصة يكون عرضة لعقوبة الموت او اي عقوبة أقل كالحبس او الغرامة كما تراه مثل هذه المحكمة مناسباً .

بشرط ان :
لا شيء مذكوراً آنفاً يطبق على التقاط الصور الشخصية ضمن حدود مبانיהם او مكان عملهم الاعتيادي من قبل مصوري فوتوغرافيين محترفين محازين بهذا الشخص من الاركان العامة وفرع الاستخبارات ، في المقر العام ، بغداد .

مؤرخ ببغداد في ١٢ أيلول ١٩١٧

• • •

حصار المشركين لأهل الإيمان

بين الأمس واليوم

بقلم د. محيي هلال السرحان

كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد

موقف المشركين من أهل الإيمان

وعاند بعض الناس؛ لأنه رأى أن في الدعوة الجديدة تسفير الأحلام القوم ، وباطلاً لعقائدهم ، وقضاءاً على مركبة الاجتماعية والدين ، ونفوذهم القبلي ، وضياعاً لمصالح الاقتصادية ... فنناصب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم العداء الشديد ، منذ بعنته ، وسعى إلى إبطال دعوته ، وصَّ الناس عنها ، بمختلف الحجج والاعتراضات ...

ولكن الناس حين استمعوا إلى آيات القرآن وقوتها ببيانها ، ودَّ أهل الفصاحة والبيان ، تحيروا في أمرها وفي أمر أصحابها ، فما يقولون لمن يريدون أن يصدوه عنها ويصرفوه عن اتباع هذا النبي أيقولون : إنه مجنون ؟ وكلامه في غاية الاستقاماتة ؟

أم يقولون : إنه شاعر ؟ وهم أهل البيان ؟ !

ووُجدوا أن خيراً ما يصدون به الناس أن يقولوا : إنه سَاء كذاب ! (١) وعجبوا أن جاءهم متذر منهم وقال الكافرون هذا سَاء كذاب (٢) ولكن كثيراً من الناس ما لبتو أن وزنوا هذا القول وتبينوه ، وعرفوا أنه ليس سحراً ولا كذباً بل عرفوا أنه الحق ورِّيهم ، فآمن به كثير منهم .

فلم يجد المتجبرون المعاندون بعد أن استنددوا كل سبلهم ذِّ القول إلا أن يعمدو إلى القوة ، فبدأ كثير منهم بمعاملة المؤمنين بالشدة والقسوة ، والتضييق عليهم ، وحرمانهم ، وتعدى الأمر المتعذيبهم جسدياً ، ولا سيما إذا كان هؤلاء المؤمنون اتباعاً عبيداً ، فاذاقوهم صنوف الآذى ، بتقييد بعضهم ، ووضعه في الرمال الحارة تحت وهج الشمس المحرقة ، ووضع الصخور على

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله ، والصلوة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آل وصحبه ، ومن سار على هدائه .
اما بعد :

فحين شاعت حكمة الله سبحانه وتعالى بأن يختتم رسالته السماوية ، برسالة خاتم رسله الكرام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة واتم السلام ، فأنزل عليه قرآن العزيز ، بدأ الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى هذا الدين القويم سراً ، فخص بها أقاربه وأصدقائه والمقربين إليه ...

ولما اقتضت حكمته سبحانه وتعالى بأن يجهز الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة واتم التسليم ، بتلك الدعوة : يقوله تعالى (فاصدِّع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين) إنما كفيناك المستهزئين (٣) سارع صلى الله عليه وسلم إلى تنفيذ الأمر ، فعم بدعوته الناس ولم يخص .

ولما كان الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برسالته مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل (يا أهلاً الذين أوتوا الكتاب أمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم) (٤) ويدعو إلى الخير والفضيلة ، تنبه كثير من الناس إلى ماهم فيه من الابتعاد عن التوحيد الذي هو دين النظرية التي فطروا عليها ، ووقعهم في الضلال والشرك الذي حاربته الأديان كلها ، فانصت كثير منهم إلى دعوته صلى الله عليه وسلم ، وما تحتوي عليه من الهدية والرشاد ، وما يتطلب تنفيذ ذلك من تغيير مناهج الحياة وسبلها في العبادة ، والمعاملة ، والكسب ، والحكم ، والعادات الاجتماعية والآدلة والسلطنة ...

فاسرع كثير منهم إلى الإيمان بهذه الدعوة : لأنهم رأوا فيها نجاحهم في الدنيا ، وفلاحهم في الآخرة .

بعضهم ..

وشاهد ذلك كثيرة لا نطيل فيها الكلام^(١)

وتطور الأمر إلى قتل بعضهم بصنوف القتل البشعة ، كالذى
عولم به آل ياسر^(٢) وهاجر بعض المسلمين إلى الحبشة^(٣) ،
لشدة نكأية المشركين .

ولما رأى طفأة المشركين ومتجرتهم أن كل ذلك لم يعد مانعاً
من انتشار هذه الدعوة ، عمدوا إلى طريقة أخرى ، فأخذوا يهمنون
الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول^(٤) .

وتطور ذلك إلى النيل منه بالفعل ، فاستهزءوا به^(٥) ، وألقوا
الغرت على بابه^(٦) ، وسلا الجزور على ظهره وهو يصلي^(٧) ..
بل وتب اليه جموع منهم وأحاطوا به ، وأخذ أحدهم بمجامعه
رداه ، حتى قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : « اتقتون رجالاً
أن يقول ربى الله »^(٨) .

ولم يشف صدورهم ذلك ، فقرروا قتل النبي صلى الله عليه
 وسلم^(٩) ليتخلصوا منه ومن دعوته .

وأبدوا لبني عبد المطلب الجفاء ، وقالوا لهم : « يابني عبد
المطلب لا صلح بيننا وبينكم ، ولا رحم إلا على قتل هذا الصبي
السفيء »^(١٠) .

حصار الشعب :

فقام عمه أبو طالب فجمع بني عبد المطلب لدراسة الأمر
فاتفقوا على أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبه
(شعب أبي طالب ، وهو شعب من شعب مكة) وتعاهدوا على أن
يمنعوه من ارادوا قتله .

وانحاز بنو هاشم ، وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد
المطلب ، فدخلوا في شعبه ، واجتمعوا عليه مؤمنهم وكافرهم ، ولم
يتختلف عن ذلك إلا عمه أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ، إذ
خرج إلى قريش وظاهرهم على أمرهم .

فلما رأى المشركون اجتماع آل النبي صلى الله عليه وسلم
على مناصرته اجتمعوا ، ووضعوا خطة من أبغض الخطط في
التعامل الانساني ، مما سعي في كتب السيرة بالمقاطعة العامة ،
أو خبر الصحيفة فكتبو صحيفه بذلك وعلقوها في جوف الكعبة ،
واخذوا على أنفسهم العهود والمواثيق لتنفيذها .

وكان ذلك سنة سبع من البعثة الشريفة على ما قال جمهور
المؤرخين^(١١) .

وتزايدت الخشية من مقتل النبي صلى الله عليه وسلم واتخذت
التدابير الأمنية^(١٢) .

وبذلك حاصروهم في هذا الشعب ، وقطعوا عنهم الغذاء والماء
وامتنعوا من معاملتهم ، فلم يدعوا أحداً من الناس يدخل إليهم
طعاماً ، ولا شيئاً مما يرفق بهم ، قال ابن سعد : « وقطعوا عنهم
الميرة والمادة »^(١٣) .

حصار الخندق :

واستائف المؤمنون جهادهم ودعوتهم ، ولم يكف المشركون
أذاهم عنهم : بل زيديوا في التضييق عليهم ، ولما حلت بهم ، والتنكيل
بهم حتى أذن الله لهم بالهجرة إلى المدينة فهاجروا ... ولكن
المشركين لا يحقرهم بالآذى .. فلم يدعونهم ياخذون حرثيهم في
المقام ونشر الدعوة بين الناس ، إذ تعاون المشركون مع اليهود
لمحاصرة المؤمنين في المدينة بعد الهجرة ، وذلك في غزوة
الخندق (أو غزوة الأحزاب) سنة خمس من الهجرة ، للقضاء
على هذه الدعوة الخطيرة ، واستئصالها ..

فتجمعت القبائل بتجمع ضخم أخاف كثيراً من القبائل ،
ومعندها من الدخول في الإسلام ، بل آثار الرعب في قلوب القبائل
التي كانت على وشك أن تتوالي المسلمين .

وضربت الجيوش اطنابها حول المدينة ، و Ashton the blade ، وغدر
اليهود^(١) فخانوا عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وتسلى المنافقون لواذا^(٢) من صف المؤمنين ، وأخذوا يختلقون
الاعذار الواهية للهروب من الجبهة^(٣) ، وأخذ فريق منهم يسألون
النبي صلى الله عليه وسلم يقولون إن بيوتنا عورة قال تعالى
حاكيأ حالهم : (ويستائز فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة
وما هي بعورة إن يريدون الا فرارا)^(٤) .

وهذا هو شأن المنافقين في كل عصر ... !
وارجف المرجفون ، ويلفت القلوب الحناجر ، وصبر المؤمنون
صبراً كريماً ، وعظمت الشدة ، وزلزلوا زلزالاً عظيماً ، ولكنهم ثبتوا ،
ولم يعطوا ذلك ، ولا استسلاماً ، مع قلتهم وسوء حالتهم وقلة
عتادهم .

قال تعالى :

(ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
وصدق الله ورسوله وما زادهم الا إيماناً وتسليماً)^(٥) .
مررت الساعات ثقلة مرعبة ... وكتب الله حكمه وتقديره ...

عن الوفود العربية في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الإسلامي الشعبي المنعقد في قصر المؤتمرات في بغداد العز ودار السلام والآيمان صباح يوم الاثنين ٩ ربيع الثاني ١٤٦٤ هـ / ٤ آيلول ١٩٩٥ م ، أن العالم كانت تتصارع فيه قوتان رئيسيتان ، فلما قضت حكمة الله بأن ينهي الاتحاد السوفيتي ، وصفا الجو للنظام العالمي الجديد الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية والذي هو أليل إلى الانهيار بعون الله وتوفيقه ، ظهرت على السطح قوة عظيمة هي المرشحة للسيطرة في الأساطير العالمية ، بدأ تهز كيان النظام يحسب لها ألف حساب ، ويسمى جاهد إلى القضاء عليها بكل ما يملك من وسائل خبيثة ومدمرة سوية وعلنية ، تلك هي قوى الآيمان في شوارق الأرض ومقاربها ... في العراق المؤمن الذي رفع راية (الله أكبر) وفي غير ذلك من البلاد الإسلامية ، فقرر ذلك النظام أن يضرب كل من ينادي باسم (الإسلام) ويرفع راية (الله أكبر)^(٢٥)

ولذلك اشتدت وطأة الكفرة على عراقتنا الحبيب يعاونهم المتفافقون في ذلك وتجار الحروب والانقساميون والمخربون والحرّكات المدamaة - لتنزيف العراق ، وتحطيمه نهائيا .. وتدل الشواهد على أن البنى التحتية لقطارنا العزيز هي مقصودة بالتدمير؛ لأن الهدف وهو القضاء على هذا الاتجاه الآيماني يتحقق بذلك ، لذلك صرّح أحد مدريي ماكرة الحرب ضد العراق ان العراقيين لتأييدهم القائد صدام حسين أصبحوا أرهابيين يستحقون كل الشدة والقصوة ، فلا رحمة لهم ، ولا عون . ومهما قدم العراق من التنازلات فلن يرفعوا هذا الحصار مادام الاتجاه الآيماني هو السائد وهو المسير لمشاعر الناس في هذا القطر الآبي .

ضرب الحصار الأثم على العراق

والأآن ، وبعد كل ما قام به الأشرار من العداون الأثم على العراق بدولهم الثلاثين بل الأربعين ...
ويعد كل ماخريوه من المنشآت الحيوية ، ودور العلم ، ودور العبادة ، والمستشفيات ، والطرق والجسور ...
ويعد كل ماخريوه من مستلزمات الحياة الأساسية من مكان تجهيز الماء والكهرباء والمعامل الانتاجية وتعطيل عملها طيلة شهور عديدة .
ويعد كل ما فعلوه من قتل المئات بل الآلوف من الأفراد العزل وأطفال المدارس ...
بعد كل ذلك جاءوا بخطبة ملعونة خبيثة يظهر أنها صممت قبل هذه الحوادث باصرار واحكم ، ارادوا بها أن يمعنوا في تخريب العراق بكل ما تحتمله كلمة التخريب من معان ، ففرضوا عليه (حصارا) قاتلاً لم يشهده أحد على مر التاريخ ؛ إذ تفتقروا في

فكف ايدي المشركين عنهم ، اذ أرسل عليهم الريح العاصفة التي اكتفت قدورهم ، واطفات نيرانهم ، وقتلت خيالهم ، حتى انصرفوا مخذولين^(٢٦) ، قال الله سبحانه وتعالى حاكيا حالهم : (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويًا عزيزا^(٢٧)) وحققت كلمة ربك في هزيمة اعدائه ، ونصر دينه ونبيه والمؤمنين ، بعد ان حاصرتهم ملة الكفر كلها .

الوان أخرى من الحصار :

وقاسى المؤمنون على مر التاريخ أولانا من الحصار ، وذاقوا صنوفاً من الأذى ، وهم ثابتون على عقيدتهم وبمبادئهم يقاومون الشر والعدوان في ساحات واسعة وعديدة في الشرق والغرب : في الحروب الصليبية في الشام ومصر ، وفي هجمات المغول في مشرق الأرض حتى بلاد الشام ، وفي إسبانيا ومحاكم التفتيش ، وفي العهد العثماني ولاسيما في العراق مع العجم والمجوس ، وفي الحروب العالميتين ، وفي القاذسية الثانية قادسية صدام المجيدة ...

حتى اذا تقضى كل ذلك وولي هو وشروعه طلع الكفرة على المؤمنين بحصار من نوع جديد :

الحصار الجديد :

فقد اجتمعت كلمة دول الكفر وقواتها على محاصرة المؤمنين وفي عقر دارهم ، أينما سكنوا : في العراق ، وفي الصومال ، وفي السودان ، وفي اليمن ، وفي البوسنة ، وفي فلسطين وفي كل قطر يدافع عن الآيمان ...

لقد شددت دول الكفر على المؤمنين الخناق وقطعت أنفاسهم وأذاقتهم الوانا من العنف والاذى والحرمان والجبروت والظلم ، واشتلت في محاصرتهم وامتصاص خيراتهم ...

وازداد الوضع سوءاً بمعاونة المتفاقين لدول الكفر ، فسهلوا لها الطرق ، ويسروا لها الأمر لدخول بلاد الآيمان ، وتدميسيها ، فكان اذى المتفاقين اشد ضرراً بالمؤمنين من الكفرة ...

وهذا هو شأنهم في كل بلد ، اذ تجدهم في كل وقت يسارعون الى مافيه مصالحهم ، ولو ادى ذلك الى الاضرار ببلادهم .
فوجد الكفرة فيهم خير معين لتنفيذ مآربهم ومحظياتهم فسخروهم للسير في اتجاه ضرب المؤمنين ، وقتل الآيمان في نفوسهم ، وضرب بلدانهم وامتصاص خيراتها لاضعافهم ، وابقارائهم تحت مطرقتهم ...

وهذه الحملة على بلاد الآيمان مسخرة بعنف وبقوة وتشتد أكثر على قدر العراق الآبي المؤمن الذي رفع راية (الله أكبر) بصدق وأيمان على يد قائد الرئيس المكافح صدام حسين حفظه الله .
والسبب في ذلك كما قال سماحة الشيخ على الفقير في كلمته

والاجتماعية والسياسية ، وهو يمس مستقبله بقدر ما يمس حاضره ، ولم يبق لهذا الحصار من معنى الا أن يكون عقابا للشعب العراقي والفرد العراقي ، وليس في اي من قواعد القانون الدولي او مبادئه ، ولا في روح العصر او ضميمه ما يبيح مثل هذا العقاب ^(٢٨)

ما على المؤمنين في هذا الحصار:

لقد أدى الحصار الى أضرار كثيرة اجتماعية واقتصادية وعلمية وفنية بمجتمع الایمان .

ولما كانت قوى الكفر تهيد الى عقاب الشعب العراقي كل الشعب؛ لايامه؛ والتفاقه حول قائد، ففي ظل الحصار الجائر نجد على المؤمنين لزاماً ان يتحد مسعاهم ، وتتوحد جهودهم لمواجهة هذا الخطر من جهة .. وأن يشمروا عن سواعد الجد للوصول الى الاكتفاء الذاتي ، وذلك بتوسيع نطاق الزراعة وتحديث نطاق الصناعة ، واستغلال مواردهم الطبيعية الفنية ، دون الاعتماد على الاستيراد الخارجي ، وأن يعتبروا بما كان عليه نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم من الصبر والجلد ، وما كان يتحمله صحابته المؤمنون رضوان الله عليهم ، في الثبات على الطريق الذي اختاره الله لهم ، ولم يعطوا الدنيا ولم يذلوا ، فلنا فيهن أسوة حسنة : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)^(٢٦) ، فنمضي في تحقيق أهدافنا ، وأن لا نسمح لانفسنا بأن نقع في مهاوي الجزع ، وفقدان الصبر والأمل ، فاننا حتى الان لم تصبر كما صبروا ... وأن نسد آذاننا عما تبئه آبواء الدعاية الاستعمارية من سموم الفتنة والخيانة .

وَلَا نَدْعُ بَيْنَنَا مَجَالًا لِّلخُوْنَةِ الْفَادِرِينَ، وَلَا مَجَالًا لِّلْمُتَلَاعِبِينَ
بِأَقْوَاتِ الشَّعْبِ، وَلَا مَكَانًا لِّلْمُخْرِبِينَ وَالْفَاسِدِينَ.

وأن نقبل على الحياة بروح التفاؤل والأمل ، ونجعل التضامن سبيلنا ، فإن الله يبتلي عباده بالمحن والشدائد ، وإن الشدائد والمحن لتصقل النفوس وتهذبها ، وتطهرها ، وتبيّن للناس معدتها ، والحاصر بلا شك شدة شديدة كشفت عن حقائق كثير من الناس ، فقد توضّح للناس حقيقة المخافقين والمدعين للإخلاص والوطنية ، فكشفت عن زيفهم ، وهنكت عنهم الاستار التي كانوا يتبرّعون بها : من ادعاءات التضحية ، والغيبة على الوطن ، فتجدهم في مثل هذه الأيام الشديدة يحتكرون المواد الغذائية ، ويغالون في أسعارها ، ويسرقون أقوات الشعب ، ويسعون إلى الحصول على الآثار السريع بالطرق الخبيثة والوسائل المحرمة ، ولذلك تجدهم لا يمدون يد العون إلى فقير ولا محتاج ، ولا يسعفون ذا الحاجة الملهوف ، ولو كان من أقاربهم وذوي ارحامهم ، فهم ضعاف الإيمان ، فاقدو الأخلاق لهذا الوطن ، يضعون أيديهم في أيدي المستعمرين الكافر ، وقد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ... فلن ينظر الله إلى حالهم يوم تتجه الانظار إلى بارئها ولن تخفي عنهم

تطبيقه ، فشملوا به جميع جوانب الحياة الخاصة بالفرد العراقي العسكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية ...

(حصاراً) زادت اضراره بهذا القطر الابي على اضرار الحرب الفعلية التي شنت عليه ، وذلك يتسببه في وفاة الالاف من اطفال العراق ومرضاه لعدم توفر الحليب والغذاء والدواء ، وتسببه في تدهور صحة الفرد العراقي ، للنقص الحاصل في تكوين غذائه الذي أثر (الحصار) في نوعيته وفي كميته ، وفي غلاء اسعاره ، الغلاء الفاحش الذي فرضه تجار الحروب على المواطنين ، بحيث أصبح الفرد الاعتيادي لا يجد ما يقيم به أوده ، ولا أود عائلته ، ولذلك أخذ كثير من الناس يتربون هذا البلد ذي الخيرات الوافرة ، ويترزحون الى بلاد العالم الواسعة ، وفيهم المثقفون والكسبة والمتخصصون بالعلوم الدقيقة ، وأهل الصناعات المهمة ، بسبب الحصار الذي قد فرض عليهم .

وعلم بعضهم لشدة الحاجة الى اقتراف الجرائم بالقيام بالسرقات والقتل والرشوة . وفسدت ذمة آخرين فتحكموا بآقوات الناس ، فغالوا في الاسعار واحتكروا البضائع ، وغشوا في تركيبها ونوعيتها وكميتها . وبذلك يخدمون مخططات الاعداء .

وانهار بعضهم للضغط الاقتصادي والعزوز الذي يعانيه ، او لمرض في نفسه ، فباع ضميره فسقط في مستنقعات الخيانة ... ولا شيء اضر على المجتمع من فساد الذم والخيانة ...

آثار الحصار الأخرى

لقد أدى الحصار الاتم المفروض على قطربنا الحبيب الى اضرار
دخلت في جميع مرافق الحياة ومنها ميادين الحركة العلمية في
العراق التي تعد المنفذ المهم للنهضة والتقدم : لأن «الحصار
الثقافي يعطل تقدم الأمة» كما يقول استاذنا الدكتور صالح احمد
العل (٢٦)

قال أحد المختصين : « إن الحصار العلمي والتقني على التعليم العالي والمؤسسات العلمية له آثار خطيرة على مستقبل الحركة العلمية في العراق ما لم نواجهه بعمل فعال . إن الأخطار لا تمكن فقط في قطع المتابعة الضرورية لرقد الحركة العلمية العراقية بمستلزماتها المادية والبشرية المتمثلة بالبعثات والزمالة والاشتراك في المؤتمرات ، والحصول على المجالات والكتب والمصادر العلمية والاجهزة المختبرية والوسائل التعليمية المتقدمة ، بل هناك خطر آخر ، لأنها هجرة العقول العلمية الموجودة في داخل العراقي ؛ نتيجة للمعاناة الاقتصادية ، بسبب الحصار الاقتصادي ، والخلل بسبب طرف الحرب والحصار . » (٢٧)

واخذت آفاق الاضرار تتسع وتعاظم نتيجة لاطالة أمد الحصار ويدأت تشمل ابعادا خطيرية إذ «أن الحصار الثقافي المفروض على العراق يجر معه الحصار على التنمية بكل ابعادها الاقتصادية

الله فلهم عذاب مهين * لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يوم يبعثنهم الله جميماً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شن الآ إنهم هم الكاذبون * استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان الا إن حزب الشيطان هم الخاسرون * إن الذين يجادلون الله ورسوله أولئك في الإنذرين * كتب الله لاغلب آنا ورسله إن الله قوي عزيز * لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يواجهون من حاز الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون)^(٢٠)

صدق الله العظيم

أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ، وهم في النار خالدون . وعلى العكس من ذلك تجلو الشدائـد والمحن صفات المؤمنين وتبـرـز أصالـتهم وعزـيمـتهم وطـيبـعـمـدـنـهـمـ ، فـنـجـدـهـمـ فيـ مـثـلـ هـذـهـ الشـدائـدـ يـتـقـدـمـونـ الفـقـراءـ ، وـيـمـدـوـنـهـمـ بـمـاـ يـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ مـنـ الـمالـ وـالـطـعـامـ وـالـدـوـاءـ وـالـكـسـاءـ ، يـحـدـوـهـمـ الـإـيمـانـ إـلـىـ فـعـلـ الـخـيـرـ ، وـاتـقـيـنـ يـنـصـرـ اللـهـ وـرـضـاهـ ، لـأـنـ اللـهـ وـعـدـهـ بـالـفـلـاحـ وـالـنـصـرـ أـنـ نـصـرـوهـ ، وـاستـقـامـواـ ، وـثـبـتـواـ عـلـىـ طـاعـتـهـ ...

ونختتم بحثنا هذا بأيات كريمة حكمت حال هذين الفريقين :

تماماً ، اذ يقول الله سبحانه وتعالى وهو اصدق القائلين : (ألم قر لـهـ الـذـيـنـ تـوـلـواـ قـوـمـاـ غـضـبـ اللـهـ عـلـيـهـ مـاـهـ مـنـكـمـ وـلـاـ جـنـهـوـ وـيـحـلـفـونـ عـلـىـ الـكـذـبـ وـهـمـ يـعـلـمـونـ *ـ أـعـدـ اللـهـ لـهـ عـذـابـاـ شـدـيدـاـ إـنـهـ سـاءـ مـاـكـانـواـ يـعـلـمـونـ *ـ اـتـخـذـواـ أـيـمـانـهـ جـنـةـ فـصـدـواـ عـنـ سـبـيلـ

الهوامش

- (١) الحجر : ٩٥ - ٩٤ .
 (٢) النساء : ٤٧ .
 (٣) سورة (ص) الآية : ٦ .
 (٤) انظر سيرة ابن هشام : ١ / ٢٦٨ .
 (٥) الاصابة : ٤ / ٣٢٧ في ترجمة (سمية) ام عمار الترجمة ٥٨٥ من ترجم
النساء .
- (٦) تاريخ الطبرى : ٢ / ٣٣٥ .
 (٧) سيرة ابن هشام : ١ / ٢٩٠ . تاريخ الطبرى : ٢ / ٣٣٢ .
 (٨) الكامل : ٢ / ٤٧ ، السيرة الحلبية : ١ / ٣٢١ ، الدر المتنور : ٤ / ١٠٧ وذكر فيه عدد المستهزئين .
 (٩) طبقات ابن سعد : ١ / ١ / ١٣٤ .
 (١٠) مسند احمد : ١ / ١٧ وهو في صحيح مسلم ١٤١٩ / ٣ .
 (١١) سيرة ابن هشام : ١ / ٢٩٠ ، تاريخ الطبرى : ٣٣٣ / ٢ .
 (١٢) معاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمروءة : ١١٤ ، طبقات ابن سعد : ١ / ١٣٩ ، دلائل النبوة لابن نعيم : ١ / ٣٥٨ ، دلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٣١١ ، الموهاب اللذنية : ١ / ٥١ شرح الزرقاني على الموهاب : ١ / ٢٧٨ .
 (١٣) السير والمازاي لابن اسحاق : ١٥٨ - ١٥٩ .
 (١٤) زاد المعاد : ٣ / ٣ ، المواهب اللذنية : ٥٢ / ١ ، السيرة الحلبية : ١ / ٣٣٧ و قال ابن عبد البر : انها بعد المبعث بستين الاستيعاب : ١ / ١٦ ، و قال بعضهم : يعده يثماني ستين انظر شرح الزرقاني على المواهب : ١ / ٢٧٨ .
 (١٥) انظر بحثنا : الحصار الاقتصادي الذي ضربه المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى قومه في شعب أبي طالب مجلة رسالة الاسلام العدد ٢٤٩ السنة ٢٥ رجب ١٤١٢ كانون الثاني ١٩٩٢ ص ٩٨
 (١٦) طبقات ابن سعد : ١ / ١ / ١٤٠ .
- (١٧) السير والمازاي لابن اسحاق : ١٥٩ .
 (١٨) تاريخ الطبرى : ٢ / ٥٧١ .
 (١٩) الدر في اختصار الممازى والسير : ١٨٠ .
 (٢٠) الخطاط وليد الاعظمي : لنا في حصار الخندق اسوة حسنة بحث في مجلة الرسالة الاسلامية العدد ٢٤٩ السنة ٢٥ رجب ١٤١٢ كانون الثاني ١٩٩٢ من ١٥٧ .
 (٢١) الأحزاب : ١٣ .
 (٢٢) الأحزاب : ٢٢ .
 (٢٣) تاريخ الطبرى : ٢ / ٥٨٠ .
 (٢٤) الأحزاب : ٢٥ .
 (٢٥) جريدة الثورة ٨٨١٧ الجمعة ٢٠ ربـيعـ الثـانـيـ ١٤١٦ـهـ / ١٥ـ آبـولـ ١٩٩٥ـ مـ الصـدـحةـ السـابـعـةـ .
 (٢٦) دـ صالحـ اـحمدـ العـلـيـ :ـ الحـصـارـ النـقـائـيـ خـطـرـ يـهدـدـ كـيـانـ الـأـمـةـ الثـقـائـيـ وـيـحـرـمـ الـأـنـسـائـيـ مـنـ مـسـاـهـمـهـاـ ،ـ بـحـثـ فيـ نـدوـةـ (ـ الـحـصـارـ وـأـثـارـ السـيـسـيـةـ فيـ حـيـاتـاـ النـقـائـيـ)ـ الـتـيـ اـقـامـهـاـ الـجـمـعـ الـعـلـمـيـ الـعـراـقـيـ فيـ رـجـبـ ١٤١٣ـهـ /ـ كـانـونـ الثـانـيـ ١٩٩٢ـ مـ مـطـبـعـةـ الـجـمـعـ الـعـلـمـيـ الـعـراـقـيـ ١٤١٣ـهـ /ـ ١٩٩٣ـ مـ صـ ١٥ .
 (٢٧) دـ جـوـاـمـيـ سـليمـ :ـ أـثـارـ الـحـصـارـ الـاـقـتصـادـيـ عـلـىـ الجـامـعـاتـ وـالـحـرـكـةـ الـعـلـمـيـةـ مـنـهـاـ ،ـ بـحـثـ فيـ نـدوـةـ (ـ الـحـصـارـ وـأـثـارـ السـيـسـيـةـ فيـ حـيـاتـاـ النـقـائـيـ)ـ مـصـدرـ سـابـقـ صـ ٢٥ .
 (٢٨) دـ صالحـ جـوـادـ الـكـاظـمـيـ :ـ مـلـاحـظـاتـ فيـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ النـقـائـيـ بـحـثـ فيـ نـدوـةـ (ـ الـحـصـارـ وـأـثـارـ السـيـسـيـةـ فيـ حـيـاتـاـ النـقـائـيـ)ـ مـصـدرـ سـابـقـ صـ ٣٨ .
 (٢٩) الأحزاب : ٢١ .
 (٣٠) المجادلة : ١٤ - ٢٢ .

صمود البصرة ومقاومتها لغزو الاجنبي

١٤٥٨ - ١٩٠٦

د. نوري عبد الحميد خليل

كلية التربية الأولى - جامعة بغداد

١- تمهيد -

وقد ادت هجمات تلك الاقوام الى تناقص سكان المدينة وهجرة الكثير منهم الى الاقطار الاجنبى ، وتعرض اجزاؤها للخراب ، وبعد سنة واحدة من الاحتلال المغولى للعراق حوكم سراج الدين بن الحلى حاكم البصرة وواسط بتهمة تخريبهما واهمال مصالحهما فثبتت التهمة عليه وقتل^(١)، وتعرضت الحياة الفكرية فيها للانحسار وانكمش دورها الثقافى بعد ان قام المغول بمصادرة مكتباتها الشهيرة ونقلها^(٢) الى عاصمتهم .

وقد اشار الى ذلك الرحالة العربي ابن بطوطة عند زيارته للمدينة عام ١٣٢٦ ، فذكر ان البصرة كانت من السعة بحيث كان مسجد علي بن ابي طالب (رض) في وسطها في العصور السابقة ، اما في زمانه « فقد كان بينه وبينها ميلان ، وكذلك بينه وبين السور الاول المحيط بها نحو ذلك » وكانت المدينة حسبما يذكر مقسمة الى ثلاث محلات يحيط بها سوران . اما مدينة الايلة القريبة منها ، والتي كانت مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند وغيرهم فقد خربت هي الاخرى ولم تكن عند زيارة ابن بطوطة لها^(٣) « سوى قرية بها اثار قصور وغيرها تدل على عظمتها»

ويؤيد ذلك ايضاً ابن العراق^(٤) في منتصف القرن السادس عشر ويذكر ان البصرة الجديدة كانت في زمانه تبعد عن البصرة القديمة مسافة اربعة اميال ، ويحيط بها سور له اربعة ابواب ، هي باب المشرق والباب البحري وباب السيفي ، وباب الجبل (الزيبر) ، وهو باب البرى الذي يدخل منه القادمون الى البصرة من البر .

وكانت ادارة المدينة تمتد لمسافة بعيدة في المعهد الايلخانى كما يذكر المستوفى القزويني الذي كان مسؤولاً عن الشؤون المالية في العراق في النصف الاول من القرن الرابع عشر . ويذكر ان هذه الادارة كانت تمتد الى منطقة واسط شمالي^(٥) فتتبعها كل من منطقة بلاس والزكية (الزنجية) قرب الغزير . وميسان وجميعها تقع بين البصرة وواسط . اما في الجانب الشرقي من شط العرب فكانت تتبعها كل من عبادان^(٦) وقبان .

وكانت البصرة في اواخر ايام الخلافة تدار هي وواسط ضمن منطقة ادارية واحدة يقال لها (الاعمال الواسطية والبصرية)

من خلال النصوص القليلة التي وصلتنا عن البصرة ، ستحاول في البداية ، اعطاء لمحة تاريخية موجزة عن احوال المدينة والمناطق المحيطة بها ، من النواحي الادارية والاقتصادية والاجتماعية ، منذ سقوط الحكم العربي في بغداد سنة ١٢٥٨ ، حتى الاحتلال الصفوى . وهي فترة طويلة تعرض فيها العراق لغزو اقوام اجنبية مختلفة . اشاغوا في البلاد الغوضى والدمار ، واضطراب حبل الامن ، ونشبت الحروب بين الطامعين بالحكم ، فقررت اوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

وفي ظل تلك الاضطراب الشاذة كان من الطبيعي ان تفقد البصرة مكانتها في التجارة الدولية ، بعد اكتساح المغول لمعظم قارة اسيا واوروبا الشرقية . وبعد ان احکموا سيطرتهم على طرق التجارة البرية بين الشرق والغرب ، وذللوا الصعوبات التي تعترض التجار ، وذلك بهدف الحصول على موارد مالية لامبراطوريتهم الواسعة ، مما ادى الى ازدهار التجارة البرية بين الصين واوروبا^(٧) على طريق الحرير العظيم المار عبر آسيا ، واهتمام الطريق البحري ، لعدم دراية المغول بالبحر وصناعة السفن . ومع ان التجارة البحريه ظلت بيد العرب ، حتى مجئ البرتغاليين في بداية القرن السادس عشر ، الا ان البصرة فقدت اهميتها في التجارة الدولية ، ولم تعد لها سوى اهميتها في نقل البضائع الى العراق ، وما تتمتع به من موقع سوقي على راس الخليج العربي ، واحتاطها بمنطقة الاهوار والمستنقعات (البطانج) الممتدة بينها وبين واسط والكوفة ، والتي هي مجمع مياه دجلة والفرات التي يصعب اجتيازها . مما جعل البصرة تتمتع بشئ من العزلة وجعلها في مأمن من الغزوات المدمرة ، مثل الغزوات التي تعرضت لها بغداد والمدن القريبة منها في تلك الفترة .

ان هذا لا يعني ان الاقوام الاجنبية لم تحاول احتلال البصرة فموقع المدينة على راس الخليج العربي ، ورحاوها الاقتصادي كان يغرى هذه الاقوام بمحاجمتها ، ووسط سيطرتهم عليها بين حين وآخر خاصة وانها ظلت تستقبل السفن التجارية المحملة بالبضائع الهندية والصينية لسد حاجة اسواق العراق .

وقد استقرت في المدينة واطرافها تجمعات قبلية كثيرة منهم بتو عقيل وهم من ربعة من العدنانية الذين سطوا . نفوذهم على البطائح بين البصرة والكوفة وبطونهم بتو المتنقق بن عامر بن عقيل وبتو عيادة وخفاجة وتطلق عليهم جميعاً المصادر المعاصرة اسم عرب البحرين اذ كان نفوذهم يمتد الى الاحساء والبحرين التي خرجوا منها فيما مضى . وكانت الامرة منهم في اولاد مانع^(١٨) بن شعيب بن فضل جدهم الاكبر واستقلوا بحكم المدينة منذ بداية القرن الخامس عشر^(١٩) . ومن التجمعات الارشية التي استوطنت البصرة آل فضل وهم من طيء وبطونهم آل عيسى الذين امتدت منازلهم في بادية الشام وعلى جانبى الفرات حتى البصرة^(٢٠) .

٢- الفترة الايلخانية (المغولية) (١٢٥٨-١٣٣٥)

اتضحت اهمية البصرة السوقية في نظر العراقيين في اثن حصار المغول لبغداد سنة ١٢٥٨ ، اذ درس قادة الجيش العراقي امكان تهريب الخليفة المستعصم بالله وعائمه الى البصرة ليقيم احدى الجزر القريبة منها . بحكم حصانة المنطقة وسيطرة العرب عليها حيث يتمكن الخليفة من جمع الانصار والمعارضين للاحتلال والعودة الى بغداد ، وتحريرها حالما تنتهي الامكانيات والظروف المناسبة ، غير ان الوزير مؤيد الدين ابن العلقمي اقنع الخليفة بان مهد طريق الصلح مع المغول واقتنعه بالخروج^(٢١) لمقابلة هولاكو كان لرأي قائد الجيش ما يبرره ، فالقبائل العربية رفضت الاستسلام للفرز ، وقادت حركة المقاومة ضدهم ، وخاصة قبيلة خفاجة التي استوطنت المناطق الممتدة بين دجلة والفرات ومن هيئ والانبار شمالاً حتى الحلة وحول الكوفة والبصرة جنوباً ، وكانت برئاسة الامير حسين بن فلاح الذي اوى الكثير من الفارزين من بغداد وفي مقدمتهم افراد الاسرة العباسية ومنهم احمد بن الظاهر عم الخليفة المستعصم بالله واحمد بن ابي علي ، فقام حسين بن فلا بهريبهم الى الشام^(٢٢) ومنها الى مصر .

ويذكر مؤرخ عراقي مجھول عاصر تلك الاحاديث ان منطقة البصرة صارت بعد الاحتلال المغولي للعراق ملذاً ولوجاً للذين رفضوا الخضوع للمغول . فأضطرب الكثير من سكان بغداد وواسط والحلة والكوفة الى اللجوء اليها والاعتصام في البطائح متخصصين فيها ، ولجأ اليها الولاة والنقباء والقضاء واعيان هذه المدن بأهلهم وأموالهم^(٢٣) . واحتشد فيها ايضاً الكثير من جند الخلافة العراقيين من رفضوا الخضوع للمغول^(٢٤) واخذوا يتهيؤون للانقضاض عليهم بقيادة سيف الدين سلار .

واخذ هؤلاء يتعاونون مع الحكومة المصرية التي وقفت هي الاخرى بوجه المغول ، وشاركت العراقيين في حرفهم التحريرية ضد الغزاة وفي محاولاتهم الرامية لتحرير العراق وقام عرب خفاجة بالتنسيق بين العراقيين والسلطات المصرية لتنفيذ الخطط العسكرية في الحرب ضد المغول في ذكر المقربين^(٢٥) وهو مؤرخ اطلع على وثائق الحكومة المملوكية ، اذ كان كاتباً في ديوان الإنشاء

واستمرت الحال كذلك طيلة العهد الايلخاني (المغولي) . ثم صارت لكل منها ادارة خاصة منذ بداية العهد الجلائري^(٢٦) . اما الحياة الاقتصادية فيها فان تغير نشاطها التجاري لم يمنع من تعمق المدينة بشئ من الرخاء النسبي قياساً الى المدن العراقية الأخرى ، بفضل استمرار النشاط الزراعي فيها . فابن بطوطة اثنى على بساتينها الكثيرة وفواكهها الايثيرية ، وقال ليس في الدنيا اكتر نخل منها واسعار تمراها رخيصة وبساتين نخلها متصلة بينها وبين الاية لمسافة عشرة اميال^(٢٧) . ووصف الرحالة الايطالي ماركو بولو غابات التخليل المحيطة بها بأنها تنتج اجود انواع التمور في العالم^(٢٨) . واضاف المستوى القزويني الى ذلك قوله ان بساتينها كثيرة تروي بواسطة المد وتمتد لمسافة ثلاثين فرسخاً (تسعون ميلاً) طولاً وفسخين (ستة اميال) عرضاً وتنتج اجود انواع التمور التي تصدر الى الهند والصين^(٢٩) . ويصف ابن فضل الله العمري في بداية العهد الجلائري «بلاد عرب البحرين» المتعددة بين العراق والمحاجز اتها «بلاد زرع وضعر وير ويحر ولهم متاجر مريحة وواصلهم الى الهند لا ينقطع ولهم قصور مبنية وأطام عليه وريف غير متسع ونعم كثيرة»^(٣٠) . ومعروف ان مصطلح عرب البحرين كان المقصود به آل عقيل الذين امتدت منازلهم بين البصرة والبحرين . وقد ظلت منطقة البصرة تنتج محاصيل مختلفة حتى اواخر العهد الجلائري على ما يذكر الرحالة الالماني شلتيبرiger^(٣١) الذي مر بالعراق بعد وفاة تيمورلنك سنة ١٤٠٤ .

غير ان اضطراب الاوضاع السياسية وهجمات القبائل والاقوام المختلفة على المنطقة ادت الى تناقص مواردها المالية ، ثم تدهور الاوضاع المعيشية للسكان . فقد كانت مواردها في اواخر العهد الايلخاني اربعينات واحد واربعون الف دينار ، تراجعت في بداية العهد الجلائري الى ثلاثمائة وتلاتين الف دينار ، ثم انخفضت عام ١٣٦٢ الى مئة وعشرين الف دينار فقط^(٣٢) . وظلت تتراجع حتى بداية العهد العثماني .

وعانت تجارة البصرة الداخلية والتجارة الاجنبية المنقوله منها الى بقية مدن العراق صعوبات بالغة بسبب انعدام الامن من منطقة البطائح . فكانت السفن القائمة من البحر والمتوجهة من البصرة الى بغداد في نهر دجلة تتعرض غالباً الى هجمات سلطات الاحتلال والقبائل البدوية^(٣٣) ولم يكن بالامكان السفر في تلك المناطق برأ الا في صحبة القوافل التي يقودها عرب خفاجة ويني اسد اللذين كانوا يسيطرنون على المنطقة^(٣٤) . وقد ازداد تعرض التجارة للنهب في فترة الاحتلال التيموري للعراق فأراد تيمور السيطرة على منافذ التجارة وايجاد موارد مالية لامبراطوريته الواسعة فأنفذ حملة على الخليج العربي بهدف اخضاع سواحله حتى جزيرة هرمز^(٣٥) الى سيطرته وظلت تجارة البصرة في تدهور مستمر حتى الاحتلال العثماني للعراق .

ومن الناحية الاجتماعية كان معظم سكان البصرة من العرب ، ذلك ان المدينة لم تتعرض للاحتلال الاجنبي لفترات طويلة كما هي الحال في بغداد والمدن العراقية الأخرى . وظلت القبائل العربية تحكمها بصورة مستقلة منذ سقوط الحكم العربي ببغداد .

العراق منهم مظهر الدين وشاح ابن شهري والامير حسام بن حسين ابن فلاح امير العراق وكثيرون من امراء خفاجة . بعد ان نفذوا مهمتهم على اكمل وجه فتقاهم السلطان بنفسه ^(٢٨) واكرمهم . وهكذا ظلت منطقة البصرة في مواجهة دائمة مع المغول ومصدر تهديد وقلق للسلطات الایلخانية في بغداد . يلغا اليها الثنارون على تلك السلطات ويتم فيها تنظيم حركات المقاومة ، وقيادة الانتفاضات لمشاهدة الغزاة ، واجبارهم على مقاومة العرق ، ففي سنة ١٣٩٣ انتفض العرب في البطائج جنوبى واسط فسيه اليهم السلطان المغولي احد قادته لكنه لم يتمكن من الوصول اليهم لبسالتهم وحصانة المنطقة فعاد خائباً . ولتبرير هذا الفشل اخذ ينتقم من السكان الاميين في طريق عودته فنهب القرى والدواب وسفن التجار القادمين من البصرة في دجلة ، واسر الكثير من الاطفال والنساء . وبلغت وحشيته حداً اثارت سخط السلطان المغولي نفسه فحصل القائد على تجريعه ، وامر بحبسه بضعة ايام واطلاق سراح الاسرى ^(٢٩) واعادتهم الى منازلهم .

وعلى الرغم من وجود حامية مغولية احياناً في مدينة البصرة لكنها كانت عاجزة عن حماية الادارة فيها ، ويباهر ضعف تلك الادارة من خلال كثرة الانتفاضات المحلية ، وسرعة تبدل ولاة المدينة وتعرض معظمهم للمحاكمة والقتل ^(٣٠) وهو ما تؤكد المصادر المعاصرة :

كانت اكبر الانتفاضات التي عرفتها المدينة ، واكثراها شمولًا وتنظيمًا ، وقد وقعت في اواخر الحكم الایلخاني سنة ١٣٦٦ . اذ صادف ذلك الوقت هرب صاحب مكة المكرمة الامير حميسة بن ابي نعي بعد خلاف مع اخوانه حول السلطة ، وتوجهه الى العراق ، مستقلاً بالمغول لنصرته والحصول على مساعدتهم لاعادته الى السلطة . فأستقل المغول الفرصة لبسط سيطرتهم على مكة والمدينة والخطبة فيها باسم السلطان المغولي فجهزوا جيشاً كثيفاً من خراسان ، بلغ تعداده نحو عشرة الاف مقاتل ، قاده الدلقدني حاكم البصرة المغولي في صحبة الامير حميسة . وما ان اجتازت تلك القوات البصرة حتى علموا بوفاة السلطان المغولي فارتباوا . اما سكان البصرة والقبائل المحيطة بالمدينة فقد استغلوا فرصة خروج الدلقدني واتباعه من المدينة فقاموا بانتفاضة كبيرة خلعوا منها الحاكم المغولي ونصبوا (ابن السوايكي) حاكماً عليهم .

وقام الحاكم الجديد بتحشيد الفرسان والاستعداد للدفاع عن المدينة . ومحاكمة القوات المغولية فأستقر القبائل المحيطة بالبصرة . وقام

محمد ابن عيسى الطائي شقيق مهنا امير آل فضل وكان في العراق آنئذ بجميع عرية من خفاجة وعرب اخوته واولاد اخوته ، وسار الى الدلقدني واشتbeck معه في معركة حامية عند اطراف البصرة في اواخر ذلك العام فأنهزم الدلقدني وحميسة ومن معهم بعد ان قتل الكثير من اتباعهم وتشربت الباقون ، واخذ التوار كل ما كان مع الجيش المغولي من مال

الجركسي ، في احداث سنة ١٢٦١ ان سيف الدين سلار الذي كان في اواخر ايام الخلافة والياً على واسط والكوفة والحلة ، اعتصم في جنوب العراق بعد دخول المغول بغداد . واراد محاربته بالتعاون مع والي تشر، فجمع جيشاً من اعوانه ومن سكان المنطقة ومن جند الخلافة المتعصمين بالبطائح لاجل هذه المهمة ، لكنه لم يتمكن من احراز نصر حاسم فلجاً الى الحجاز ، وينزل هولاكو محاولات عديدة لاستعماله واغرائه بالتعاون معه ، باذله الوعود بعاداته الى ولاياته السابقة في العراق ، لكن سلار رفض ذلك . وبناء على طلب السلطان المصري الظاهر بيبيس الذي اراد الاستفادة من خبرته في حرب المغول توجه سلار الى القاهرة ، حيث عينه السلطان اميراً في الجيش المصري . ومن القاهرة كتب سلار الى اعوانه بالعراق من شيخوخ عبادة وخفاجة يدعوهم للحضور ويدذكرهم بما ناله من احسان من السلطان المصري . وكان اعون سلار قد انظموا الى القوات التي قادها احمد بن الظاهر (الخليفة المستنصر بالله) والتي تقدمت من الشام لتحرير العراق بمساعدة المصريين .

ولما فشل هذا الجيش في تحقيق مهمته وقتل الخليفة العباسي التحق هؤلاء بقادتهم سلار في القاهرة . وكان على راسهم خضر بن بدران العباري وشهري بن احمد الخفاجي ومقبول بن سالم ووشاح الناحي وغيرهم كثيرون . واضاف المغريزي ان هؤلاء « كانوا عيناً (استخبارات عسكرية) للسلطان المصري على المغول » ^(٣١) وفي السنة التالية وصلت القاهرة مجموعات اخرى على راسها حسين بن فلاح امير عرب العراق ومعه الكثير من امراء خفاجة ^(٣٢) .

وام عرب خفاجة بدور الاتصال بين زعماء الغرائز وقادته المتعصمين في الجنوب وبين السلطان المصري فكانوا يوصدون حركات المغول وينقلون اليه كل مكان يقع في دولتهم من احداث ، ويتولون ايضاً نقل الخطط والعمليات العسكرية التي يرسمها السلطان يكتبهما باستمرار ويعثثون على قتال المغول ^(٣٣) . ففي ذكر المغريزي نفسه في احداث ١٢٦٢ ان السلطان المصري جهز عرب خفاجة بالخلع الى اكبر اهل العراق وكتب اليهم والى صاحب شيراز يحثهم على الثورة على هولاكو ، وانه ليس عد من امراء خفاجة الفتوة ، وارسل معهم قائداً عسكرياً مصرياً كبيراً ليتولى تنظيم وقيادة حركة مقاومة واسعة للمغول من جنوب العراق والاحواز وشيراز ..

وفي السنة التالية عاد الى القاهرة مبعوثون من تلك الديار وهم جماعة من عرب خفاجة يحملون كتاباً من جماعتهم الى السلطان تفيد انهم اغاروا على المغول حتى وصلت غاراتهم ابواب مدينة بغداد ، ويخبرون السلطان بتطورات الموقف في شيراز ، ثم عاد بعدها القائد المصري من العراق الى القاهرة ، ومعه عدد من زعماء

واسلحة ونواب^(٢١) وانفردوا بحكم المدينة.

حملت هذه الانتفاضة^(٢١) السلطان المغولي الاخير يدرك جيداً انه لن يتمكن من حكم البصرة حكماً مباشراً ففضل ابقاء حكمها بيد العرب والعمل على استرضائهم وكسب ولهم حتى انه فوض حكمها بعد ستين من تلك الانتفاضة الى فضل بن عيسى شقيق مهنا امير العرب في الشام والعراق ، واقطعه ايها . وظلت تحت حكمه حتى تحالفت عليه عقيل عرب الاحساء والقطيف^(٢٢)، واخرجوه منها . ومع ذلك فقد ظل ابنياه يملكون فيها املاكاً واسعة ويبسطون سلطتهم عليها حتى انتزعها منهم الشيخ مانع امير عرب^(٢٣) المتنشق كما سترى .

٣- في عهد الاحتلالين الجلائري والتيموري
١٤١٠-١٣٣٩

وقت القبائل العربية في البطائع منذ البداية ضد الغزو الجلاذري فقد التق عرب ربيعة وخفاجة حول امير مكة احمد بن رميته الذي قدم الى العراق في اواخر العهد الايلخاني . وما ان انتهى ذلك العهد حتى قاد احمد هذه القبائل ستة ١٣٣٥ وحرر الحلة من سيطرة المغول بعد ان طرد حاكها ، وتحصين هو واتباعه فيها . وفشل محاولات الجلاذريين لاخراجهم من المدينة حتى اضطر حسن الكبير لتوجيه جيش قادة بذاته نحو الحلة وظل احمد يقاتل داخل اسور المدينة حتى استدرج حسن عن طريق الحيلة فندر به وقتله ١٣٤١ سنة (٢٤)

اما مدينة البصرة نفسها فان الحامية المغولية التي ظلت ترابط فيها بعد سقوط الحكم الايلخاني في العراق لم تتمكن من حماية نفسها ، من هجمات سكان المدينة والقبائل المحبيطة بها ، فقدمت ولاعها للجلاثرين . غير ان ذلك لم يكن كفيلا بحمايتها اذ واجهت ضغطا شديداً من سكان البصرة الذين حاصروا الحامية ، وتقدم عرب البحرين لمساعدة اخوانهم سكان البصرة ، وشنوا هجوما شاملأ على المدينة بهدف اخراج الحامية المغولية منها سنة ١٢٥٤ . لكن حسن الكبير استغل الخلافات بين شيوخ القبائل فتمكن من استعمال بعضهم اليه وارسل جيشا كبيراً من بغداد قائمه الامير فواز بن مهذا (ت ١٢٥٦) وكان في العراق اذاك فتمكن من السيطرة على المدينة (٢٠) .

وهكذا فإن الجلازريين لم يتمكنوا من حكم المدينة حكماً مباشراً، بل استعاناً بالقبائل العربية لحكمها كما فعل المغول من قبل. وكانت هذه القبائل تستغل ضعف السلطة المركزية فتتلخص ولذاتها للجلازريين ففي عهد السلطان ابييس تمكن الشیخ عقان من بسط سلطته على المدينة. فحكمها بصورة مستقلة ولم يعد للجلازريين اي نفوذ فيها واخذ يأوي اليه كل ساخط على الحكم الجلازري، ومن فيهم ابناء الاسرة الجلازيرية نفسها ففي سنة ١٢٥٩ اختالف اسحق بن ابيكان مع عممه السلطان اويس وثار عليه فلجلـا الى البصرة مستعيناً بحاكمها الشیخ عقان^(٣٦) على عمه. ولم يكن امام السلطات الجلازيرية ان ارادت تعزيز سلطتها في العراق سوى استرضاء تلك القبائل وخاصة آل عيسى ، الذين امتنت مذاهبهم على جانبي الفرات حتى البصرة فقرب الجلازريون اميهم صبار ابن مهنا الطائي وولوه امرة عرب العراق^(٣٧) (١٢٤٨ - ١٢٧٤) وكانت البصرة اقطاعاً لعائلته منذ العهد الايلخاني وظل ولده نعيم (محمد بن صبار) يتولى شؤونها بعد وفاة والده ويسبب تردي العلاقة بينه وبين السلاطين

المصري طلب الاخير من ثامر بن قشعن امير عرب البحرين الذي تحالف مع المصريين ان يهاجم نعير ويستولي على املاكه في البصرة فقد ثامر هجوماً ناجحاً على المدينة سنة ١٣٩٣ وانتزع تلك الاملاك من يد نعير (٢٨).

في العام نفسه كان تيمور قد احتل بغداد والمدن القريبة منها وأخذ ينطوي لاحتلال البصرة باعتبارها مفتاحاً للخليج العربي الذي وضعه ضمن سلطانه التوسيعية بهدف احكام سيطرته. على طرق التجارة البحرية^(٢١) وبعد أن احتلت قواته مدينة واسط وعني عليها حاكماً ووضع فيها حامية عسكرية، ارسل حبيشاً كبيراً إلى البصرة قاده ابنه ميرانشاه ويساعده سلطان محمود أكفاً قادة تيمورلنك، وانضمت إلى الحملة قوات أخرى كانت ترابط في مدينة الحلة^(٢٢).

وكانت البصرة اذاك يحكمها الامير صالح بن حولان امير عرب المتنفق ، الذي بسط سلطته حتى البحرين ، فقرر الاستبسال في النيلاع عن المدينة والاستعداد للمواجهة . مهما كلف الامر . واستنفر عربه بين عقيل وبطونهم وعرب البحرين والقبائل المحيطة بالبصرة فاجتمع لديه الكثيرون من الفرسان الذين احتشدوا داخل المدينة . وما ان اقتربت القوات الغازية حتى اشتبكوا معها في معركة حامية سنة ١٣٩٢ انتهت باندمار الفرازة وقتل عدد كبير منهم واسر قائد الحملة ميرفنشاه (١) .

ولما علم تيمور بما حل بقواته على يد سكان البصرة بعث إلى صالح ابن حولان يطلب منه اطلاق سراح ولده ومن معه من الاسرى . فأشترط أمير البصرة على تيمور بال مقابل ان يطلق سراح الاسرى العراقيين وان يدفع مبلغاً كبيراً من المال . وقد تركت هذه الشروط اثراً عميقاً في نفس تيمور الذي لم يغرض عليه احد شروطاً من قبل فأنفذ حملة ثانية الى البصرة وضع على قيادتها الكفأ قواه جيشه وذلك في اواخر سنة ١٣٩٣ ، سار بعضها براً وبعضها الارض في مراكب من دجلة . وقد ظفر العرب بالقوات المنحدرة في نجدة وابادوها بعد ان اغرقوا المراكب ، اما القوات البرية فقد واصلت سيرها نحو المدينة . ويبعدو ان سكان البصرة لم يتمكنوا من الصمود امام هذا الجيش الكبير الذي دخل المدينة ، وفي اثناء المواجهة نقتل صالح بن حولان وتم اطلاق سراح ميرانشاه ووضع حامية تيمورية في المدينة^(٤)

ولم ينفع سكان البصرة من الثورة اتخذت تيمورلنك اجراءات عسكرية اخرى
تهدف الى منع القبائل العربية شرقى شط العرب من مساعدة اخوانهم
سكان البصرة فعبر الى الجانب الشرقي من الشط وسيطر على المناطق
الممتدة بين البصرة وواسط^(١٢) غير ان تلك الاجراءات لم تكن كافية
لتثبيت حكم التيموريين في المدينة امام اصرار السكان واستبسالهم في طرد
الفزاعة فسرعان ما عادت القبائل العربية وحررتها من ايديهم^(١٣) ويبعد ان
تيمورلنك لم يحاول الهجوم عليها مرة اخرى بسبب ما تكبدته قواته من
خسائر، فلم يتعرض للمدينة عند احتلاله الثاني للعراق سنة ١٤٠١
ومنذ بداية القرن الخامس عشر ترسخت الحكم العربي في المدينة
خاصة بعد وفاة تيمورلنك سنة ١٤٠٥ وانشغال الجلاوزيين باستعادة
حكمهم المنهار والقضاء على المؤامرات والدسائس بين قادة الجيش.
فالذئف سكان البصرة في مطلع ذلك القرن حول بعض الزعامات المحلية ،
واهارءاء العرب ، منهم الامير ناصر والامير محمود القباني امير عرب قبان
القريبة من المدينة . فتمكن هؤلاء من التوقي على البصرة وطرد اتباع تيمور

أشد تلك الهجمات هو الهجوم الذي شنه سنة ١٤٣٤ حيث دافع سكان البصرة ببسالة عن مدینتهم حتى اجبروا القوات الغاربة على التراجع ، بعد ان كبدوها خسائر جسمية في الارواح . وتوقع سكان البصرة عودة ابراهيم سلطان لهاجمة المدينة مرة اخرى انتقاماً لما اصابه من خسائر فواصلوا استعدادهم غير ان الاخبار وصلت بعد قليل بموت ابراهيم سلطان حزناً على ما اصاب جيشه او نتيجة لاصابته في المعركة ، فأقام سكان البصرة الافتراح ابتهاجاً بالنصر^(٢) واقتراض بقايا الدولة التيمورية في ايران .

ولم تمض سوى بعض سنوات حتى تعرضت البصرة لهجوم آخر شنه هذه المرة التركمان القرفة قوييلو سنة ١٤٤١ ، قاده اسبان ابن قرة يوسف حاكم العراق ، بعد ان استولى على الحويزة وعبر شط العرب الى الركبة قرب العزيز . وكانت جموع كثيرة من العرب الساكدين في تلك المناطق قد تراجموا امامه الى البصرة ، فتعاونت هذه الجموع مع سكان البصرة والقبائل المحبيطة بها وحشدوا قوات كبيرة داخل المدينة استعداداً للدفاع عنها . وتجمعت قبائل عبادة وينوليث والبو خطيط وينو سعد وينو اسد القاطنين في الحويزة والاحواز للوقوف ضد اسبان ونصرة اشقاءهم في البصرة ، وارسلوا رسولاً الى يحيى بن محمد امير قبيلة آل غزي وهي من المنتفق ايضاً ، وكان حاكماً على البصرة ويسط نفوذه شمالي حتى مدينة الحلة ، يعرضون عليه التحالف ضد اسبان . غير ان الرسول وقع بين قوات اسبان في الركبة فأكتشف امره وقتل اسبان .

وامام صمود اهل البصرة واستعدادهم للمواجهة لم يجد اسبان بدأ من التراجع بعد ان تكبدت قواته خسائر جسمية ، وكانت هذه القوات تعاني من نقص في التموين وقوع الجوع فيها . وفي اثناء تراجعهم نحو بغداد لاحتقفهم القبائل المربية واستولت على المراكب التي سيرها اسبان في نحلة من نواحي البصرة الى واسط وهي تحمل الاموال والمواد الغذائية وقتلوا من فيها من جند اسبان ..^(٣) ويندل محمد بن فلاخ المشعشع بعد هذه المعركة محاولات لضم البصرة اليه وسير جيشه نحوها ، وتمكن من قتل حاكماها محمد بن يحيى لكنه لم يتمكن من احتلال المدينة بل استولى على الرماحية^(٤) .

ومع ذلك منتصف القرن الخامس عشر انقطعت اخبار البصرة عن ، ويبدو ان آل المنتفق ظلوا يحكمونها ويبسطون سلطتهم على ما جاورها من المناطق . وان الاقوام الغازية من قرفة قوييلو وأدق قوييلو (الخرف الابيض) وصفويون انشغلوا بالصراع حول العراق وازيرجان . ومع ذلك فقد تعرضت البصرة للحصار مواراً عديدة وعانت هجمات المشعشعين والتركمان وتعرضت للنهب والتخيير^(٥) .

وما ان ادرك القرن الخامس عشر نهايةه حتى استعادت البصرة مركزها تحت الحكم العربي بعد ان تم اكتساف طريق رأس الرجاء الصالح والفرز الاوروبي للخليج العربي فأخذت نورها في مطلع القرن السادس عشر في مقاومة البرتغاليين تحت قيادة الشيخ راشد بن مفاسن الذي تلقب بسلطان الشرق وسلطان البصرة والاحساء والقطيف والذي استقل بحكم البصرة . وكان عرب الاحساء والقطيف قد استعادوا به لصد الخطير البرتغالي فتمكن الشيخ راشد من حكم تلك المناطق وولى حكم البصرة الى أخيه محمد^(٦) .

منها وضم القبائل المجاورة اليهم ويسطوا سيطرتهم على كل القسم الجنوبي من العراق حتى مدينة الحلة^(٧) .

وبعد عودة السلطان احمد الجلائري الى بغداد سنة ١٤٠٢ سعى لاستعادة سيطرته على مدن العراق فقرر القضاء على الحكم العربي في البصرة واعد حملة كبيرة قادها بنفسه واشتبك مع سكان المدينة في معركة حامية . وعلى الرغم من الخسائر الجسمية في الارواح التي تعرضت لها المدينة غير ان صمود المقاتلين ويسالتهم اجبرت القوات المهاجمة على التراجع وفي اثناء عودتها انتقمت من سكان المناطق القرية من البصرة فنهبوا اموالهم ودواهم وما وقعت عليه ايديهم من المواد الغذائية وعادوا الى بغداد خائبين .

ويضيف حافظ آيدرد وهو مؤرخ معاصر واسع الاطلاع الى ذلك قوله : ان امراء البصرة ناصر ومحمود القباني ارادوا الاستقام من السلطان احمد ، فجمعوا اتباعهم ولاحقوا القوات الجلائرية المهزومة حتى وصلوا الحلة ودخلوها بعد ان طربوا حاكماها الجلائري علي مكندر وبذلك تم تحرير الحلة من سيطرة الجلائريين . فأضطرر السلطان احمد الى تجهيز حملة اخرى قاتلها ولله طاهر ويساعده علي مكندر نحو الحلة فاضطر امراء العرب الى التراجع عن الحلة والانسحاب الى البصرة^(٨) .

٤- فترة الاحتلال التركماني ١٤١٠ - ١٤٤١

في سنة ١٤١٠ احتل التركمان (القرفة قوييلو) المعروفين باسم (الخرف الاسود) بغداد واستولوا على العراق ، وفر من بقي من الجلائزرين الى واسط ومنها الى تستر ، حيث اقاموا دولتهم هناك . ويسطوا سيطرتهم على الاحواز ، ثم على الحلة^(٩) بسبب عدم ترسخ سلطة القرفة قوييلو في جنوب العراق . واستمر الحكم العربي في البصرة ، وكان يحكمها عند سقوط الحكم الجلائري في بغداد الشیخ مانع امير عرب المنتفق بصورة مستقلة وتشير المصادر الى ان هذا الشیخ بذل محاولة لاخراج الجلائزرين من بغداد قبل سقوط حکمهم منها بستة واحدة اي عام ١٤٠٩ حين قدم دعمه لثورة كبيرة قادها في المدينة شخص اسمه اویس ضد السلطان احمد^(١٠) .

وبذل الجلائزرين في تستر والحلة محاولات يائسة لاستعادة حکمهم في البصرة وذلك بالتحالف مع بعض القبائل العربية حتى انتزعوها من يد الشیخ مانع سنة ١٤١٧^(١١) . غير ان السكان رفضوا حکم الجلائزرين واضطرب حاكم البصرة الجلائري محمد بن شاه ولد الى مجازاة سكان المدينة واعلان الثورة سنة ١٤٢٢ ضد أخيه اویس حاكم الحلة^(١٢) .

ووجد الجلائزرين انفسهم عاجزين عن الاحتفاظ بحكم البصرة ، بعد ان تشرذمت دولتهم ، وتشتتوا ، وتكلّلت عليهم الاخطار من التركمان القرفة قوييلو في الشمال وبقايا التيموريين في ايران ومحاصرة العرب ، لحکمهم . فأخذوا ينوبون في البصرة ويندمجون مع اهلهما ، ودخلوا في ساحرات مع شيوخها بهدف الحصول على دعمهم لمحاصرة اعدائهم التركمان والتيموريين^(١٣) .

وفي السنوات التالية تعرضت البصرة لهجمات شديدة شنها ابراهيم سلطان بن شاه رخ (حفيد تيمورلنك) الحاكم في شيراز وكانت

الهوماش

- ٥٧-١٩٨٦/٢ ص ٢٢-أحمد بن علي المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك . (القاهرة ١٩٣٦)
 ٤٤٨/١ ، ٤٦٣ ، ابن كثير الدمشقي ، البداية والنهاية بيروت ١٩٧٧
 ٤٢١) السيوطي تاريخ الخلفاء (القاهرة ١٩٦٤) ص ٦٧٧
 ٢٢-جواواث الجامعة من ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ابن الفوطى ، تلخيص مجمع الاداب (دمشق ١٩٦٧) ج ٤ ق ٢ ص ٨٦٩ .
 ٢٤-رشيد الدين الهمداني ، جامع التواریخ م ٢ (القاهرة ١٩٦٠) ١/٢٩٦
 العزاوي ، تاريخ العراق ١/٢٠٦ .
 ٢٥-كتاب السلوك ١/٤٦٨-٤٧٦ مع الهوماش ، نوري عبد الحميد خليل العلاقات العراقية المصرية ١٢٥٨-١٤١٠ (بحث غير منشور) ص ٨-٧
 ٢٦-جمال الدين الشيال ، تاريخ مصر الاسلامية ج ٢ العصران الابوبي والمملوكي (القاهرة ١٩٦٧) ص ١٩٦ .
 ٢٧-السلوك ١/٤٨١ ، ٤٨١ ، ٥١٦ ، ٥١٢ ، ٥١٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠١ .
 ٢٨-نفسه ١/٤٧٦-٤٩٥ .
 ٢٩-الحوادث الجامعة من ٤٧٦ ، ٤٩٥ .
 ٣٠-نفسه من ٣٣٨ ، ٣٧٢ ، ٤٥٩ ، ٤٨٢ .
 ٣١-أبوالندا ، المختصر ٧/٩٥ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ /١٤ احمد بن علي الحسيني ، المعروف بابن عتبة ، عمدة الطالب في انساب الابي طالب (بغداد ١٩٨٨) ص ١٤٤ ، العزاوي تاريخ ١/٤٤٩ .
 ٣٢-أبوالندا المختصر من ٩٨ ، ابن خلدون : العبر ٥/٩٤١-٩٤٢ العزاوي .
 تاريخ ٤٥١/١ ، ابن حجر المستكفي ، الدرر الكافحة (القاهرة ١٩٦٦) .
 ٤٥٠ .
 ٣٣-أبن القراء ، تاريخ ابن القراء (بيروت ١٩٣٦) ٩/٢٤٢ ، العزاوي تاريخ ٤٣/٣ .
 ٣٤-أبن عتبة ، عمدة الطالب من ١٤٦ ، ابن بطوطة ، ص ٢٢١ ، محمد بن احمد بن علي الحسيني ، بحر الانساب (القاهرة بلا) ص ١٦٥ .
 ٣٥-محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، ومحمد بن علي الحسيني ، من ديوان العبر (الكويت بلا) ص ٣٠٢-٣١٢ .
 ٣٦-حافظ ابره ، دليل جامع التواریخ رشیدی (طهران ١٣١٧) ص ١٩١ ، میرخوند تاريخ روضة الصفا (طهران ١٣٣٩) ٥/٥٧٢ .
 ٣٧-السلوك ٢/٤٤٥ .
 ٣٨-أبن القراء المصدر السابق ٩/٣٤٢ .
 ٣٩-العاني ، العراق في المعهد الجلايري من ٢٨٦ .
 ٤٠-جسم مهاوي حسين ، تاريخ المزو التيموري للعراق والشام رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب (بغداد ١٩٤٦) ص ١٤٨ .

- ١-نوري عبد الحميد العاني ، العراق في المعهد الجلايري (بغداد ١٩٨٦) ص ٢٨٦-٢٨٨ H. Howorth .History of the Mongols part 111 (N.Y 1888) P.72-80
 ٢-ابن الفوطى (منسوب له) كتاب الحوادث الجامعة (بغداد ١٣٥١) ص ٣٢٨
 ٣-نفسه من ٣٥٠ وعباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ (بغداد ١٩٣٥) ٢٤٧ ص ٢٤٧
 ٤-ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة (بيروت ١٩٦٠) ص ١٨٥-١٨٩
 ٥-نعمان بن محمد ابن العراق ، معدن الجوادر بتاريخ البصرة والجزائر (اسلام اباد ١٩٧٣) ص ٧٧
 ٦-حمد الله المستوفي القزويني ، نزفحت القلوب تحقيق كاي لستراب (لبنان ١٩١٣) ص ٣٩
 ٧-الحوادث الجامعة من ٣٣٢-٣٥٠ ، العاني ، المصدر السابق من ٤٥-٤٦
 ٨-ابن بطوطة ١٨٩-١٨٥ M. polo ,the travels of Marco polo (N.Y.1930) P30 .
 ٩-نزفحت القلوب من ٢٨
 ١٠-القاضي شهاب الدين العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢) ص ٨١
 ١١-القاضي شهاب الدين العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف (مصر ١٣١٢)
 ١٢-C.R. Beagley ,the Dawn of Modern Geography (N.Y.1948) vol.111,p.366 .
 ١٣-العاني ، المصدر نفسه من ٢١٨
 ١٤-الحوادث الجامعة من ٤١٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
 ١٥-ابن بطوطة من ١٨٢-١٨٣
 ١٦-العاني ، المصدر السابق من ٢٨٠ ، ٢٨٠ .
 ١٧-أبوالندا ، المختصر في اخبار البصر (بيروت بلا) ٧/٩٨ ابن العراق ، معدن الجوادر من ٣٤ .
 ١٨-احمد القلقشندي ، صبح الاعشى (القاهرة بلا) ٧/٣٧١ وقلائد الجميان في التعريف بقبائل عرب الزمان (القاهرة ١٩٦٣) ص ١١٩-١٢٣ وابن فضل الله العمري ، التعريف من ٨٠-٨١ ابن خلدون كتاب العبر (بيروت ١٩٥٩)
 ٢٥-٢٢/٦
 ١٩-ابن العراق ، معدن الجوادر من ٣٦-٣٤
 ٢٠-ابن خلدون ، العبر ٦/٢٠ ، والعوازي تاريخ العراق ١/٣٣٢ .
 ٢١-الجوزجاني ، طبقات ناصري من ٤٢٧ نقل عن فؤاد عبد المطلب الصياد ، المذول في التاريخ (بيروت ١٩٨٠) ص ٢٦٣ ، نوري عبد الحميد خليل ، التحدى المنطوي ومؤلف ائمة العربية منه ، مجلة دراسات للاجيال

- ١- ابن الفرات ، المصدر السابق ٩ / ٣٤٧ ، ابن حجر العسقلاني ، ابناء الفمر
بابناء الفمر (القاهرة ١٩٦٩) ١ / ٤٥٣ ، السلوك ٣ / ٧٩٠ .
- ٢- ابن الفرات المصدر السابق ٩ / ٣٤٨ ، ابن تفري بودي ، النجوم الزاهدة في
ملوك مصر والقاهرة (القاهرة بلا) ١٢ / ٢٦١ .
- ٣- حسين ، المصدر السابق ص ١٥٢ نوري عبد الحميد خليل ، صور من
المقاومة العربية للسيطرة الاجنبية في العراق . مجلة دراسات للأجيال
١٩٨١ / ٤ .
- ٤- خليل ، صور من المقاومة ص ١١٤ .
- ٥- حافظ ابوه ، زيادة التواریخ باستقری ، الجزء الثاني من كتاب تاريخ
فتحات الامیر تیمور المعروف بظفر نامة لنظام الدين شامي (براغ ١٩٥٦)
٢ / ١٦٥ ، خليل صور من المقاومة ص ١١٥ .
- ٦- زيادة التواریخ ص ١٦٥ ، العانی ، العراق في المهد الجلايري ص ٤٤ .
- ٧- التاریخ الفیانی ، دراسة وتحقيق طارق نافع الحمدانی (بغداد ١٩٧٥)
ص ١٣٦ ، ٢٤٦ .
- ٨- Howorth, op cit p 678 میر خوند ، روضة الصفا ٦ / ٥٧٨ .
- ٩- ابناء الفمر ٣ / ١٤٦ ، ٢٠٦ السخاوي ، الضوء اللامع (بيروت بلا)
- ١٠- الضوء الامض ١٢ / ١٦ ، العزاوی بتاريخ ٤٣ / ٣
١١- النجوم الزاهدة ١٤ / ٣٢٢ ، العزاوی ، تاريخ ٣٢ / ٥٥ ، ٧٤ .
- ١٢- ابن الفرات المصادر السابق ٩ / ٣٤٧ ، ابن حجر العسقلاني ، ابناء الفمر
بابناء الفمر (القاهرة ١٩٦٩) ١ / ٤٥٣ ، السلوك ٣ / ٧٩٠ .
- ١٣- العزاوی ، المنهل الصافی والمستوی بعد الولای (القاهرة ١٩٥٦)
١ / ٥٨ ، النجوم الزاهدة ١٥ / ١٩٥ ، الضوء الامض ١ / ٥٣-٥٢ ملوك شامي
مجھول ، حوليات دمشقية ٨٣٩-٨٣٤ (القاهرة ١٩٦٨) (ص ١٣٨ ،
العواوی ، تاريخ ٩٣ / ٣ .
- ١٤- التاریخ الفیانی ٢٧٦-٢٧٥ ، العزاوی ، تاريخ ٣ / ١١٥-١١٦ وجاسم
حسن شبر تاریخ المشتمعن (النجف ١٩٦٥) (ص ٨٠-٨١ .
- ١٥- العزاوی تاریخ ص ١١٦ ، شبر ، تاریخ المشتمعن من ٨٢-٨١ التاریخ
الفیانی ص ٢٧٦ ، نور الله شوشتری مجالس المؤمنین (طهران ١٣٧٦)
٢ / ٣٩٩ ؛ ابن العراق ، مدن الجوادر ص ٣٦-٣٧ .
- ١٦- التاریخ الفیانی ص ٣٠٩ ، العزاوی : تاريخ ٣ / ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ١٤٣ / ٣ .
- ١٧- محمد بن عبد الله الاحسانی ، تحفة المستفید بتاريخ الاحسان القديم
والجديد (الرياض ١٩٦٠) (ص ١٢١ ، ابن العراق . مدن الجوادر ص ٧٣ .

مَرْكَزُ تَحْقِيقَاتِ كَائِنَةٍ لِّتَوْرِيرِ عِلْمَوْرِسَلَى



نادي جامعة الموروث

Digitized by srujanika@gmail.com

المحتوى



- - اقوى من اية راجفة (رئيس التحرير) ٣
- - في حصارات البصرة وصمودها (بقلم باسم عبد الحميد حموي) ٨ - ٤
- - حصار بغداد في العصر العباسي (بقلم د . حسين امين) ١١ - ٩
- - صبر العراقيين وثباتهم في حصار الكوت (بقلم حميد مجید هتو) ١٥ - ١٢
- - حصار النجف (بقلم سالم اللوسي) ٢٠ - ١٦
- - انماط من الحصار في الموصل ١١٥٦ - ١٧٤٣ (بقلم عبد الجبار محمود السامرائي) ٣٢ - ٢١
- - ملامح من الحصار في الارث العراقي والمتأثر العربي (إعداد وتراسة عبد الحميد العلوجي وصادق هامل) ٤٤ - ٣٤
- - دور الموصل والجزيرية في مواجهة التحدي المفولي (بقلم علي شاكر علي و علاء محمود خليل) ٤٨ - ٤٥
- - تكريت في العهد العثماني ١٥١٨ - ١٧٣٣ (علي شاكر علي) ٥٣ - ٤٩
- - حصار النجف - قصاص المحتلين من ثورة التحرر سنة ١٩١٨ (بقلم علي كاشف الغطاء) ٥٨ - ٥٤
- - الغذاء ايام المحن والمحاصرة في التراث العربي (بقلم د . عماد محمد الحفيظ ، عادل محمد علي) ٦٢ - ٥٩
- - صور من مقاومة العراقيين لقوات الاحتلال البريطاني (ترجمة وتعليق كاظم سعد الدين) ٦٥ - ٦٣
- - حصار المشركين لأهل الإيمان بين الامس واليوم (بقلم د . محبي هلل السرحان) ٧٠ - ٦٦
- - صمود البصرة ومقاومتها للغزو الاجنبي (١٢٥٨ - ١٥٠٨) (بقلم د . نوري عبد الحميد خليل) ٧٧ - ٧١

* * *

AL-MAWRID

BIANNUAL JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE

ISSUED BY

THE HOUSE OF PUBLIC CULTURAL AFFAIRS

THE MINISTRY OF CULTURE AND INFORMATION



Volume 23 Number 2 - 1996

السعر : ٢٥ ديناراً